ففروا إلى الله

جمع وترتيب

أبي ذر القلموني

نسخة محققة وعليها تعليقات الشيخ الألباني على الأحاديث

اعتنى به

محمد تامر

قسم الشريعة - كلية دار العلوم



الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٤٣٣ / ٢٠٠٧

الناشر
مكتبة الأصولي دمنهور
☎ ٠٤٥٣٣١١١٣٨ - ٠١٠٥٤٠١٣٢٤
دمنهور - خلف عمر أفندي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١] .

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمدﷺ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة:٢٠١] ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٥٠] ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة: ٢٨٥-٢٨٦] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران:٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:١٦] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:٥٣] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٧] ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[آل عمران:١٩١-١٩٤] ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٧] ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[الأعراف:٨٩] ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الأعراف:١٢٦] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[يونس: ٨٥-٨٦] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[إبراهيم:٤١] ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف:١٠] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[المؤمنون:١٠٩] ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا

عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[الفرقان:٦٥] ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤] ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾[غافر:٧-٨] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠] ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَاۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾[الممتحنة:٤-٥] ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَاۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم:٨] .

يا رب : أدعوك وأنا العبد الذليل، وأنت الرب العزيز، يا رب : أسألك من فضلك ورحمتك لي ولكل المسلمين، فإنه لا يملكها إلا أنت. اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيراً لنا، وتوفنا ما علمت الوفاة خيراً لنا، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا وارزقنا.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى. اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمدﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك محمدﷺ، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيراً. آمين وصل اللهم على محمد وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

قال الله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤] .

جاء في مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله ما مختصره : أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ﴾[الإسراء:٤٤] أي لا تفهمون تسبيحهم لأنها بخلاف لغاتكم، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات، كما في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وفي حديث أبي ذر أن النبيﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل، وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[١] . وقال الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن رسول اللهﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب ورواحل، فقال

(١) قال ابن كثير : وهو حديث مشهور في المسانيد.

لهم: «اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكراً لله منه». قال بعض السلف: صرير الباب تسبيحه، وخرير الماء تسبيحه، وقال آخرون: إنما يسبح من كان فيه روح من حيوان ونبات. وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء:٤٤] أي لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر[(١)] . انتهى.

تنبيهات

١- وضع هذه العلامة في الهامش * ( ) أي قبل القوسين: تعنى أن ما في هذا الهامش من كلامي سواء أكان تعليقاً على ما هو مكتوب في الأصل، أم كان الكلام لي ابتداء.

٢- وضع هذه العلامة﴿ ﴾ في وسط الشرح: تعنى إيضاحاً مني لما هو مكتوب في الأصل.

٣- كلمة أولاً أو ثانياً. . . . إلخ: تعنى في غالب الأحوال ابتداء نقطة جديدة.

٤- كلمة انتهى: تعنى أن الكلام قد انتهى من الكتاب المشار إليه، وبعدها أبدأ في التعليق على هذا الكلام أو في الانتقال إلى نقطة أخرى.

٥- كلمة مختصر: تعنى أنني قد قمت بالاختصار لهذا الموضوع، وذلك في كل المواضيع التي أذكر فيها كلمة مختصر، إلا كتابي «**مختصر تفسير ابن كثير ومختصر منهاج القاصدين**» فكنت إذا أردت اختصار أحدهما كتبت جاء في مختصر . . . ما مختصره:

الهدف من وراء هذا الكتاب

أن يتقبله الله صدقة جارية لكل مسلم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وأن يهديني الله به والحيارى من المسلمين إلى الطريق المستقيم، وأن يتم الله به إيمان المسلمات التائهات، اللاتي يكمن الإيمان في قلوبهن كما يكمن نور الشمس حين يولي النهار ولكنهن معذورات لا يعرفن الطريق.

* * *

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني أثابه الله تعالى جـ ٢ ص٣٧٩: ٣٨٠.

موضوعات الكتاب

١ - التوبة . ٢ - توبة المرأة (الحجاب) .
٣ - الدنيا . ٤ - الموت .
٥ - الصلاة . ٦ - الدعاء .
٧ - الذكر . ٨ - حكم الإسلام في الغناء .
٩ - داء العشق ودواؤه . ١٠ - آداب وأحكام من سورة النور .
١١ - حكم تغطية وجه المرأة خصوصاً الشابة .
١٢ - حكم عمل المرأة خارج البيت .
١٣ - كيفية تعليم المراة .
١٤ - علاج الصرع وعلاج السحر وفك الربط .
١٥ - الدين النصيحة .

وفى النهاية أقول: إن العصمة لله وحده . ويأبى الله إلا إن يتم نوره . وإنه لو كانت الذنوب تعمى البصر ما استطعت أن تنظر في كلامي . وإنني لا أطمع إلا في رحمته سبحانه، التي لا يملكها إلا هو . وإني أطلب منك الدعاء بظهر الغيب، خصوصاً أن : يجعلني الله وإياك وسائر المسلمين من عتقائه من النار، ويا حظ من زحزح عن النار وأدخل الجنة : ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران :١٨٥] .

ففروا إلى الله.... ففروا إلى الله.... ففروا إلى الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

الباب الأول التوبة

قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الزمر: ٥٣-٥٩] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره العظيم : هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداًﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ﴾[الفرقان :٦٨] ونزل : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[(١)] وعن ثوبان مولى رسول اللهﷺ قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : «**ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية** ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[(٢)] إلى آخر الآية .

وعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبيﷺ شيخ كبير يدعم على عصا له فقال : يا رسول اللهﷺ إن لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي؟ فقالﷺ : «**ألست تشهد أن لا إله إلا الله؟**»، قال : بلى، وأشهد أنك رسول الله، فقالﷺ : «**قد غفر لك غدراتك وفجراتك**»[(٣)] .

وروى الإمام أحمد، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : سمعت رسول اللهﷺ يقرأ : ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ﴾[هود :٤٦] وسمعتهﷺ يقول : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٤)] .

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة، ولا يقنط عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[التوبة :١٠٤] ، وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وقال جل وعلا في حق المنافقين : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ

(١) أخرجه البخاري ورواه مسلم وأبو داود والنسائي.
(٢) أخرجه الإمام أحمد عن ثوبان رضى الله عنه.
(٣) تفرد به أحمد من حديث عمرو بن عنبسة. (٤) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.

وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ [البروج:١٠]قال الحسن البصري رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، والآيات في هذا كثيرة جدًا. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺقال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم من يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان في نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة**».

وفى رواية: فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها.

وفى رواية: فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى، وقال: قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له.

وفى رواية: قال قتادة: قال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها.

وقال ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، قال: قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيرا ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤]. ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء. من قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه. وروى الطبرانى عن ابن مسعود قال: إن أعظم آية في كتاب الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، و إن أجمع آية في القرآن بخير وشر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، وإن أكثر آية في القرآن فرحا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]، وإن أشد آية في كتاب الله تفويضا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣][(١)].

(١) رواه الطبراني عن ابن مسعود موقوفا.

ومر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس، فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله؟ ثم قرأ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣](١).

ذكر أحاديث فيها نفي القنوط

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم الله**(٢)»، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة، قد كنت كتمت منكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «**لولا أنكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوما يذنبون فيغفر لهم**»(٣)، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفارة الذنب الندامة**».(٤)، وقال رسول الله ﷺ: «**لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم**».(٥)، ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾[الزمر:٥٤] إلخ، أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[الزمر:٥٤] أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة، ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[الزمر:٥٥] وهو القرآن العظيم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الزمر:٥٥] أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون، ثم قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين والمطيعين لله عز وجل، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[الزمر:٥٦] أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:٥٧-٥٨] أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل، قال ابن عباس: أخبر الله سبحانه وتعالى بما يقوله العباد قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:٥٦-٥٨]، فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام:٢٨]، وفي الحديث: «**كل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة، قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هداني قال: فيكون له الشكر**»(٦)، ولما

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أيضاً.
(٢) تفرد به الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك.
(٣) أخرجه أحمد ورواه مسلم والترمذي.
(٤) أخرجه أحمد عن ابن عباس مرفوعا.
(٥) تفرد به الإمام أحمد.
(٦) أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة مرفوعاً.

تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي قد جاءتك أيها العبد النادم في الدار الدنيا وقامت حججي عليك [١]، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها [٢]، انتهى.

أولاً - شروط التوبة:

جاء في مختصر منهاج القاصدين: واعلم أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا، وذلك الندم يورث العلم بأن تكون المعاصي حائلا بين الإنسان وبين محبوبه.

والندم هو توجع القلب عند شعوره بفراق المحبوب، وعلامته طول الحزن والبكاء، فكل من استشعر عقوبة نازلة بولده أو من يعز عليه، طال بكاؤه، واشتدت مصيبته، وأي عزيز أعز عليه من نفسه؟ وأي عقوبة أشد من النار؟ وأي سبب أدل على نزول العقوبة من المعاصي؟ وأي مخبر أصدق من رسول الله؟ ولو أخبره طبيب أن ولده لا يبرأ من مرضه لاشتد في الحال حزنه، وليس ولده بأعز من نفسه، ولا الطبيب أعلم من الله ورسوله، ولا الموت بأشد من النار، ولا المرض أدل على الموت من المعاصي على سخط الله، والتعرض بها للنار [٣]. انتهى.

وقال النووي رحمه الله: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

احدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإذا كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه.... [٤]انتهى.

ثانياً - آثار المعاصي:

جاء في كتاب الجواب الكافي لابن القيم رحمه الله ما مختصره [٥]:

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.

١ - **فمنها:** حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: جـ٢ (٢٢٥: ٢٢٧)، الآيات: ٥٣: ٥٩ من سورة الزمر.
(٣) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة: ٢٥٩، ٢٦٠.
(٤) رياض الصالحين بتحقيق الأرنؤوط: ص١٠، ١١.
(٥) راجع كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم رحمه الله تعالى ٥٤-١٠٧.

جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك، وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال : إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية، وقال الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال : اعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاص

٢ - **ومنها** :وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلا، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة، وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة، وما لجرح بميت إيلام، فلو لم يكن ترك الذنوب إلا حذرا من وقوع تلك الوحشة، لكان العاقل حريا بتركها، وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له : إذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس. وليس على القلب أمرّ من وحشة الذنب، فالله المستعان.

٣ - **ومنها** :الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه وبينه وبين نفسه مستوحشاً من نفسه. وقال بعض السلف : إني لأعصى الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

٤ - **ومنها** : تعسير أموره، فلا يتوجه إلى أمر إلا ويجده مغلقا دونه، أو متعسراً عليه، وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا، فمن عطل التقوى جعل الله له من أمره عسرا، ويا للعجب كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين تأتي؟

٥ - **ومنها** : ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر، كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سوادا حتى يراه كل أحد.

٦ - **ومنها** :أن المعاصي توهن القلب والبدن، أما وهنها للقلب : فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية.

وأما وهنها للبدن :فإن المؤمن قوته في قلبه، وكلما قوى قلبه قوى بدنه، وأما الفاجر فإنه - وإن كان قوى البدن - فهو أضعف شيء عند الحاجة، فتخونه قوته أحوج ما يكون إلى نفسه، فتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم؟

٧ - **ومنها** : حرمان الطاعة : فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بدله، ويقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه طريق ثالثة، ثم رابعة و هلم جرا، فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من

عدة أكلات أطيب منها، والله المستعان.

٨- **ومنها**:أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد، فإن البر كما يزيد في العمر فالفجور ينقصه، وسر المسألة: أن عمر الإنسان مدة حياته ولا حياة له إلا بإقباله على ربه، والتنعم بحبه وذكره، وإيثار مرضاته.

٩- **ومنها**: أن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضا، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة: السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة: الحسنة بعدها.

١٠- **ومنها**:وهو من أخوفها على العبد – أنها تضعف القلب عن إرادته فتقوى فيه إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئا فشيئا، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله، فيأتي بالاستغفار وتوبة الكاذبين باللسان لشيء كثير، وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها، عازم على مواقعتها متى أمكنه، وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.

١١- **ومنها**: أنه ينسلخ من القلب استقباحها، فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه، وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التفكه وتمام اللذة حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يكن يعلم أنه عملها، فيقول: يا فلان عملت كذا وكذا، وهذا الضرب من الناس لا يعافون، وتسد عليهم طريق التوبة، وتغلق عنهم أبوابها في الغالب، كما قال النبي ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة: أن يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه، ويقول: يا فلان عملت يوم كذا كذا وكذا فيهتك نفسه، وقد بات يستره ربه**».

١٢- **ومنها**: أن كل معصية من المعاصى ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله عز وجل، فاللوطية: ميراث عن قوم لوط، وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص: ميراث عن قوم شعيب، والعلو في الأرض والفساد: ميراث عن فرعون وقوم فرعون، والتكبر والتجبر: ميراث عن قوم هود، فالعاصى لابس ثياب بعض هذه الأمم وهم أعداء الله.

وقد روى عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل أن قل لقومك: لا تدخلوا مداخل أعدائى، ولا تلبسوا ملابس أعدائى ولا تركبوا مراكب أعدائى، ولا تطعموا مطاعم أعدائى، فتكونون أعدائى كما هم أعدائى.

١٣- **ومنها**: أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه. قال الحسن البصرى: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨][(١)] وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفا من شرهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه.

---

(١)من الرقم الأول يدل على رقم السورة، والرقم الثانى يدل على رقم الآية (الحج).

١٤ - ومنها : أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد، عظم عند الله، وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال : «**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار**» .

١٥ - ومنها : أن غيره من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنبه، فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم، قال أبو هريرة : إن الحبارى [1]لتموت في وكرها من ظلم الظالم، وقال مجاهد : إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول : هذا بشؤم معصية ابن آدم. وقال عكرمة : دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون : منعنا القطر بذنوب بني آدم، فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له.

١٦ - ومنها : أن المعصية تورث الذل ولا بد، فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر :١٠]، أي فليطلبها بطاعة الله فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله، وكان من دعاء بعض السلف : اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك.

١٧ - ومنها : أن المعاصي تفسد العقل، فإن للعقل نورا، والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، وإذا أطفئ نوره ضعف ونقص، وقال بعض السلف : ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه، وي داره على بساطه، وملائكته شهود عليه ناظرون، إليه وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم؟ .

١٨ - ومنها : أن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالى : ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين :١٤]قال : هو الذنب بعد الذنب.

١٩ - ومنها : أن الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ.

٢٠ - ومنها : حرمان دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة، فإن الله سبحانه أمر نبيه بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [غافر :٧-٩] .

٢١ - ومنها : أنها تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار

(١) طائر أكبر من الدجاج الأهلي.

والمساكن، قال تعالى : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ .

٢٢ - **ومن عقوباتها**:أنها تطفئ من القلب نار الغيرة .

والمقصود:أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك، وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح، بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له، ويدعوه إليه ويحثه عليه، ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله، والجنة عليه حرام، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه لغيره، فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة . وهذا يدلك على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له فلا دين له .

٢٣ - **ومن عقوباتها** :ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه، وفى الصحيحين عنه ﷺأنه قال : «**الحياء خير كله**»، وقال :«**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» .

والمقصود :أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى ربما أنه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر هو عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يبق في صلاحه مطمع .

٢٤ - **ومن عقوباتها** :أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه . ومن بعض عقوبة هذا : أن يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق، فيهون عليهم، ويستخفون به . كما هان عليه أمره واستخف به، فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس حرماته، وكيف ينتهك عبد حرمات الله، ويطمع ألا ينتهك الناس حرماته؟ أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس؟ أو كيف يستخف بمعاصى الله ولا يستخف به الخلق؟

٢٥ - **ومن عقوباتها** :أنها تستدعى نسيان الله لعبده، وتركه، وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر :١٨-١٩] فأخبر أنه عاقب من ترك التقوى بأن أنساه نفسه [١]، أى أنساه مصالحها، وما ينجيه من عذابه، وما يوجب له الحياة الأبدية . فالله سبحانه وتعالى يعوض عن كل شيء سواه

---

(١) وسيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى عند الكلام عن نسيان العبد لنفسه تحت رقم ٤٣ .

ولا يعوض منه شيء ويغني عن كل شيء، ولا يغني عنه شيء، ويمنع من كل شيء، ولا يمنع منه شيء ويجير من كل شيء، ولا يجير منه شيء، وكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شأنه طرفة عين؟ وكيف ينسى ذكره ويضيع أمره حتى ينسيه نفسه، فيخسرها ويظلمها أعظم ظلم، فما ظَلَم العبد ربه ولكن ظلم نفسه، وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه .

٢٦ - **ومن عقوباتها** :أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه من ثواب المحسنين .

والمقصود :أن الإيمان سبب جالب لكل خير، وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان، فكيف يهون على العبد أن يرتكب شيئا يخرجه من دائرة الإيمان ويحول بينه وبينه، ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين، فإن استمر على الذنوب وأصر عليها خيف عليه أن يرين على قلبه، فيخرجه عن الإسلام بالكلية، ومن هنا اشتد خوف السلف، كما قال بعضهم : أنتم تخافون الذنوب وأنا أخاف الكفر .

٢٧ - **ومن عقوباتها** :أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، وتعوقه وتوقفه وتعطفه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه .

فالذنب إما أن يميت القلب، أو يمرضه مرضا مخوفا، أو يضعف قوته ولا بد حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ النبي ﷺ منها وهي : «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز، والكسل، والجبن، والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال**» .

والمقصود :أن الذنوب من أقوى الأشياء الجالبة لهذه الثمانية، كما أنها من أقوى الأسباب الجالبة «**لجهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء**» . ومن أقوى الأسباب الجالبة لزوال نعم الله تعالى وتقدس، وتحول عافيته إلى نقمته وتجلب جميع سخطه .

٢٨ - **ومن عقوبات الذنوب** : أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «**ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة**» وقد قال تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى :٣٠] .

٢٩ - **ومن عقوباتها** : ما يلقيه الله سبحانه وتعالى من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفا مرعوبا، فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أطاحت به المخاوف من كل جانب .

٣٠ - **ومن عقوباتها** : أنها توقع الوحشة العظيمة في القلب، نجد المذنب نفسه مستوحشا، وقد وقعت الوحشة بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، وبينه وبين نفسه، وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين .

٣١ - **ومن عقوباتها** : أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلب كتأثير الأمراض في الأبدان .

٣٢ - **ومن عقوباتها:** أنها تعمى بصر القلب، وتطمس نوره، وتسد طرق العلم، وتحجب مواد الهداية.

٣٣ - **ومن عقوباتها:** أنها تصغر النفس وتقمعها، وتدنيها وتحقرها حتى تصير أصغر من كل شيء وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس:٩-١٠] : والمعنى: قد أفلح من أعلاها وكبرها بطاعة الله وأظهرها وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله.

٣٤ - **ومن عقوباتها:** أن العاصي دائما في أسر شيطانه، وسجن شهواته، وقيود هواه، فهو أسير مسجون مقيد، ولا أسير أسوأ من أسير أسره أعدى عدو له، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟ وكيف يخطو خطوة واحدة؟ وإذا تقيد القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده، ومثل القلب مثل طائر، كلما علا بعد عن الآفات، وكلما نزل استوحشته، وفى الحديث « **الشيطان ذئب الإنسان**» وأصل هذا كله: أن القلب كلما كان أبعد من الله كانت الآفات إليه أسرع، وكلما كان أقرب إلى الله بعدت عنه الآفات، والبعد من الله مراتب، بعضها أشد من بعض، فالغفلة تبعد العبد عن الله، وبعد المعصية أعظم من بعد الغفلة، وبعد البدعة أعظم من بعد المعصية، وبعد النفاق والشرك أعظم من ذلك كله.

٣٥ - **ومن عقوباتها:** سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه.

٣٦ - **ومن عقوباتها:** أنها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والتقى والمطيع والمنيب والمولى والورع والمصلح، والعابد والخائف، والأواب والطيب والمرضى ونحوها، وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف والمسيء والمفسد والخبيث والمسخوط والزانى والسارق والقاتل والكاذب والخائن واللوطي والغادر وقاطع الرحم وأمثالها، فهذه أسماء الفسوق، و ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾[الحجرات:١١] التي توجب غضب الديان، ودخول النيران، وعيش الخزى والهوان، وتلك أسماء توجب رضاء الرحمن ودخول الجنان، وتوجب شرف المسمى بها على سائر أنواع الإنسان.

٣٧ - **ومن عقوباتها:** أنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل، فلا يوجد عاقلان أحدهما مطيع لله والآخر عاص إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصح ورأيه أَسدُّ، والصواب قرينه، ولهذا تجد خطاب القرآن إنما هو مع أولى الألباب والعقول، كقوله: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٣٨ - **ومن عقوباتها:** أنها تجعل صاحبها من السفلة بعد أن كان مهيأ لأن يكون من العلية، فإن الله خلق خلقه قسمين: علية، وسفلة، وجعل عليين مستقر العلية وأسفل سافلين مستقر السفلة، وجعل أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة، وأهل معصيته الأسفلين في الدنيا والآخرة.

٣٩ - **ومن عقوباتها :** أنها تجرئ على العبد ما لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات فتجرئ على الشياطين «**الإنس والجن**» وتجرئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم .

٤٠ - **ومن عقوباتها :** أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه ، والمقصود : أن العبد العاصي إذا وقع في شدة أو كربة أو بلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو أنفع شيء له ، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله تعالى والإنابة إليه ، والحمية عليه ، والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه ، ولا يطاوعه لسانه لذكره ، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه ، فلا ينحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر فيه الذكر ، ولا ينجس اللسان والقلب على المذكور ، بل إن ذكر أو دعا بقلب غافل لاه ساه ، ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ، ولم تطاوعه ، وهذا كله أثر الذنوب والمعاصي ، كمن له جند يدفع عنه الأعداء ، فأهمل جنده وضيعهم وأضعفهم ، وقطع أقواتهم ، ثم أراد منهم عند هجوم العدو عليه أن يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة .

هذا وثَمَّ أمر أخوف من ذلك وأدهى وأمر ، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى ، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة ، كما شاهد الناس كثيراً من المحتضرين من أصابهم ذلك ، حتى قيل لبعضهم : قل لا إله إلا الله فقال : شاه ورخ [(١)] غلبك ثم قضى .

٤١ - **ومن عقوباتها :** أنها مدد من الإنسان يمد به عدوه [(٢)] عليه ، وجيش يقويه به على حربه .

٤٢ - **ومن عقوباتها :** أنها تنسي العبد نفسه ، فإذا نسي نفسه أهملها وأفسدها وأهلكها ، فإن قيل : كيف ينسى العبد نفسه؟ وإذا نسي نفسه ، فأي شيء يذكر؟ وما معنى نسيانه نفسه؟ . قيل : نعم ينسى نفسه أعظم نسيان ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر :١٩] فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم وأنساهم أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾ [التوبة :٦٧] فعاقب سبحانه من نسيه عقوبتين :

إحداهما : أنه سبحانه نسيه .

والثانية : أنه أنساه نفسه . ونسيانه سبحانه للعبد إهماله وتركه وتخليه عنه وإضاعته . فالهلاك أدنى إليه من اليد إلى الفم . وأما إنساؤه نفسه فهو إنساؤه لحظوظها العالية ، وأسباب سعادتها وفلاحها وإصلاحها وما يكملها ، ينسيه ذلك جميعه ، فلا يخطره بباله ولا يجعله على ذكره ، ولا يصرف إليه همته فيرغب فيه ، فإنه لا يمر حتى يقصده ويؤثره . وأيضاً ينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها ، فلا يخطر بباله إزالتها وإصلاحها .

٤٣ - **ومن عقوباتها :** أنها تباعد عن العبد وليه ، وأنصح الخلق له ، وأنفعهم له ومن سعادته في قربه منه ،

---

(١) شاه ورخ قطعتان من قطع الشطرنج . والمحتضر يذكرهما لأنهما أخذا عليه لبه وعقله من كثرة اللعب .

(٢) (أي إبليس لعنه الله) والمقصود كما قال ابن القيم رحمه الله - بعد إسهاب في الشرح - أن الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العبد أعداءه ، ويعينهم بها على نفسه ، فيقاتلونه بسلاحه والجاهل يكون معهم على نفسه ، وهذا غاية الجهل والسفه .

وهو الملك الموكل به، وتدنى منه عدوه، وأغش الخلق وأعظمهم ضرراً له - وهو الشيطان - فإن العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتى إنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة، وفى بعض الآثار: «**إذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلًا من نتن ريحه**»[(١)]، فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة، فماذا يكون قدر تباعد منه مما هو أكبر من ذلك، وأفحش منه؟.

ولا يزال الملك يقرب من العبد[(٢)] حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند مبعثه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١].

وإذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه وألقى على لسانه القول السديد وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد، تكلم على لسانه قول الزور والفحش، حتى يرى الرجل يتكلم على لسان الملك، والرجل يتكلم على لسان الشيطان.

٤٤ - **ومنها**: المعيشة الضنك في الدنيا وفى البرزخ والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]وقد فسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآيات تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى، فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره. فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب الأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما تتوارى عند سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، إن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو إلا إذا سكر في الأموات، فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزل على رسوله ﷺ في دنياه، وفى البرزخ، ويوم معاده، ولا تقر العين ولا يهدأ القلب ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

... إلى أن قال رحمه الله تعالى في نهاية الكلام عن آثار المعاصي:

فانظر إلى الآخرة كأنها رأى العين، وتأمل حكمة الله سبحانه في الدارين تعلم حينئذ علماً يقيناً لا شك فيه، أن الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وأنموذجها وأن منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدها، فمن أعظم الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، وبالله التوفيق. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله، وأحيطك

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن. (٢) العبد الطائع.

علماً بأن تلك النقاط السابقة مجرد عناوين وقليل من الشرح، لما في كتاب «**الجواب الكافي**» هذا الكتاب القيم لابن القيم.

فائدة:

قال عبد الله بن عباس: «**إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق**».

ثالثًا: جاء في مختصر منهاج القاصدين ما مختصره

١ - تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر: اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، وقد كثر الاختلاف فيها واختلفت الأحاديث في عدد الكبائر.

والأحاديث الصحاح في ذكرها خمسة نذكر منها:

حديث أبى هريرة رضي الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**».

وقد اختلف العلماء فيها على أقوال كثيرة، والأحاديث في الكبائر لا تدل على حصرها فيها، ولعل الشارع قصد الإبهام ليكون الناس على وجل من الذنوب، لكن يعرف من الأحاديث أجناس الكبائر، ويعرف أيضاً أكبر الكبائر.

فأما أصغر الصغائر، فلا سبيل إلى معرفته، وقد تكلم العلماء في عدد الكبائر، فروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: هى أربع.

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنها سبع، وكان ابن عباس -رضى الله عنهما- إذا بلغه قول ابن عمر إنها سبع قال: هى إلى سبعين أقرب منها إلى سبع.

وقال أبو صالح عن ابن عباس: هى ما أوجبت الحد في الدنيا.

وعن ابن مسعود أن الكبائر من فاتحة النساء إلى قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١]. وقال سعيد بن جبير وغيره: هى كل ذنب أوعد الله عليه النار.

٢ - فصل في بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب: منها الإصرار والمواظبة.

وفى الحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع الاستغفار**»(١).

---

(١) رواه أبو الشيخ ومن طريقه الديلمى فى ((مسند الفردوسى)) من حديث سعيد بن سليمان سعدويه، عن أبى شيبة الخراسانى، عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس.. وأبو شيبة الخراسانى قال البخارى: لا يتابع على حديثه، وقال الذهبى فى «الميزان» أتى بخبر منكر رواه عنه سعدويه، فذكره وقد ذكره ابن المنذر فى تفسيره من قول ابن عباس.

واعلم : أن العفو عن كبيرة قد انقضت ولم يتبعها مثلها ، أرجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد .

ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على حجر متواليات ، فإنها تؤثر فيه ، ولو جمعت تلك القطرات في مرة وصبت عليه لم تؤثر ، ولهذا قال ﷺ : «**أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**» .

ومن الأسباب التي تعظم بها الصغائر أن يستصغر الذنب ، فإن الذنب كلما استعظمه العبد ، صغر عند الله وكلما استصغره العبد ، كبر عند الله تعالى ، فإن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، فقال به : هكذا . أخرجاه في الصحيحين .

وإنما يعظم الذنوب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله تعالى ، فإذا نظر إلى عظمة من عصى ، رأى الصغيرة كبيرة .

وفى البخارى من حديث أنس رضي الله عنه : «**إنكم لتعملون أعمالاً هى أدق في أعينكم من الشعرو إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات**» .

وقال بلال بن سعد رحمه الله : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت .

ومن الأسباب أن يفرح بالصغيرة ويتمدح بها ، كما يقول : أما رأيتنى كيف مزقت عرض فلان ، وذكرت مساويه حتى خجلته ، أو يقول التاجر : أما رأيت كيف روجت عليه الزائف ، وكيف خدعته وغبنته ، فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر .

ومنها أن يتهاون بستر الله تعالى وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدرى أن ذلك قد يكون مقتا ليزداد بالإمهال إثماً .

ومنها أن يأتى بالذنب ثم يذكره بمحضر من غيره ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : «**كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول : يا فلان : عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله عليه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه**» .

ومنها أن يكون المذنب عالما يقتدى به ، فإذا علم منه الذنب ، كبر ذنبه [(١)].

فإن قيل : ما بال الإنسان يقع في الذنب مع علمه بقبح عواقبه؟ فمن ذلك أجوبة . منها : أن العقاب الموعود ليس بحاضر .

ومنها :أن المؤمن إذا أذنب لا بد أن يعزم على التوبة ، وقد وعد أن التوبة تجبر ما فعل ، وطول الأمل غالب على الطباع ، فلا يزال يسوف بالتوبة ، فلما رجا التوبة أقبل على الذنب .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٥١ : ٢٥٨ .

ومنها : أنه يرجو عفو الله عنه ، وعلاج هذه الأسباب أن يفكر في نفسه أن كل ما هو آت قريب ، وأنه لا يأمن هجوم الموت ، ويعالج التسويف بالتذكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف ، والمسوف يبنى الأمر على ما ليس إليه ، وهو البقاء ، فلعله لا يبقى ، وإن بقى فربما لم يقدر على الترك غداً كما يقدر عليه اليوم ، وهل عجز عن الحال إلا لغلبة الشهوة وهى غير مفارقة له غدا؟ بل يتأكد بالاعتياد ، ومن هذا هلك المسوفون ، لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ، وما مثال المسوف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة ، فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة ، فقال : أؤخرها سنة ثم أعود إليها ، وهو لا يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فالعجب من عجزه مع قوته عن مقاومتها في حال ضعفها ، كيف ينتظر الغلبة إذا ضعف وقويت .

وأما انتظار عفو الله تعالى ، فعفو الله سبحانه ممكن ، إلا أن الإنسان ينبغى له الأخذ بالحزم ، وما مثال ذلك إلا كمثل رجل أنفق أمواله كلها ، وترك نفسه وعياله فقراء ينتظر من الله تعالى أن يرزقه العثور على كنز في خربة ، وهذا ممكن إلا أن صاحبه ملقب بالأحمق ، والله سبحانه وتعالى أعلم[(١)]. انتهى من كتاب مختصر منهاج القاصدين .

٥ - صلاة التوبة :

عن أبى بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى – أى ركعتين –** [(٢)]ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦]. رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال : حديث حسن .

فائدة :

هل الأفضل للتائب أن يتذكر ذنبه أم ينساه؟

الراى الأول :الأفضل له أن يتذكره .

الراى الثانى :الأفضل له أن ينساه ،

الراى الثالث :قال ابن القيم ما معناه : إذا أحس العبد من نفسه العجب فالأفضل له أن يتذكر الذنب . وإن كان في حال منة الله عليه والفرح به والشوق إلى لقائه فنسيان الذنب أولى به وأنفع[(٣)].

رابعا - اتهام التوبة :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى [(٤)]: وأما اتهام التوبة فلأنها حق عليه . لا يتيقن أنه أدى هذا الحق

---

(١)راجع كتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسى ص٢٥١ : ٢٦٧.

(٢)لرواية ابن حبان والبيهقى وابن خزيمة . راجع فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق جـ٢ ص. ٧٢

(٣)مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله: جـ١ ص. ٢٠٢

(٤)كتاب مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله جـ١ ص١٨٥ : ١٨٧.

على الوجه المطلوب منه، الذي ينبغي له أن يؤديه عليه، فيخاف أنه ما وفاها حقها، وأنها لم تقبل منه، وأنه لم يبذل جهده في صحتها، وأنها توبة علة وهو لا يشعر بها، كتوبة أرباب الحوائج والإفلاس، والمحافظين على حاجاتهم ومنازلهم بين الناس، أو أنه تاب محافظة على حاله. فتاب للحال، لا خوفا من ذى الجلال. أو أنه تاب طلبا للراحة من الكدر في تحصيل الذنب، أو اتقاء ما يخافه على عرضه وماله ومنصبه، أو لضعف داعى المعصية في قلبه، وخمود نار شهوته، أو لمنافاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في كون التوبة خوفا من الله، وتعظيما له ولحرماته، وإجلالا له، وخشية من سقوط المنزلة عنده وعن البعد والطرد عنه، والحجاب عن رؤية وجهه في الدار الآخرة. فهذه التوبة لون، وتوبة أصحاب العلل لون.

ومن اتهام التوبة أيضا: ضعف العزيمة والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة، وتذكر حلاوة مواقعته. فربما تنفس. وربما هاج هائجه.

ومن اتهام التوبة: طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب، حتى كأنه قد أعطى منشوراً بالأمان. فهذا من علامات التهمة.

ومن علاماتها: جمود العين، واستمرار الغفلة، وألا يستحدث بعد التوبة أعمالا صالحة لم تكن له قبل الخطيئة.

خامساً - علامات قبول التوبة:

وقال أيضا رحمه الله: فالتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات:

منها: أن يكون العبد بعد التوبة خيرا مما كان قبلها.

ومنها: أنه لا يزال الخوف مصاحبا له لا يأمن مكر الله طرفة عين. فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فهناك يزول الخوف.

ومنها: انخلاع قلبه، وتقطيعه ندما وخوفا. وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها. وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ قال تقطعها بالتوبة. ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه. وهذا هو تقطعه. وهذا هو حقيقة التوبة. لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما فرط منه، وخوفا من سوء عاقبته، فمن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفا، تقطع في الآخرة إذا حُقّت الحقائق. وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين. فلا بد من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة.

فائدة:

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضا: كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء. ولا تكون لغير المذنب - إلى أن قال رحمه الله: فالله ما أحلى قولى في هذه الحال: أسألك بعزك وذلى إلا رحمتنى، أسألك بقوتك وضعفى، وبغناك عنى وفقرى إليك. هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين

يديك، عبيدك سواى كثير. وليس لى سيد سواك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. أسألك مسألة المسكين. وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل. وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه.

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

قال أبو الجلد: أوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء: قل لقومك: ما لكم تسترون الذنوب من خلقى، وتظهرونها لى! إن كنتم ترون أنى لا أراكم فأنتم مشركون بى، وإن كنتم ترون أنى أراكم فلم تجعلوننى أهون الناظرين إليكم.

سادسا: سؤال هام:

ما هو حكم المال «**العوض**» المتحصل من الزنى والغناء والخمر.... بعد التوبة؟ أي إذا تاب والعوض بيده (١)؟.

الرأى الأول: يرده إلى مالكه.

الرأى الثانى: قال ابن القيم رحمه الله ما مختصره: بل توبته بالتصدق (٢)به. ولا يدفعه إلى من أخذ منه، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. وهو أصوب القولين - إلى أن قال رحمه الله: وهكذا توبة من اختلط ماله الحلال بالحرام، وتعذر عليه تمييزه: أن يتصدق بقدر الحرام. ويطيب باقى ماله. والله أعلم.

فائدة - مشهد الرحمة في المعصية:

قال ابن القيم رحمه الله: فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب، حتى لو قدر عليه لأهلكه، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه، غضبا منه لله، وحرصا على ألا يُعصى. فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين الخاطئين. ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء. ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم، والغيب لهم والذم. فإذا جرت عليه المقادير وخلى نفسه واستغاث بالله والتجأ إليه، وتململ بين يديه تململ السليم، ودعاه دعاء المضطر، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة. وتلك القساوة على الخاطئين رحمة ولينا. مع قيامه بحدود الله، وتبدل دعاؤه عليهم دعاء لهم، وجعل لهم وظيفة من عمره. يسأل الله أن يغفر لهم.

فما أنفعه من مشهد! وما أعظم جدواه عليه (٣)، والله أعلم.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله جـ١ ص٣٩٠: ٣٩١.
(٢) حكم الصدقة بالمال الحرام؟ راجع الإجابة على هذا السؤال فى كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى (الحديث العاشر: قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله طيب لايقبل إلا طيبا) ص٨٧ ص٩٠ وهو حديث صحيح رواه مسلم.
(٣) مدارج السالكين: جـ١ ص.٤٢٦

سابعاً - توبة المراة :

اولاً - مقدمة :

١ - قبل الكلام عن دعوة المرأة المسلمة إلى الله أود أن أقول : إن الإسلام هو الاستسلام والإذعان والانقياد لأمر الله تعالى، وطالما أن الأمر كذلك، فإن المسألة ليست مسألة إقناع بقدر ما هى مسألة إيمان وامتثال، فلا يحتاج المسلم في كل تكليف إلى إقناع وبرهان، ولكن طالما أن المسلم قد رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا - طالما أنه قد رضي بذلك - فلا يكون أمامه إلا سؤال واحد عند تكليفه بأمر الله تعالى، وهو : هل ورد هذا التكليف في كتاب الله عز وجل؟ فإن كان واردا فيه فسمعا وطاعة، وإن كان هذا التكليف حديثا للنبى ﷺ، فيكون السؤال، هو التأكد من صحة هذا الحديث، فإن ثبت صحة ذلك - وهذا من اختصاص العلماء - فعليه أن يقول سمعا وطاعة أيضا، إذن يكون موضع البحث، هو التأكد من أن هذا التكليف قد ورد في كتاب الله، أو في سنة رسول الله ﷺ - مع مراعاة مصادر التشريع الأخرى - لا البحث عن الإقناع أو عن أى شيء آخر مما نراه في معظم المسائل بين المسلمين الآن إلا ما رحم ربى من أنك تسمع دائما هذا القول : اقنعنى أولا ! سبحان الله ! إن دين الله تعالى كل لا يتجزأ، لا يأتيك كله، إلا إذا أعطيته كلك.

لو أن الرفيق - أى الطبيب [(١)] - وصف العلاج للمريض، لوجدته أخذ الدواء دون مناقشة، أيا كان طعم هذا الدواء، أما حينما يأمر الله بأمر فنجد التقاعس، والتراخى، وطلب الإقناع، أيهما تمتثل لأمره بقوة. . الخالق أم المخلوق؟ أوَ مَا قرأت قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب :٣٦].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله [(٢)] في تفسير هذه الآية : فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا، ولا رأى، ولا قول. انتهى.

٢ - قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ انتهى.

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية : يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرا

(١) أقول : رفيق، لقول النبى صلى الله عليه وسلم : «لمن ادعى أنه طبيب : ((أنت رجل رفيق وطبيبها الذى خلقها)) رواه أبو داود وأحمد فى المسند، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح. راجع زاد المعاد لابن القيم : جـ٢ ص٣٥٣ ((أشير دائما إلى زاد المعاد بتحقيق الأرنؤوط)).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى : جـ٣ ص. ٩٧

وباطنا، ولهذا قال : ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] أي إذا حكَّموك يطيعونك في بطونهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلِّمون لذلك تسليما كليًّا، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث : «**والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» . ثم يقول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦] . قال ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم يرتكبونه من المناهى لما فعلوه، لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون، ولهذا قال تعالى : ﴿أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ . . . .﴾ [النساء:٦٦] قال ابن جرير : قال رجل : لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «**إن من أمتى لرجالًا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي**» . انتهى من ابن كثير .

٣ - قال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١] فقد علق الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة على طاعته سبحانه .

تنبيه :

ومن آيات الحجاب قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩] .

ثانيا : جاء في كتاب (إلى كل فتاة تؤمن بالله) لفضيلة الشيخ محمد سعيد البوطى ما مختصره : إلى كل فتاة تؤمن بالله . . .

وإنما أعنى [1] بالفتاة التي تؤمن بالله تلك التي أيقنت بوجوده إلها واحدا لا شريك له في ذاته وصفاته وأيقنت أنه النافع فلا نافع سواه وأنه الضار إذا شاء فلا ضار سواه، إليه مرجع الناس كلهم في يوم عظيم لا ريب فيه، يكشف فيه الحجاب عن كل غيب مستور وحقيقة خافية يوم الحسرة والندامة لمن كان قد اغتر بدنياه وفرط في جنب الله، ويوم الغبطة والسعادة لمن كان قد فهم الدنيا على حقيقتها فاتخذ منها عونا لسلوك السبيل إلى مرضاة الله . فلا جرم أننى لا أعنى بها تلك التي سمعت بالله ولم تفهم عنه شيئا، وورثت كلمة الإيمان شعارا على اللسان ولم تستيقن مضمونها عقيدة في الجنان، قد يتكرر اسم الله على لسانه في اليوم أكثر من عشرين مرة، ولكنها لا تنتبه لسلطانه وبالغ سطوته في الشهر أو العام مرة واحدة، مثل هذا الإيمان لا يورث القلب أي خشية ولا يقود صاحبه إلى أى اتجاه و لا شأن له بتقويم شيء من مظاهر الحياة والسلوك .

فأنا إنما أتجه بحديثى في هذه الرسالة إلى كل فتاة آمنت بالله إيمانا إراديا حرا منبثقا عن رضاها

(١) راجع كتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله لفضيلة الشيخ سعيد رمضان البوطى من ص١٤ : ٢١ .

القلبى وشعورها النفسى . . ويقينى أن مجتمعنا يفيض بكثير ممن يتمتعن بهذا الإيمان .

أتجه إلى كل فتاة تؤمن في قرارة قلبها بالله هذا الإيمان لأقول لها : إن أمر وجودنا في هذه الحياة جد وأخطر من الجد ! . . فلا يحجبنك عن تصور عاقبتها أى لون من ألوان مغرياتها ولا ينسينك هَوَانَها كثرة ما ترين من المتعلقين بها ، ولا تنسى أن الناس إنما يجتازون إلى الله في هذه الدنيا بساعة امتحان ، سواء علموا ذلك أم جهلوا ، وربما طالت هذه الساعة أو قصرت ولكنها على كل حال ليست أكثر من ساعة امتحان .

وإذا كان الاجتياز بهذه الساعة الامتحانية قدرا مشتركا بين الرجال والنساء على السواء فإن المرأة تمتاز عن الرجال بحمل عبء آخر شديد الخطورة في الدنيا وعظيم الأثر في العقبى .

فالمرأة بالإضافة إلى كونها تشترك مع الرجال في اجتياز هذه الساعة الامتحانية تعتبر مادة من أهم موادها الامتحانية ذاتها .

ذلك لأن الشهوات على اختلافها هى المنزلق الامتحانى الذي بسط به وجه هذه الدنيا ، وإنما المرأة - بتقرير الله تعالى وصريح بيانه - أول نوع من هذه الشهوات أوليس هو القائل ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[آل عمران: ١٤] فقد عد الله النساء في أول مراتب الشهوات التي وضعها زينة وابتلاء في طريق الناس . ولولا أنها تفوق سائرها في الخطورة والأهمية ما جعل مرتبتها في الذكر قبلهن جميعا . وإذن فالمرأة في حياة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوى على الإطلاق ، وسر ذلك أن جميع الآثام التي حظرها الله تعالى على عباده ليس بينها وبين الإنسان أى انسجام فطرى . فالظلم بأنواعه المختلفة محرم ويعين الإنسان على تجنبه أن الفطرة الإنسانية تشمئز منه ، وشرب الخمر محرم ويهون من أمر تحريمه أن الفطرة الإنسانية الأصيلة تعافها ، وكذلك السرقة ، والغش ، والغيبة ، والنميمة وبقية المحرمات الأخرى كلها لا تتفق مع مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة ، ولا يجنح إلى شيء منها إلا من ابتلى بشذوذ أو انحراف في طبيعته وفطرته لسبب من الأسباب التي قد تطرأ في حياة الإنسان . وإنما يستثنى من هذا العموم شيء واحد فقط هو الغريزة الجنسية في كل من الرجل والمرأة ، فهى على الرغم من كونها تدفع إلى ارتكاب محظور يعد في ذروة المحاظير الشرعية - ما لم ينضبط بحدود وقيود معينة - تعتبر من أخص مستلزمات الفطرة الإنسانية وأهم متطلباتها ولا سبيل لأى إنسان ما دام إنسانا طبيعيا لا شذوذ فيه إلى أن ينفك عنها أو يسمو فوقها . ومن خلال هذه المقارنة تستطيعين أن تدركى بأن الشهوة الجنسية في الإنسان أخطر ابتلاء دينى في حياته . إذ في الوقت الذي تقف الفطرة الإنسانية فيه عونا على تطبيق حكم الله بالنسبة للمعاصى والمنكرات ، فإنها تقف بالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها أو عاجزة - في أحسن الأحوال - عن أن تكبح لجامها أو تقلل شيئا من هياجها . وبناءً على ذلك فإن العلاج الإسلامى بالنسبة لسائر المعاصى يكمن في مزيد من الابتعاد عنها والاستعلاء فوقها . أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة فقد كان

العلاج هو الارتواء منه وإمتاع الغريزة به، ولكن ضمن حدود مرسومة معينة لا يتجاوزها. فهذا معنى قولنا إن المرأة أخطر مادة امتحانية في حياة الرجل على الإطلاق. وربما تقولين ولم لا يعتبر الرجل أيضا أخطر مادة امتحانية في حياة المرأة ما دام الشعور الجنسى شائع بينهما، وبذلك يتساوى عبء كل من الرجل والمرأة وتتكافأ مهامها؟!.

والجواب: إن الفاطر الحكيم جل جلاله أقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة أكثر من أن تكون طالبة فهى مهما استشعرت إلحاحا غريزيا في كيانها تظل ميالة - بدافع من عوامل نفسية أصيلة لديها - إلى أن تتحصن بمركز الانتظار والاستعلاء، وأن تفرض على الرجل ظروفا وأسبابا تجعله يلح في طلبها والسعى وراءها، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة للمرأة. وقد قرر رسول اللهﷺ تلك الحقيقة باختصار في قوله: «**ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء**». متفق عليه.

وإذن قد فرغنا من إيضاح هذه الحقيقة فلتعلمى أن أمر هذه الفتنة التي ابتُلى بها الرجل تشديداً وتهويناً - عائد عليك. فالمرأة تستطيع إذا شاءت أن تجعل من شأن نفسها بلاء صاعقا للرجل لا يكاد يجد سبيلاً للنجاة منه.

وتستطيع أن تجعل من شأن نفسها عوناً له على السير في طريق السلامة والنجاة.

ومن هنا كان أخطر الوظائف الإسلامية التي كلف الله بها المرأة، أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى لا يقعوا في رهق من أمر البلاء أو الامتحان.

وقد تم الإجماع على أن المرأة لا تحرز رضا الله تعالى عنها بعمل من الأعمال الصالحة، كما تحرزه بالسعى في سبيل يعين الرجل على الاستقامة الخلقية وضبط نوازعه الشهوانية، ولا تتسبب لغضب الله تعالى عليها بعمل من الأعمال المحرمة كما تتسبب إلى ذلك بالسعى في سبيل أن تثير في الرجل نوازعه الشهوانية وتقصيه عن أسباب الاستقامة والعفة الخلقية.

وما كان أكثر أهل النار النساء - بإخبار النبى عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح، إلا جملة عوامل، من أهمها: أنهن لا يتقين الله تعالى في هذه الوظيفة الخطيرة التي ناطها الله تعالى بهن.. انتهى.

ثالثاً: أقوال لا رصيد لها: ثم ذكر... فضيلة الشيخ محمد سعيد البوطى في كتابه - السالف ذكره «**إلى كل فتاة تؤمن بالله**» شبها يحتج بها الشيطان بنوعيه، وزخرف القول غروراً أمام المرأة المؤمنة، حتى يصدها عن سبيل الله، ويمنعها من ارتداء ما أمرها الله به، فقال أثابه الله تحت عنوان: أقوال لا رصيد لها(١) ما مختصره(٢): ومهما يكن من أمر هذه الشبه الباطلة، فإن لأعداء هذا الدين حججاً وأقوالاً أخرى، يتأملون أن يدعموا بها باطلهم، ولكنها أقوال لا رصيد لها من المعنى

(١) اكتفيت فقط باختصار جانب الرد على تلك الشبه.
(٢) أختصر كثيراً في هذه النقطة.

الذي يمكن أن يتقبله العقل السليم .

وما أكثر ما ضلت فتيات مؤمنات، عن رشد العقل، بهذه الأقوال المرصوفة الخادعة، وما أكثر ما تبين لهن أنها أباطيل خادعة، ولكن ذلك لم يتبين لهن إلا بعد أن أدى الأمر بهن إلى نهاية لا طاقة لهن على الرجوع عنها، بل إلى أودية سحيقة لا سبيل لهن إلى التسامي فوقها ! وإنني - أيتها الأخت المؤمنة سأعرض لك جميع هذه الأقوال بزخرفها الخادع ثم أجردها أمامك من زيفها اللصيق، لترى عظيم ما فيها من الخداع والتضليل، حتى إذا تبين لك ذلك كنت أقدر على الصمود في وجه الباطل الذي تتعرضين له، وأكثر ثباتاً وصلابة على الحق الذي تغترين به .

١ - يقولون لك : إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء، يلقى ويسدل على جسمها، وكم من فتاة محتجبة عن الرجال في ظاهرها، وهى تمارس معهم البغى والفجور في سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها أو سلوكها .

وأقول لك : إن هذا صحيح، فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة، ولا أن تخلق له استقامة معدومة، ورب فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟

ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من لم تلتزمه فهى فاجرة تنحط في وادى الغواية مع الرجال؟

إن الله جل جلاله إنما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين تقع أبصارهم عليها، لا حفظاً على عفتها من الأعين التي تراها . . ولئن كانت تشترك معهم هى الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان، فإن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل - تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة - إن للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها؟ .

إن بلاء الرجال بما يقع عليه أبصارهم من مغريات النساء وفتنتهن، هو المشكلة التي أحوجت المجتمع إلى حل، فكان في فضل الله ما تكفل به على أفضل وجه . وبلاء الرجال، إذا لم يجد في سبيله هذا الحل الإلهي، ما من ريب أنه سيتجاوز بالسوء إلى النساء أيضاً، ولا يغنى عن الأمر شيئاً أن تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامة في سلوكها أو عفة في نفسها، فإن في ضرام ذلك البلاء الهائج في نفوس الرجال، ما قد يتغلب على كل استقامة أو عفة تتمتع بها المرأة إذ تعرض من فنون إثارتها وفتنتها أمامهم .

٢ - ويقولون لك : إنه إذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة، تهذبت طباع كل منهما، وقامت بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه إلى جنس ولا تنحرف نحو سوء . أما إذا ضرب بينهما بسور من الاحتجاب، فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغرى كلا منهما بصاحبه فيشيع من ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع .

وأقول لك : صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا من ثمارها، خلال مرحلة طويلة من الزمن، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها، وبدهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا فوقها، ولكن لأنهم قد بشموا بها ولأنهم يشبعون[1] كل يوم منها .

إن رؤية المناظر والمواقف الجنسية المثيرة في بلدة كالسويد مثلاً، تعتبر أمراً عاديًا لا يثير استغراباً ولا استهجاناً بالنسبة لأولئك الذين نشئوا أو عاشوا في تلك الأجواء، فهل يعنى ذلك أنهم قد تجاوزوا طبيعة التأثير بدواعي الانحراف وأسبابه، فهم لا ينحطون إليها ولا يتأثرون بها؟ . أي مجنون من الناس يقول هذا؟ .

كلنا يعلم أن هذا الذي يمر بالمشاهد الجنسية المكشوفة هناك، غير عابئ بها، ولا ملتفت إليها، قد تجده بعد ساعة يمارس العملية نفسها في مكان آخر، وهكذا فإن عدم الاكتراث والتأثر بمظاهر الإغراء، إنما هو نتيجة انتشار اللذة رخيصة في كل مكان، وليس نتيجة فهم معين أو جديد لما قد تبصره عيناه، والذي يتصور تحقق الزهد في الجنس، دون أن يكون نتيجة لانتشاره وإباحته، إنما هو كمن يتصور إمكان زهد الجائع في الطعام بمجرد أن تتناثر أطباقه الشهية أمام عينيه في واجهات المحلات عن يمين الشارع ويساره .

وإنما (الصداقة) كلمة يطلقها هؤلاء الناس على تلك الفترات التي يلتقط فيها الأصدقاء أنفاسهم بعد انجراف طويل في أدغال الحيوانية والإباحية المطلقة .

إنها لحقيقة ثابتة يعرفها (الأصدقاء) قبل أن يعرفها الآخرون ! .

والكبت . . أيهما يورث الكبت؟ أن يخرج الشاب إلى شأنه من وظيفة أو عمل أو دراسة، فلا تقع عينه على ما يثير شيئاً من كوامن غريزته، فيعود إلى بيته، هادئ النفس، مستريح البال، نشط الفكر، أم أن يخرج من بيته فتستقبله مغريات الجنس من كل جانب وصوب، وبكل أسلوب وفن، فتهتاج نفسه وتثور غرائزه، حتى إذا دنا ليمتع نفسه وتثور غريزته اصطدم بحواجز القانون، ورقابة البوليس، وشهامة الزوج أو القريب[2] ؟ .

٣ - ويقولون لك : إن حجاب المرأة عائق عن مشاركتها الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية، وإنما أولى الخطوات إلى أى نشاط فكرى أو اجتماعى، أن تسفر الفتاة عن وجهها، وتحطم ما بينها وبين الرجل من حواجز واعتبارات .

---

(١) أقول - لأنهم - عافانا الله وإياهم . يملون منها، اللهم لا تشبع فروج المسلمين إلا من حلال .

(٢) أكثر هذه الحواجز، حاجز الخوف من الله تعالى . وفى تفسير ابن كثير : عن مجاهد قال : كتب إلى عمر، يا أمير المؤمنين : رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهى المعصية ويعمل بها؟ فكتب عمر رضى الله عنه : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها : ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ مختصر ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٩ .

كما أن أول السبيل للقضاء على ملكتها واستعداداتها الفكرية والاجتماعية المختلفة، أن تحبس نفسها في قفص هذا الحجاب، وتضع بينها وبين الرجل حاجزاً مما تسميه الستر والآداب.

وما يتحدث أحدهم عن جهل المرأة، وتخلفها، إلا ويجعل من صورة المرأة المتحجبة مظهراً لذلك.

وما يتحدث عن ثقافة المرأة، وتقدمها، ونشاطها الفكرى والاجتماعى، إلا ويجعل من صورة المرأة العارية أو السافرة مظهراً لذلك.

وأقول لك : إننى أجزم بأن هذا التلازم المختلق، إنْ هو إلا بهتان كبير لا أساس له ولا دليل عليه . . وإن كل مطلع على التاريخ، يعلم أن تاريخنا الإسلامى مليء بالنساء المسلمات اللاتى جمعن بين الإسلام أدباً واحتشاماً وستراً، وعلما وثقافة وفكراً، وذلك بدءاً من عصر الصحابة فما دون ذلك، إلى عصرنا الذي نعيش فيه.

٤ - ويقولون لك : إن الفتاة التي تحبس نفسها عن الناس من وراء الحجاب، إنما تحرم بذلك شبابها بل حياتها من سعادة الزواج، فالشاب إنما يقبل على الفتاة التي يعجب بها، وإنما يعجبه منها - قبل كل شيء - جمالها، وما يتصل به من مظاهر شخصيتها، وأنى له أن يطمئن إلى ذلك منها إذا لم يتهيأ له أن يراها وأن يخلط نفسه بطرف من شأنها وطباعها؟ . . . وكيف يتهيأ له ذلك إذا كانت تأبى إلا أن تحبس نفسها وراء سور البرقع والحجاب؟

تلك هى حجة الأمهات لبناتهن، تحسب الواحدة منهن أنها تجلب الخير بذلك لابنتها، وتقرب السبيل لها إلى اختيار فتى أحلامها، ويزيد في ذلك اندفاعاً إغراءات جنود الشيطان من حولها، يستغلون لديها هذه الرغبة فيزيدون من مخاوفها إن تزيت ابنتها بلباس الإسلام، ويدعمون آمالها إن هى تحررت منه وانساحت بين صفوف الشباب، تعرض من زينتها عليهم، وتخلط نفسها بهم . .

وأقول لك : إنها لخدعة باطلة توحى بعكس الواقع والحقيقة . . خدعة يصوغها دعاة الباطل على علم، وتنطلى على أفكار الفتيات وأمهاتهن جهلاً وخداعًا.

ولو تأملت الواقع الذي نعيش فيه، لرأيت نسبة الإقبال على الأسر والفتيات المحافظات للزواج منهن أكثر بما يقارب الضعف، من الإقبال على الأسر المتحررة اللاتى يطبقن الوصفة الخادعة التي اغتررن بها، بل إن الزواج - عموماً - يشيع بين الأسر المحافظة المتدينة أكثر مما يشيع بين الأسر الأخرى، بنسبة تزيد على الضعف، يعلم تفصيل ذلك كل من يرجع إلى الإحصائيات المفصلة في هذا الشأن.

ولأوضح لك الأسباب القريبة والبعيدة لهذا الشأن، حتى تزدادى يقيناً بحكمة الخالق جل جلاله، وبأن الإنسان لن يجد مصلحته مكلوءة بعناية وحفظ إلا في تطبيق شرع الله عز وجل : إن الشاب في مجتمعنا لا يعدو أن ينتمى إلى أحد صنفين :

الصنف الأول : متدين في الجملة ، فهو متقيد بآداب الإسلام ومعظم أحكامه ولا سيما الاجتماعية منها والبارزة ، فالشاب من هذا الصنف لا بد أن يتزوج فيما بين العشرين والثلاثين من عمره ، لا يستثنى من ذلك إلا أصحاب الظروف الاستثنائية الخاصة ، والزواج في اعتبار مثل هذا الشاب بمثابة ساعة الإفطار للصائم ، فيحشد له جميع آماله الدنيوية في الحياة ، ويجعل منه ركيزة سعادته كلها .

والشاب من هذا الصنف يبحث عن الفتاة كما يحبها ، ولكن ضمن دائرة الستر والصيانة التي آمن بها ونشأ في داخلها ، وحتى لو بعدت به الظروف عن هذه الدائرة في بعض الأحيان لأسباب مما قد يمتحن به الشاب ، فإنه لا يطمئن للفتاة التي ستصبح أمًّا لأولاده إلا إذا رأى طابع الدين والستر جليًّا وأصيلاً في حياتها .

وهذا الشاب لن يصطدم بمشكلة الجهل أو عدم الاطمئنان إلى خلقها ، فإن شريعة الله عز وجل قد حلت له المشكلة عندما شرعت له ، بل أمرته أمر إرشاد وندب أن ينظر إليها ويكلمها(١) ، حتى إذا شعر من نفسه أنه لم ينل حظًّا كافياً في المرة الأولى لمعرفتها ، وتبين ما ينبغى أن يطمئن إليه منها ، كان له أن يعاود النظر ثانية وثالثة .

الصنف الثانى : متفلت عن سلطان الدين وأحكامه ، فهو لا يبالى أن يمتع نفسه بحظوظها كلما تسنى له ذلك ، لا فرق بين أن ينالها من حل أو حرام ، فالشاب من هذا الصنف إن تزوج فهو إنما يدخر زواجه إلى أواسط عهد الكهولة أو آخرها ، ولن تجد واحداً من هؤلاء تزوج قبل سن الخامسة والثلاثين ، إلا أن يكون ذلك لظروف استثنائية نادرة .

والزواج في اعتبار مثل هذا الإنسان ، كرجوع السائح إلى داره بعد نزهة استنفدت المتعة فيها كل نشاطه وطاقاته ، حتى إذا أدركه الملل والجهد ، عاد إلى داره يبغى فيها الراحة والهدوء . . فهو - وقد نال من صنوف اللذات مغنماً بدون مغرم - إنما يريد من الزوجة الآن أن تعينه على راحة ينشدها أو قرار يتطلبه ، أكثر من أن يريد بالزواج متعة يشترك مع الزوجة فيها وسعادة يلتقى مع الزوجة على ارتشافها .

وما أكثر ما تظاهر بالرغبة في الزواج من قبل ، فانجذبت الفتيات إليه من هنا وهناك ، كل تعرض له ما عندها من زينة ورقة وجمال على مذهب هؤلاء المخدوعات اللائى يحسبن أن الفتاة لا يمكن أن تعثر على الزوج الذي تبغيه إلا في الشارع الذي تتعرى فيه ، فتذوق من هذه وتلك وتيك ونال ما يبغيه منهن - كما قلنا : غنيمة بدون مغر - إذ تنتهى بكل منهن خليلة اليوم ، ثم نبذها وراء ظهره حليلة الغدا .

وبين الرجل والمرأة فارق في التسابق إلى حظوظ النفس - فلما يتبينه الناس - تكون المرأة هى الخاسرة فيه دائمًا ، إذ المرأة مهما تحللت من قيود الدين والآداب ، فإنها لا تصل إلى قمة سعادتها إلا

(١) هذا كله مع مراعاة أحكام الخطبة ، خاصة وجود المحرم .

في ظلال بيت تصبح أمًّا سعيدة فيه، والرجل مهما كان شأنه، إنما تهفو نفسه إلى نعيم تصفو فيه لذاته عن كدور الغرامة أو المسئولية أو الجهد، ولا يفطم نفسه عن التعليق بذلك إلا دين يتحكم بمجامع قلبه، فإذا فقد الدين فإن الرجل والمرأة يلتقيان على مائدة تكون المرأة دائماً هى الطرف المغلوب فيها.

وحصيلة هذا الكلام كله، واقع مشاهد ملموس لا يحتاج لرؤيته إلا إلى تأمل وانتباه، وهو أن نسبة الذين يقبلون على الزواج من الشبان المتدينين تزيد على ضعف نسبة من يقبلون عليه من المتحللين أو المتحررين، والمتدينون لا يتزوجون إلا في الحجر الصالح، ولا يتعلقون إلا بجمال زانه خلق وستر ودين، ونتيجة لذلك فإن العنوسة لا تشيع - في أعم الأحوال - إلا في الأسر التي شاءت أن تتفلت عن منهج الدين وحكمه وتربيته.

يا أختى المؤمنة، إن فيما أوضحته لك ما يكفى لإقناعك - بالمنطق السليم الذي لا التواء فيه - بأن اتباع شريعة الله تعالى لا يضمن لك بلوغ مرضاة الله فحسب، بل هو يضمن لك إلى جانب ذلك تحقيق أسباب سعادتك الدنيوية كلها، والسعادة ليست في تحقيق الخيال الذي تتصورين، وإنما هى في الواقع الذي يورثك الطمأنينة ويشيع في حياتك الارتياح والرضا.

أما وقد تبين لك كل ذلك، فقد آن لك أن تنهضى لاستجابة حكم مولاك العظيم، وأن تصطلحى مع الله عز وجل بعد طول نسيان وتنكر له، فتتخذى من صراطه سبيلاً إليه، ومن حبه شفيعاً بين يديه.. دعى انتقاد الناس وحسابهم، فإن حساب الله غداً أشد وأعظم.

ترفعى عن السعى إلى مرضاتهم وتحقيق أهوائهم، فإن التسامى إلى مرضاة الله أسعد لك وأسلم، ولسوف - تجدين - وأنت تعزمين على الرجوع إلى صراط الله - من يحاول أن يرهق مشاعرك تخديراً تحت وطأة هذه «التقاليع» التي أحاطت بك كما تحيط خيوط العنكبوت بضحيتها الحبيسة، وأن يذكرك بفلانة التي كانت تبرز مفاتنها أمام الرجال، وفلانة التي كان لها (صالونها) الأدبى البارز بين الناس.

وأما أنا [1] فأذكرك بالحكم الإلهى الواضح، الذي نقلته لك بأمانة، وبهذا الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ إذ يقول: « **صنفان من أمتى لم أرهما قط: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة (أى كسنام الجمل) لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا** ». رواه مسلم والإمام أحمد.

ولسوف تجدين أيضاً من يذكرك بجمال هذه الدنيا ومغريات الارتواء من لذائذها وزينتها! ولكنى أذكرك بخطورة عقباها، وجسامة ما ينتظرك من آثارها ونتائجها..

(١) مازال الكلام لفضلية الشيخ البوطى أثابه الله تعالى.

أذكرك بيوم الدين، إن كنت قد آمنت بوجوده . .

أذكرك باليوم الذي يصدق فيه قول الله تعالى وهو يخاطب طائفة كبيرة من الناس : ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف:٢٠]، أذكرك بذلك كله، فإن ذلك أدعى إلى أن تتلمسى لنفسك سعادة الدنيا والآخرة معاً [١] انتهى كلام فضيلة الشيخ البوطى .

رابعاً - وا رباه يا أختاه :

١ - من يعيب عليك أنك تتحجبين من أجل الزواج، كمن يعيب عليك أنك تجمعين المال من أجل الحج مع محرم .

٢ - لا تظنى أن التبرج سبيل إلى الزواج، فإن ما عند الله تعالى لا ينال إلا بطاعته .

٣ - بقدر ما تبتعدين عن مخالطة الرجال [٢] ومزمار الشيطان [٣] بقدر ما تقتربين من الله وفرج الرحمن .

تنبيه :

من النادر أن توجد امرأة مؤمنة ترتدى زى الإسلام قد جاوزت سن الخامسة والعشرين دون زواج . وأكرر ما قلته في المقدمة : إن المسألة ليست مسألة إقناع بقدر ما هى مسألة إيمان وامتثال، فالأمر إذن، أمر إيمان بالغيب قبل الصلاة والزكاة والحجاب، فإن الله تعالى يقول في وصف المؤمنين : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣] فكلما زاد الإيمان زاد الامتثال، وكلما ضعف الإيمان ضعف الامتثال، وأيضاً كلما زاد الامتثال زاد الإيمان وكلما ضعف الامتثال ضعف الإيمان، وما وصل أبو بكر الصديق إلى ما هو عليه، وحب الله ورسوله ﷺ له إلا بقوة الإيمان والامتثال، انظر إلى كلامه المأثور عندما أخبر بإسراء الرسول ﷺ : « **إن كان قد قال فقد صدق** » .

خامساً : كلمة أخيرة للشيخ البوطى :

كلمة أخيرة، يجب أن أتجه بها إلى اللواتى استيقنت أفئدتهن الحق الذي بينته، غير أن الواحدة منهن تشعر ببعد النقلة بين الواقع الذي تعيش فيه والحق الذى آمنت به، فتركته آسفة الى الوضع الذي تعيش فيه، وتعتذر إلى الله أو إلى الناس، بأنها عاجزة عن مثل هذا القفز البعيد .

وهكذا، فإن في الناس طائفة كبيرة من المنحرفين والمنحرفات، لا يمسكهم على انحرافهم ويمنعهم من السعى إلى إصلاح حالهم إلا ما يرونه من بعد الفجوة وعمقها بين الكمال الذي يسمعون عنه والواقع الذي يعيشون فيه، ولكن هذا التصور خاطئ . . فإن الفاصل الذي بين الحق والباطل،

---

(١) كتاب «إلى كل فتاة تؤمن بالله» للشيخ البوطى ص ٨١: ٩٥ .

(٢) مراعاة أحكام المحارم .

(٣) مزمار الشيطان: اسم من أسماء الغناء كما سيأتى بإذن الله .

إنما يتمثل في الفرق بين أدنى طرف من الباطل وأول درجة من درجات الحق، وفرق ما بينهما لفتة صغيرة وحركة بسيطة.

إن الحق الذي أوضحناه في الصفحات الماضية، ليس نهاية مستقلة تقبع في قمة السمو والكمال، ولكنه سلم ذو درجات متقاربة، تبدأ أولاها عند طرف الباطل الذي تعيشين فيه، وتقف الأخيرة عند نهاية الكمال الذي يشدك إليه تشريع الله وحكمه، وإنما المطلوب منك - بعد أن تنبهت إلى الحق - وآمنت به - أن تتحركى صاعدة في درجاته، لا أن تقفزى قفزة واحدة إلى نهايته . .

إذا كنت لا تملكين من الطاقة والإرادة أو الظروف المساعدة ما تفرضين به على نفسك حجاباً سابغاً للجسم والوجه، فلتفرضى على نفسك ما دون ذلك مما تساعدك عليه الظروف والأحوال، وإذا كنت لا تجدين طاقة كافية لتغيير أى شيء من لباسك وهيئتك، مهما كانت منحرفة وبعيدة عن الله عز وجل، فلتفرضى على نفسك ما دون ذلك أيضاً، من أداء العبادات المفروضة، وتلاوة شيء من كتاب الله بتدبر خلال كل صباح ومساء، وإذا كنت عاجزة عن الارتباط حتى بهذا القدر في سبيل الإصلاح فلتفرضى على نفسك ما دون ذلك من استشعار خطورة الحال التي أنت فيها والالتجاء إلى الله تعالى بقلب صادن واجف، تسألينه العون والقوة، فإن صدق الالتجاء إلى الله ينبوع النصر والتوفيق . . وما سار إلى الحق أحد بادئاً بخطوة من هذه الخطا متجها إلى الله بصدق وعزم، إلا وفقه الله تعالى في السير إلى نهاية الطريق والوصول إلى مجامع ذلك الحق.

وإنما المصيبة كل المصيبة أن تعلمي الحق، وتؤمنى به، ثم لا تتجهى إليه بخطوة ولا بعزم، كأن الأمر ليس مما يعنيك في شيء، أو كأن الذي شرع هذا الحق وأمر به لن تطولك يده، ولن يبلغ إليك بطشه وسلطانه، أو كأن الآخرة وما فيها أهون من أن يتخلى الإنسان في سبيلها عن شيء من أمانيه وأهوائه.

مثل هذا الحال، يعتبر أعظم سبب لاستمطار غضب الله تعالى والتعجيل بعقوبته. وعقوبة الدنيا هنا لا تتمثل في بلاء عاجل يحيق بالإنسان، وإنما تتمثل في إنغلاق العقل، وقسوة القلب، فلا يؤثر في أحدهما تذكير ولا تخويف ولا تنبيه، مهما كانت الأدلة واضحة والنذر قريبة، حتى إذا جاءه الموت تخطَّفه وهو على هذا الحال، فينقلب إلى الله تعالى، وقد تحول انغلاق عقله وقسوة قلبه إلى ندم يحرق الكبد في وقت لا ينفع فيه الندم ولا رجوع فيه إلى الوراء.

وقد عبر الله تعالى عن هذه العقوبة وسببها بقوله : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ فإذا كنت تؤمنين بالله فلا ريب أنك تؤمنين بشريعته، وباليوم الآخر الذي هو يوم الحساب والجزاء.

وإن من مستلزمات هذا الإيمان، أن تضعى الكلام الذي سردته عليك في هذه الرسالة موضع الجد والاهتمام من تفكيرك، حتى إذا أيقنت أننى لم أخدعك بباطل من القول، ولم أضع بين يديك

إلا الحقيقة الصافية التي يتمثل فيها حكم الله عز وجل - كان عليك أن تنهضي إلى تطبيق هذا الحكم بالسير في مراحله المندرجة، فإن رأيت أن حبال الدنيا وأهواءها، وتقاليد الصديقات والقريبات، تشدك إلى الخلف وتصدك عن النهوض بأمر الله فلا أقل من أن تفيض الحسرة في قلبك من ذلك فيسوقك الألم إلى باب الله تعالى وأعتاب رحمته، لتعرضى له ضعفك وتجأري إليه بالشكوى، أن يهبك من لدنه قوة وتوفيقاً، وأن يمنحك العون لتتحررى عن سلطان نفسك وسلطان التقاليد والعادات، وسلطان الأقارب والصديقات.

أما إن لم ينهض بك الإيمان إلى هذا ولا إلى ذلك، ولم يتحرك القلب الذي وراء ضلوعك بأى تأثر واهتمام لكل هذا الذي حدثتك به - فلتكونى في شك من إيمانك بوجود الله تعالى، ولتعلمى أنك تسيرين - إن استمر تلك الحال - إلى نهاية رهيبة وليس منها مخلص ولا مفر، ولتعلمى أن سكر الدنيا مهما كان لذيذاً فيوشك أن تفجأك منها ساعة صحو وانتباه، وإنها والله لقريبة منك.

ولتعلمى أن مذاقها مهما كان طيباً فإن في نهايتها غصة ستأخذ منك بالحق وإنها والله لمقبلة إليك.. ثم اعلمى أنه ما من شاب يبتلى منك اليوم بفتنة تغريه أو تشغل له باله، وكان بوسعك أن تجعليه في مأمن منها إلا أعقبك منها غداً نكال من الله عظيم.

فاذكرى في آخر هذه الرسالة ما قد نبهت إليه في أولها، من أن المرأة في حياة الرجل أخطر ابتلاء دنيوى له على الإطلاق، فاجعلى من تقوى الله تعالى في سلوكك عوناً للرجل على السعي في سبيل مرضاة الله، ولا تجعلى من الإمعان في معصية الله عوناً له على السير في طريق الشيطان[1].

والله المستعان في الهداية والتوفيق... انتهى كلام فضيلة الشيخ البوطى أكرمه الله تعالى.

تنبيه وكلمة:

الكلام عن شروط الحجاب، وحكم تغطية الوجه، سيأتى بإذن الله تعالى في فصل مستقل، ولقد شاء الله تعالى، أن أطلق على هذا الجزء الخاص بالمرأة «**توبة المرأة**» لأن توبة المرأة لا تتحقق بالصلاة والزكاة والصيام فحسب، وإنما مع ذلك كله بالالتزام بالحجاب الشرعى الذي أمرها الله به، فظاهر المرأة بالنسبة للتوبة جزء من باطنها، فكأن النقاط السابقة التي تتحدث عن التوبة تشترك فيها المرأة مع الرجل، أما النقطة الأخيرة فهى نقطة خاصة بالمرأة، ويمكننى بعد ذلك كله أن أقول: وبفضل الله تعالى: إن توبة المرأة الظاهرة لا تقل أهمية عن توبتها الباطنة، فالتوبة الباطنة علاقة بينها وبين ربها، أما التوبة الظاهرة فعلاقة بينها وبين ربها من ناحية، وعلاقة بينها وبين العباد من ناحية أخرى، وذلك لأنها بتبرجها فتنة للمسلمين، فتعدى ذنبها من نفسها إلى العباد، فهى بذلك ظالمة لنفسها من ناحية، عاصية لربها من ناحية ثانية، وظالمة للعباد من ناحية ثالثة.. إن خروج المرأة من بيتها بدون حجاب يعنى أن هناك عداداً من السيئات كعداد الكهرباء لا

(١) كتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله: ص ٦٩: ١٠١.

يتوقف إلا بدخولها في بيتها أو في مكان شرعى تتوارى فيه عن أعين العباد. . . فيا أَمَةَ الجبَّار، أفيقى من غفلتك وسارعى إلى مغفرة من ربك وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. واقتحمى حصن الشيطان الرجيم، وانسفيه بالذكر الحكيم، وارتدى حجاب رب العالمين من قبل أن يأتى يوم. . ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

* * *

الباب الثاني الدنيا

أولا – قال الله تعالى : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[التكاثر :١-٨] .

جاء في مختصر ابن كثير ما مختصره :

يقول تعالى : أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت، وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها.

عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر :١] عن الطاعة ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[التكاثر :٢] «حتى يأتيكم الموت»(١) . وقال الحسن البصري : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر :١] في الأموال والأولاد، وعن أبي بن كعب قال : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر :١] يعني : « **لو كان لابن آدم واد من ذهب** »(٢) . وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير قال : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : « ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر :١] يقول ابن آدم : مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»(٣) . وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يقول العبد : مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**»(٤) .

وروى البخاري عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**(٥) .

وعن أنس أن النبي ﷺ قال : «**يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان : الحرص والأمل**»(٦) ، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس أنه رأى في يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل : لي، فقال : إنما هو لك إذا أنفقته في أجر، أو ابتغاء شكر، ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك

وقوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[التكاثر :٣-٤] قال الحسن البصري : هذا وعيد بعد وعيد، وقال الضحاك : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[التكاثر :٣] يعني أيها الكفار : ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[التكاثر :٤] يعني أيها المؤمنون وقوله تعالى : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾[التكاثر :٥] أي لو

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٢) رواه البخاري في الرقاق.
(٣) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي.
(٤) تفرد به مسلم.
(٥) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.
(٦) أخرجاه في الصحيحين.

علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال : ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر :٦-٧] هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر :٣-٤] توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة، خر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر :٨] أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته (١) . انتهى .

ثانياً – قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طـــه: ١٣١-١٣٢] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور وقال مجاهد : ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر :٨٨] يعنى : الأغنياء، فقد آتاك خيرا مما آتاهم . ولهذا قال : ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه :١٣١] . وفى الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن، فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصير، وليس في البيت إلا صبرة من قرظ (٢) واهية معلقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء، فقال له رسول الله ﷺ : «**ما يبكيك يا عمر؟**»، فقال : يا رسول الله ﷺ إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه ! فقال : «**أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا**» . فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئاً لغد .

عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : «**إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا**» . قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال : «**بركات الأرض**» (٣) . وقال قتادة والسدى ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه :١٣١] : يعنى زينة الحياة الدنيا . وقال قتادة ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه :١٣١] لنبتليهم، وقوله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه :١٣٢] أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها، كما قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم :٦] . وقوله : ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعنى إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ولهذا قال : ﴿لَا

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى جـ٣ ص ٦٧١ : ٦٧٣.
(٢) صبرة مجموعة، قرظ، ورق السلم، وهو شجر شائك يستعمل ورقه فى دبغ الجلود.
(٣) أخرجه ابن أبى حامد عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا.

نَسْئَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه :١٣٢] وقال الثورى : لا نسألك رزقا : أى لا نكلفك الطلب . وقال ابن أبى حاتم عن ثابت قال : كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى فى أهله : «يا أهلاه صلوا ، صلوا» قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ، وقال رسول الله ﷺ : «**يقول الله تعالى : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك**» (١) . وعن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره ، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة**» ، وقوله : ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه :١٣٢] أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله (٢) . انتهى .

ثالثا - يقول رسول الله ﷺ : «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله - تعالى - جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء**» . رواه الترمذي وصححه .

* * *

(١) الحديث أخرجه الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة .
(٢) ١٣١ ، ١٣٢ طه ، وراجع مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص.٤٩٩

الباب الثالث: الموت

قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧] .

جاء في مختصر منهاج القاصدين ما مختصره : اعلم[1] أن المنهمك في الدنيا المكب في غرورها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه . . .

وعلى كل حال، ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك في الدنيا قد يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا، لأن ذكره ينغص عليه نعيمه ويكدره .

فضل ذكر الموت : قال الله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أكثروا من ذكر هادم اللذات : الموت». رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

واعلم : أن خطر الموت عظيم، وإنما غفل الناس عنه لقلة فكرهم وذكرهم له ومن يذكره منهم إنما يذكره بقلب غافل، فلهذا لا ينجع فيه ذكر الموت، والطريق في ذلك أن يفرغ العبد قلبه لذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطرة، أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا في ذلك وأنفع طريق فى ذلك ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيذكر موتهم ومصارعهم تحت الثرى .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : السعيد من وعظ بغيره . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا ذكر الموتى فعد نفسك كأحدهم .

وينبغى أن يكثر دخول المقابر ومتى سكنت نفسه إلى شيء فى الدنيا فليتفكر في الحال أنه لا بد من مفارقته، ويقصر أمله .

وقد روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**». وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

وعن أبى زكريا التيمى قال : بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أتى بحجر منقوش، فطلب من يقرؤه، فإذا فيه : ابن آدم ! لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد والنسب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين: ص ٣٨٢: ٣٨٩.

واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان :

أحدهما : حب الدنيا .

والثاني : الجهل .

أما حب الدنيا : فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأماني الباطلة، فيمني نفسه أبدا بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا، وما يحتاج إليه من مال وأهل ومسكن وأصدقاء وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر، فيلهو عن ذكر الموت، ولا يقدر قربه . فإن خطر له الموت في بعض الأحوال والحاجة إلى الاستعداد له، سَّوف بذلك ووعد نفسه، وقال : الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر قال : إلى أن يصير شيخا، وإن صار شيخا، قال : إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار، وعمارة هذه الضيعة، أو يرجع من هذه السفرة . فلا يزال يسوِّف ويؤخر ولا يحرص في إتمام شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال، وهكذا على التدرج يؤخر يوما بعد يوم، ويشتغل بشغل بعد شغل، إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبو، فتطول عند ذلك حسرته .

وأكثر صياح أهل النار من «سوف» يقولون : وا حسرتاه ! من «سوف» وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها، والغفلة عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «**أحبب ما شئت فإنك مفارقه**» .

السبب الثاني : الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب، أو ليس يفكر المسكين في أن مشايخ بلده لو عدوا كانوا أقل من العشر؟ وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، وإلى أن الموت يأتي فجأة، وإن استبعد ذلك، فإن المرض يأتي فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا، ولو تفكر وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص، من صيف وشتاء، وربيع وخريف، وليل ونهار، ولا هو مقيد بسن مخصوص، من شاب وشيخ أو كهل أو غيره، لعظم ذلك عنده واستعد للموت .

فصل : في تفاوت الناس في طول الأمل

والناس متفاوتون في طول الأمل تفاوتاً كثيراً منهم من يأمل البقاء إلى زمان الهرم ومنهم من لا ينقطع أمله بحال ومنهم من هو قصير الأمل، فروى عن أبى عثمان النهدى أنه قال : بلغت ثلاثين ومائة سنة وما من شيء إلا قد عرفت فيه النقصان إلا أملى فإنه كما هو .

وحكى في قصر الأمل أن امرأة حبيب أبى محمد قالت : كان يقول لى - تعنى أبا محمد - إن مت اليوم فأرسلى إلى فلان يغسلنى ويفعل كذا وكذا، واصنعى كذا وكذا، فقيل لها : أرأى رؤيا؟ قالت : هكذا يقول كل يوم .

وعن محمد بن أبى توبة قال : أقام معروف الصلاة ثم قال لى : تقدم، فقلت : إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها، فقال معروف : أنت تحدث نفسك أنك تصلى صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل.

فهذه أحوال الزهاد في قصر الأمل وكلما قصر الأمل جاد العمل لأنه يقدر أن يموت اليوم، فيستعد استعداد ميت فإذا أمسى شكر الله تعالى على السلامة، وقدر أنه يموت تلك الليلة فيبادر إلى العمل.

وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ**».

وعنه : أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه : «**اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**». وقال عمر رضي الله عنه : التؤدة في كل شيءخير إلا ما كان من أمر الآخرة. وكان الحسن يقول : عجباً لقوم أمروا بالزاد. ونودى فيهم بالرحيل حبس أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون.

وقال سحيم مولى بنى تميم : جلست إلى عبد الله بن عبد الله فأوجز في صلاته، ثم أقبل على وقال : أرحنى بحاجتك فإنى أبادر. فقلت : وما تبادر؟ قال : ملك الموت. وكان يصلى كل يوم ألف ركعة.

وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن فكان ابن عمر يقوم في الليل فيتوضأ ويصلى ثم يغفى إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى، ثم يغفى إغفاء الطير، ثم يقوم ويصلى، يفعل ذلك مراراً، وكان عمير بن هانئ يسبح كل يوم مائة تسبيحة وقال أبو بكر بن عياش : ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

ذكر شدة الموت:

اعلم : أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول سوى الموت لكان جديراً أن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره وتطول فيه فكرته والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات فانتظر أن يدخل عليه جندي يضربه خمس ضربات فكدرت عليه عيشه ولذته، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو غافل عن ذكر ذلك وليس لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

اعلم : أن الموت أشد من ضرب السيف وإنما يصيح المضروب، ويستغيث لبقاء قوته، وأما الميت عند موته فإنه ينقطع صوته من شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وغلب على قلبه وعلى كل موضع منه وضعفت كل جارحة فيه فلم يبق فيه قوة الاستعانة، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستعانة وتجذب الروح من جميع العروق ويموت كل عضو من أعضائه تدريجيا فتبرد

أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه حتى تبلغ الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره إلى الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**». رواه أحمد.

حسن الظن بالله تعالى:

وفي الحديث الصحيح: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**».

وروى أن النبي ﷺدخل على رجل - وهو يموت - فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال: «**ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو، وأمن من الذي يخاف**». والرجاء عند الموت أفضل، لأن الخوف سوط يساق به وعند الموت يقف البصر، فينبغي أن يتلطف به ولأن الشيطان يأتي حينئذ بسخط العبد على الله فيما يجرى عليه ويخوفه فيما بين يديه فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان التيمي لابنه عند الموت: يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا احسن الظن به. انتهى

فائدة: كفي في ذكر الموت قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

ذكر ابن كثير رحمه الله: وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد، فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله ملكا يفصل بينهما، فيقول لهما: إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير، والآخر ضرير دخلا بستانا، فقال المقعد للضرير: إنى أرى ها هنا ثمارا ولكن لا أصل إليها فقال له الضرير أركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدى؟

فيقولان: كلاهما فيقول الملك فإنكما قد حكمتما على أنفسكما يعنى أن الجسد للروح كالمطية وهى راكبة [1].

* * *

(١) قال الصابوني: رواه ابن منده في كتاب الروح ولم يشر له ابن كثير بضعف.

الباب الرابع الصلاة

قال الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة :٤٣] .

ومن افضل ما جاء في فضل الصلاة والمحافظة عليها الأحاديث التالية :

١ – عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء** »؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : « **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » . متفق عليه

٢ – عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فقال الرجل : ألي هذا؟ «قال لجميع أمتى كلهم» . متفق عليه .

والمعنى كما جاء في تفسير ابن كثير : إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة . ومنه قوله ﷺ: « **إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث** » . جزء من حديث رواه أحمد .

٣ – عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : « **سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله** » رواه مسلم .

٤ – وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة** » . رواه مسلم .

٥ – وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيءقال الرب عز وجل انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل منها ما انتقص من الفريضة؟ ثم يكون سائر أعماله على هذا** » . رواه الترمذى وقال حديث حسن .

٦ – عن أم المومنين أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى له بيتاً في الجنة أو : إلا بنى له بيت في الجنة . رواه مسلم . وفى رواية الترمذى : . . . أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر** » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

٧ – عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة** » . متفق عليه . الفذ : يعنى الواحد .

٨ – عن على رضي الله عنه قال : الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ولكن سن رسول الله ﷺ

قال : « **إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن** » . رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

أولاً - جاء في مختصر منهاج القاصدين ما مختصره :

واعلم : أن للصلاة أركانا وواجبات وسننا ، وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب ، فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة ، لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان ، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة ، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم ، ولم يكن القلب حاضراً لم يحصل المقصود ، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقى صورة لا اعتبار بها . قال الله تعالى ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ . والمقصود أن الواصل إلى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي استولى على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة ، فلا بد من حضور القلب في الصلاة ، ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ ، لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها . والمعانى التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة .

المعنى الأول : حضور القلب كما ذكرنا ، ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ، وسبب ذلك الهمة ، فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة ، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة ، وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا ، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة ، فاعلم أن سببه ضعف الإيمان فاجتهد في تقويته .

والمعنى الثانى : التفهم لمعنى الكلام فإنه أمر وراء حضور القلب ، لأنه ربما كان القلب حاضراً مع اللفظ دون المعنى ، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها ، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تصرف الخواطر عنها .

المعنى الثالث : التعظيم لله والهيبة ، وذلك يتولد من شيئين : معرفة جلال الله تعالى وعظمته ، ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة ، فيتولد من المعرفتين : الاستكانة ، والخشوع .

ومن ذلك الرجاء : فإنه زائد على الخوف ، فكم من معظم ملكا يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره .

والمصلى ينبغي أن يكون راجيا بصلاته الثواب ، كما يخاف من تقصيره العقاب . وينبغى للمصلى أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة ، فإذا سمع نداء الموذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة ، ولينظر ماذا يجيب ، وبأي بدن يحضر ، وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق ، فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق ، وليس لها عنه ساتر ، وأنها يكفرها الندم ، والحياء ، والخوف .

وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك ، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها ، كذلك القلب لا

ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه .

وإذا كبرت أيها المصلى ، فلا يكذبن قلبك لسانك ، لأنه إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت ، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر ، بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى .

فإذا استعذت ، فاعلم أن الاستعاذة هى لجأ إلى الله سبحانه ، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوا ، وتفهم معنى ما تتلو ، واحضر التفهم بقلبك عند قولك : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة :٢]، واستحضر لطفه عند قولك : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وعظمته عند قولك ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة :٤] ، وكذلك في جميع ما تتلو .

وقد روينا عن زرارة بن أبى أوفى (رضي الله عنه) أنه قرأ في صلاته : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر :٨] فخر ميتا ، وما ذلك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف . واستشعر في ركوعك التواضع ، وفى سجودك زيادة الذل ، لأنك وضعت النفس موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق .

واعلم : أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ ، وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود ، وتطلع على أسراره وما يعقلها إلا العالمون . فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها ، فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده . انتهى من مختصر منهاج القاصدين [١] .

فائدة :

قال الإمام أحمد [٢] في رواية مهنا بن يحيى : إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة ، فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلام عندك ، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك .

ثانياً - تساؤلات :

هناك تساولات بعضها يوحيها الشيطان إلى المسلم حتى يصده عن ذكر الله وعن الصلاة كما قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة :٩٠-٩١] .

فما هى هذه التساولات :

س١ : قد يقول قائل : طالما أن القلب سليم فغير مهم الصلاة ، المهم القلب ، ثم يشير بيده إلى قلبه ويقول : التقوى هاهنا ، وقد يحتج أيضاً ويقول : يا أخى إنما الأعمال بالنيات؟

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٩ : ٣٢ .

(٢) راجع كتاب «الصلاة» لابن القيم رحمه الله ص٩٥ لذا قال العلماء العاملون : إن من بركة العلم أن ينسب لقائله .

وفى الواقع أن هذا غير صحيح لعدة أوجه :

١ - أن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة :٢٧٧] وهذا دليل على أن الإيمان قول وعمل .

٢ - أن النبى ﷺ الذي قال : إن التقوى هاهنا ، هو نفس النبى الذي أمرك بالصلاة .

٣ - أن الذي يتأمل قول النبى ﷺ في الصحيح : « **إنما الأعمال بالنيات** » . يتضح له من منطوق الحديث أن هناك عملاً ونية فلا يقبل أى عمل إلا بشرطين :

الأول : أن يكون هذا العمل في ظاهره على موافقة السنة ، كصلاة الظهر مثل يجب أن تكون أربع ركعات لا أكثر ولا أقل .

الثانى : أن يكون هذا العمل في باطنه يقصد به وجه الله عز وجل ، أن تكون الصلاة - في مثالنا السابق - خالصة لوجه الله تعالى لا بقصد الرياء .

قال الفضيل في قوله تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود :٧] قال : أخلصه ، وأصوبه وقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً . وقال : والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف :١١٠] .

ثم هل يستطيع الإنسان الذي لا يصلى أن يقول : إنما الأكل بالنيات ولا يأكل؟ كقوله إنما الأعمال بالنيات ولا يصلى؟ .

فائدة: روى عن ابن مسعود قال : لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنية ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة .

س٢ : قد يقول قائل : يا أخى العمل عبادة!

والواقع أن الإنسان لا يثاب على أى عمل إلا بعد الصلاة ، حتى ولو بنى مسجداً في كل مكان ، وأعطى كل مسلم آلاف الدنانير ، فلا يثاب على ذلك إلا بعد الصلاة ، لحديث النبى ﷺ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر** » . الحديث أخرجه الترمذى .

واعلم أن المسلم يثاب بعد صلاته على كل شيء يريد به وجه الله تعالى حتى جماع زوجته ، لقول النبى ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم : « . . . **وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله ﷺ : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إن وضعها في الحلال كان له أجر** » .

وقد يوذن الموذن وتقول للرجل : حى على الصلاة فيقول لك كما قال أولاً : العمل عبادة : ثم يأتى بعد ذلك ويقول - عن غير علم - إن رسول الله ﷺ دخل المسجد فوجد رجلاً جالساً فقال له :

من الذي يصرف عليك؟ قال : أخي : فقال : أخوك أفضل منك .

والواقع أن هذا الحديث موضوع، فالرسول ﷺ بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب بل قد جاء في باب «**اليقين والتوكل**» في «**رياض الصالحين**» ما رواه الترمذي بإسناد صحيح على شرط مسلم وصححه الأرنؤوط، عن أنس قال : كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ، وكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف «**أي يكتسب ويتسبب**» فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ فقال : « **لعلك ترزق به** »

فيا عبد الله : لا تتأخر لحظة عن الصلاة، فهذه الدنيا زائلة، والإنسان غنى بالطاعة، فقير بالمعصية . وكما يقولون ما افتقد شيئاً من وجد الله، وما وجد شيئاً من افتقد الله، فلو أن الإنسان مع الله، فهو أغنى الناس، وإن كان لا يملك إلا الخبز، ولو أنه بعيد عن الله وحيزت له الدنيا بأكملها، فهو أفقر الناس . . . . . يا عبد الله تذكر نداء القبر لك : يا ابن آدم أنا بيت الوحشة، أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الانفراد، أنا الذي من دخلني طائعاً كنت اليوم عليه رحمة، أنا الذي من دخلني عاصياً كنت اليوم عليه نقمة .

فإذا كنت يا أخي ممن لم يسبق لهم الصلاة، فاستبق الخيرات واسجد لرب الأرض والسموات . ويمكنك أن تصلي بالفاتحة فقط إذا لم تكن حافظاً لآيات أخرى من القرآن وفي البداية لا يشترط أن تكون حافظاً للتشهد « **أي التحيات**» ويمكنك أن تصلي الفرض وبعد فترة تصلي السنن .

وإذا كنت لا تتذكر عدد ركعات الصلاة في كل فرض، فالمسألة بسيطة، وهي أن تتذكر ما يلي : قبل أن تطلع الشمس ركعتان «**صلاة الصبح**» وعندما تغيب الشمس ثلاث ركعات «**صلاة المغرب**» وباقي الأوقات الظهر والعصر والعشاء كل فرض منها أربع ركعات .

س٣ : قد يقول قائل : إن فلاناً رجلا يصلي ولكن معاملته غير طيبة !

والواقع أنه ليس هناك أحد يعتبر حجة على الإسلام إلا الرسول ﷺ لأن الله تعالى يقول : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر :٧] أضف إلى ذلك، أن هذا الشخص يسيء بمعاملته غير الطيبة إلى الإسلام، فأنت تصلي وتعامل الناس معاملة حسنة حتى تحسن تلك السمعة . أضف إلى ذلك، أن هذا الرجل صلاته ستنهاه يوماً ما كما جاء في حديث الرجل الذي كان يقوم من الليل، ولكنه كان يسرق فقال النبي ﷺ : « **ستنهاه ما تقول** » . هكذا في مشكاة المصابيح ورواه البزار .

س٤ : قد يقول قائل : إن فلاناً رجل يصلي، ولكن الله تعالى قد ضيق عليه الحال فليس عنده مال، ولا سيارات، ولا عقارات . . . . على العكس من فلان فإنه لا يصلي ولكن الله يعطيه! .

والواقع أن عطاء الله تعالى لإنسان ليس دليلاً على محبته، كما أن منع الله تعالى له ليس دليلاً على بغضه .

قال ابن القيم رحمه الله : « فهو سبحانه أعلم بمواقع الفضل، ومحال التخصيص، ومحال الحرمان، فبحمده وحكمته أعطى، وبحمده وحكمته حرم، فمن رده المنع إلى الافتقار إليه،

والتذلل له وتملقه، انقلب المنع في حقه عطاء. ومن شغله عطاوه وقطعه عنه، انقلب العطاء في حقه منعاً، فكل ما شغل العبد عن الله فهو مشئوم عليه، وكل ما رده إليه فهو رحمة به». [(١)]. انتهى.

وفى مسند احمد: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه. . . . . . .**». ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

س٥: إحذر إبليس:

قد يحدث أن الإنسان إذا بدأ في الاتجاه إلى الله خاصة الصلاة، قد يحدث أن الله تعالى يبتليه بمصيبة، فيأتيه الشيطان ويقول له: عندما بدأت الصلاة، نزلت عليك المصائب من كل جانب، ثم يزين له ترك الصلاة حتى يبتعد عن المصائب حسب ظنه، فعليك أن تعلم أنها هدايا في صورة بلايا، وكما جاء في الأثر: «**أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، وأيضاً**: «**من عبادى من أحب دعاءهم وأنا أبتليهم ليقولوا يا رب**».

س٦: قد يقول قائل: والله أنا مستعد للصلاة، ونفسى أصلى، ولكنى أستحى أن أسأل عن كيفية الصلاة!

وهنا عليك أن تعلم أن الدين يضيع بين الحياء والكبر. أضف إلى ذلك، هل أنت أفضل من النبى ﷺ؟ فقد كان جبريل عليه السلام يعلمه الصلاة في بداية فرضيتها.

س٧: قد يقول قائل: أنا أعرف الصلاة بمفردى، ولكنى لا أعرف كيف أصلى جماعة، وأخشى أن يضحك الناس على!

والواقع أن الناس سوف لا يضحكون عليك بإذن الله تعالى، وإن ضحك بعضهم فإن هذا لا يساوى ضحك الخلائق أجمعين على العبد يوم القيامة، إذا كان العبد - والعياذ بالله - من أهل الحسرات، وأشد من ذلك أن تكون الفضيحة أمام رب العالمين.

س٨: قد يقول قائل: أنا أريد الصلاة، ولكن صاحب العمل يمنعنى منها، بحجة أن ذلك يضيع وقت العمل!

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وقال رسول الله ﷺ: «**لا طاعة لأحد في معصية الله تعالى إنما الطاعة في المعروف**». رواه البيهقى بسند صحيح كذا في صحيح الجامع.

---

(١) زاد المعاد لابن القيم: جـ٢ ص. ٣٦١

س٩ : قد تقول امرأة : إنها لا تصلي ، لأن عندها رضيعاً ، ويتبول عليها ، فما حكم بول الرضيع؟

جاء في فقه السنة للشيخ الجليل سيد سابق ما يلي : وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بول الغلام ينضح عليه وبول الجارية يغسل** » . ينضح : أي يرش .

قال قتادة : وهذا ما لم يطعما فإن طعما غسل بولهما . رواه أحمد - وهذا لفظه - وأصحاب السنن إلا النسائي . قال الحافظ في الفتح : وإسناده صحيح . ثم إن النضح إنما يجزئ ما دام الصبي يقتصر على الرضاع أما إذا أكل الطعام على جهة التغذية فإنه يجب الغسل بلا خلاف [١] انتهى .

س١٠: ما حكم كل من المستحاضة ، ومن به سلس بول ، أو انفلات ريح ، أو غير ذلك من الأعذار؟

جاء في فقه السنة ما يلي : المستحاضة ومن به سلس بول أو انفلات ريح أو غير ذلك من الأعذار : يتوضئون لكل صلاة إذا كان العذر يستغرق جميعالوقت أو كان لا يمكن ضبطه وتعتبر صلاتهم صحيحة مع قيام العذر [٢] . انتهى .

تنبيه :

الاستحاضة : هي استمرار نزول الدم وجريانه في غير أوانه . [٣] كذا في فقه السنة .

س١١ : ما حكم كل من المني ، والمذي ، والودي؟

جاء في فقه السنة ما مختصره :

١ - المني : ويستحب غسله إذا كان رطبا ، وفركه إن كان يابسا ، قالت عائشة رضي الله عنها : كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابسا وأغسله إذا كان رطبا . أي الموضع الذي أصابه المني (هذا من ناحية الثوب ، أما من ناحية الغسل) فيجب الغسل لخروج المني بشهوة في النوم أو اليقظة من ذكر أو أنثى وهو قول عامة الفقهاء ، لقوله ﷺ : « **الماء من الماء** » . رواه مسلم . أي الاغتسال من الإنزال . (ويراعى ما يلي) :

(أ) إذا خرج المني من غير شهوة بل لمرض أو برد فلا يجب الغسل .

(ب) إذا احتلم ولم يجد منيا فلا غسل عليه لكن إذا خرج بعد الاستيقاظ وجب عليه الغسل .

(ج) إذا انتبه من النوم فوجد بللا ولم يذكر احتلاما فإن تيقن أنه مني فعليه الغسل احتياطا وقال مجاهد وقتادة : لا غسل عليه حتى يوقن بالماء الدافق ، لأن اليقين بقاء الطهارة فلا يزول بالشك .

(د) أحس بانتقال المني عند الشهوة فأمسك ذكره فلم يخرج فلا غسل عليه لكن إن مشى فخرج منه المني فعليه الغسل .

(هـ) رأى في ثوبه منيا لا يعلم وقت حصوله وكان قد صلى ، يلزمه إعادة الصلاة من آخر نومة له إلا أن يرى ما يدل على أنه قبلها فيعيد من أدنى نومة يحتمل أنه منها .

---

(١) فقه السنة : جـ١ ص ٣٦ ، ٣٧ . (٢) فقه السنة : جـ١ ص ١٠٠ .

(٣) فقه السنة : جـ١ ص ١٤٨ مع التنبيه إلى أن المستحاضة تختلف عن الحائض .

٢ - الودى : وهو ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول وهو نجس من غير خلاف . قالت عائشة : أما الودى فإنه يكون بعد البول فليغسل ذكره وأنثيه ويتوضأ ولا يغتسل .

٣ - المذى : وهو ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير في الجماع أو عند الملاعبة وقد لا يشعر الإنسان بخروجه ويكون من الرجل والمرأة إلا أنه من المرأة أكثر وهو نجس باتفاق العلماء إلا أنه إذا أصاب البدن وجب غسله وإذا أصاب الثوب إكتفى فيه بالرش بالماء لأن هذه النجاسة يشق الاحتراز عنها لكثرة ما يصيب الشاب العزب فهى أولى بالتخفيف من بول الغلام [١] انتهى .

ثالثاً - قيام الليل :

قال الله تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات :١٧-١٨] .

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا جنة ربكم بسلام** ». رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وفى مختصر منهاج القاصدين :

قال الله تعالى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. ويقول النبى ﷺ : « **عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومغفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم** ». وفى فضله أحاديث كثيرة .

وقال الحسن البصري رحمه الله : لم أجد من العبادة شيئا أشد من الصلاة في جوف الليل فقيل له : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها؟ فقال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره (قال بعض علماء الحديث : من طال قيامه بالليل حسن وجهه بالنهار) .

فصل في الأسباب الميسرة لقيام الليل

اعلم أن قيام الليل صعب إلا من وفق للقيام بشروطه الميسرة له . فمن الأسباب ظاهر ومنها باطن :

فأما الظاهر : فألا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول : يا معشر المريدين، لا تأكلوا فتشربوا، كثيرا فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرا .

ومنها : ألا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة .

ومنها : ألا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على قيام الليل [٢] .

---

(١) فقه السنة: جـ١ ص٣٧، ٣٩، ١٠٧، ١١٠.

(٢) ومن أعظم ما يعين على قيام الليل: النوم على طهارة، والمواظبة على أذكار النوم خاصة التسبيح وقراءة آية الكرسي -كما سيأتي إن شاء الله -تعالى- في باب الذكر- فمن كان آخر كلامه قبل النوم ذكر الله تعالى، سهل عليه القيام، وإن انتهيت من النوم وكسلت عن القيام فأذن إذانا يسمع اليقظان ولا يوقظ النائم، فالأذان يطرد الشيطان، وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة

ومنها : أن يجتنب الأوزار .

قال الثورى : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته .

وأما الميسرات الباطنة :

فمنها : سلامة القلب للمسلمين ، وخلوه من البدع ، وإعراضه عن فضول الدنيا .

ومنها : خوف غالب يلزم القلب من قصر الأمل .

ومنها : أن يعرف فضل قيام الليل .

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى ، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه وأنه حاضره ومشاهده فتحمله المناجاة على طول القيام .

قال أبو سليمان رحمه الله : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ قال : « **إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد . مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أتاه إياه وذلك كل ليلة** » . انتهى من مختصر منهاج القاصدين . وروى عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قالت أم سليمان بن داود عليهما السلام لسليمان : يا بنى لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تجعل الرجل فقيرا يوم القيامة [١] .

* * *

ذهب حتى يكون مكان الروحاء» . قال الراوي : و (الروحاء) من المدينة على بعد ستة وثلاثين ميلا . وهو أيضا -أي الأذان- ذكر ، والذكر يحل من عقد الشيطان فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة . فإن توضأ انحلت عقدة . فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» متفق عليه . وقافية الرأس : مؤخره .

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه .

الباب الخامس الدعاء

قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

الفصل الأول : فضل الدعاء

(أ) جاء في تحفة الذاكرين [(١)] ما مختصره : قال رسول الله ﷺ: « **الدعاء هو العبادة** ». ثم تلا قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ . . .﴾ [غافر:٦٠]. رواه ابن حبان في صحيحه. وقال الشوكاني رحمه الله : فالدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه ثم قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر:٦٠]فأفاد بذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له ورازقه وموجده من العدم وخالق العالم كله ورازقه ومحييه ومميته ومثيبه ومعاقبه ! فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون وشعبة من كفران النعم.

(هناك عدة أحاديث ذكرها المولف بعضها فيه ضعف ولكنها من الفضائل بالشروط التي اتفق عليها علماء الحديث) :

(أ) قال رسول الله ﷺ : « **من فتح له باب الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة** ». رواه ابن أبى شيبة في مصنفه. ولعل المراد - والله أعلم - إن من فتح الله له باب الإقبال على الدعاء بخشوع وخضوع وتضرع وتذلل كان هذا الفتح سببا لإجابة دعائه.

(ب) قال رسول الله ﷺ : « **لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة** ». رواه الحاكم في المستدرك والبزار.

والحاصل: أن الدعاء من قدر الله عز وجل فقد يقضى الشيء على عبده قضاء مقيدا بألا يدعوه فإن دعاه اندفع عنه.

(ج) قال رسول الله ﷺ : « **من لم يسأل الله يغضب عليه. رواه الترمذي**.

قال رسول الله ﷺ : «**من لم يدع الله غضب عليه**». مصنف ابن أبى شيبة.

(د) قال رسول الله ﷺ : « **لا تعجزوا من الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد** ». رواه ابن حبان.

---

(١) راجع تحفة الذاكرين للشوكاني: ١٩،٢٤ خصوصا شرح هذه الأحاديث وجاء في مدارج السالكين:

قالوا اشتكوا إليه ... ما ليس يخفى عليه؟
فقلت ربي يرضى ... ذل العبيد لديه

(هـ) قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء**» . رواه الترمذي .

(و) قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يرفع عنه من السوء مثلها** » . أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة وأخرجه أيضا الحاكم وقال صحيح الإسناد [١] .

(ب) الدعاء يدفع المكروه :

جاء في (الجواب الكافى) لابن القيم رحمه الله ما مختصره :

وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا . فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا . وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليه كما في مستدرك الحاكم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه** » .

فهذا (الدعاء) دواء نافع مزيل للداء، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته، وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها كما في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المومنين بما أمر به المرسلين فقال :** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المومنون :٥١] وقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة :١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟ وذكر عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه : أصاب بنى إسرائيل بلاء، فخرجوا مخرجا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم : إنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون إلي أكفا قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد غضبى عليكم لن تزدادوا منى إلا بعداً .

وقال أبو ذر : يكفى من الدعاء البر ما يكفى الطعام من الملح .

والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل . وهو سلاح المومن كما روى الحاكم في مستدركه من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الدعاء سلاح المومن وعماد الدين ونور السماوات والأرض .

* * *

---

(١) راجع شرح هذه الأحاديث بالتفصيل فى تحفة الذاكرين .

وله مع البلاء ثلاث مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمتى كان سلاحاً تاما لا آفة به والساعد ساعدا قويا والمانع مفقودا حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فإن كان في نفسه غير صالح أو الداعى لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحمل الأثر .

سؤال هام مشهور :

وها هنا سوال مشهور وهو : أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به أو لم يدع وإن لم يكن قد قدر لم يقع ، سواء سأله العبد أو لم يسأله؟ [(١)] . فظنت طائفة صحة هذا السوال فتركت الدعاء وقالت لا فائدة فيه وهولاء - مع فرط جهلهم وضلالهم - متناقضون . فلو اطرد مذهبهم لوجب تعطيل جميع الأسباب . فيقال لأحدهم : إن كان الشبع والري قد قدرا لك . فلا بد من وقوعها أكلت أو لم تأكل وإن لم يقدرا لك لم يقعا ، أكلت أو لم تأكل ، وإن كان الولد قد قدر لك فلا بد منه . وطئت الزوجة أو الأمة أو لم تطأها ، وإن لم يقدر لم يكن ، فلا حاجة إلى التزوج والتسرى ، وهلم جرا ، فهل يقول هذا عاقل أو آدمى؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه ، وحياته فالحيوانات أعقل وأفهم من هولاء الذين هم كالأنعام ، بل هم أضل . . .

والصواب : أن ههنا قسما ثالثا : غير ما ذكره السائل ، وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه : الدعاء فلم يقدر مجردا عن سببه ولكن قدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور ، وهذا كما قدر الشبع والرى بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر ، وقدر خروج نفس الحيوان ، بذبحه وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ، ودخول النار بالأعمال وهذا القسم هو الحق وهذا الذي حرمه السائل ولم يوفق له ، وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال : لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال : لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب .

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله وأفقههم في دينه ، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوه ، وكان أعظم

(١) كما يقال مثلا : طالما أن الله تعالى قد كتب على هذه البلوى ، فلا فائدة من الدعاء .

جنده، وكان يقول للصحابة : « **لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء** ». وكان يقول : « **إنى لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء . فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه** » وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال :

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من جود كفيك ما علمتنى الطلبا

بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا بذلك .

فإن الجوع والعطش والبرد، وأنواع المخاوف والمحاذير هى من القدر، والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا من وفقه الله وألهمه رشده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة فهذا هو القدر المخوف في الدنيا وما يضاده فرب الدارين واحد، حكمته واحدة، لا تناقض بعضها بعضا ولا يبطل بعضها بعضا فهذه المسألة من أشرف المسائل لمن عرف قدرها ورعاها حق رعايتها والله المستعان [١] انتهى .

فائدة:

قال كعب الأحبار : أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعطهن قبلها إلا نبى : كان إذا أرسل الله نبيا قال له : أنت شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة :١٤٣] وكان يقال له : ليس عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج :٧٨] وكان يقال له : أدعنى أستجب لك، وقال لهذه الأمة : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٢] .

الفصل الثانى

آداب الدعاء

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره :

١ - آكدها تجنب الحرام مأكلا ومشربا وملبسا، (وقد تقدم الكلام عن هذه النقطة لابن القيم رحمه الله فأغنى عن أن آتى بها من تحفة الذاكرين) [٣]

٢ - الإخلاص لله تعالى لقوله تعالى : ﴿فَٱدْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر :١٤] .

٣ - تقديم عمل صالح، يدل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة كما في الصحيحين وغيرهما، فإن النبى ﷺ حكى عنهم : أنهم توسل كل واحد منهم بأعظم أعماله التي عملها لله عز وجل، فإنه استجاب الله دعاءهم وارتفعت عنهم الصخرة، وكان ذلك بحكايته ﷺ لأمته سنة (معنى ذلك أنك إذا قمت بعمل تظن أنه مقبول عند الله تعالى : فيمكنك ان تقول : اللهم

---

(١) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم رحمه الله: ص٧ ، ١٨.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير: جـ٣ ص ٢٤٩ . (٣) راجع تحفة الشوكانى: ص٣٤، ٣٩ .

إن كنت تعلم أن هذا العمل - كبكاء مرة من خشية الله أو إعانة محتاج أو تفريج كربة . . - خالصا لوجهك ففرج عنى ما أنا فيه .

٤ - الوضوء : وقد صح أنهﷺ لما سلم عليه بعض الصحابة تيمم من جدار الحائط ثم رد عليه، وإذا كان هذا في مجرد رد السلام، فكيف بذكر الله سبحانه، فإنه أولى بذلك، وأخرج أبو داود من حديث ابن عباس عنهﷺ : « **كرهت أن أذكر الله إلا على طهر** ». وصححه ابن خزيمة، والدعاء ذكر .

ويقولﷺ : « **من كانت له حاجة إلى الله عز وجل أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى بما هو أهله يصلى على النبىﷺ** ». أخرجه الحاكم في المستدرك . (هذا الحديث دليل على صلاة الحاجة) .(١)

٥ - استقبال القبلة : وقد استقبلهاﷺ في دعائه في غير موطن كما في يوم بدر، أخرجه مسلم وغيره .

٦ - الصلاة : كما ذكر المولف من حديث النبىﷺ : « **ثم ليصل ركعتين** ».

٧ - الثناء على الله تعالى : « **ثم ليثن على الله بما هو أهله** »، يقول : الحمد لله (وقد تقدم) .

٨ - الصلاة على نبيهﷺ : « **وليصل على النبى** ». (وقد تقدم) .

٩ - بسط يديه ورفعها حذو منكبيه لقول رسول اللهﷺ : « **إن الله حيى كريم يستحى إذا رفع الرجل يديه إليه أن يردهما خائبتين** ». أخرجه أبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

١٠ - التأدب والخشوع والمسكنة : فأما ما يدل على التأدب ما رواه مسلم من حديث على رضي الله عنه وفيه : « **أنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى** ». وأما ما يدل على الخشوع : ما رواه ابن أبي شيبة من قول مسلم بن يسار قال : لو كنت بين يدي ملك تطلب حاجة لسرك أن تخشع له، وأما ما يدل على المسكنة : ما ورد عن النبى صلىﷺ في أحاديث الاستسقاء .

١١ - أن يسأل بأسماء الله تعالى العظام الحسنى ويدل على ذلك قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف :١٨٠] وقد ذكر المولف أن العلماء قد اختلفوا في تعيين اسم الله الأعظم على نحو أربعين قولا، ولكن أرجح ما ورد في تعيين الاسم الأعظم، ثلاثة أحاديث ذكر منها مولف المتن اثنين وذكر الشارح (أي الشوكانى) الاسم الثالث :

أ - «اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد». أخرجه أبو داود والترمذى وابن حبان وصححه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه : أن رسول اللهﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إنى

(١) سيأتى الكلام عنها بإذن الله تعالى .

أسألك . . . . فقال : «لقد سألت الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب» .

ب - «اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ياحى يا قيوم» . الحديث أخرجه أهل السنن الأربعة وابن حبان وصححه ولفظ ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : سمع النبى ﷺ رجلا يقول : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد . . . فقال رسول الله ﷺ : «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى» .

ح - «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» . الحديث أخرجه الترمذى والحاكم في المستدرك وأحمد في المسند ولفظ الترمذى : قال رسول الله ﷺ : «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» . وزاد الحاكم في طريق عنده : فقال رجل : يا رسول الله ، هل كانت ليونس خاصة أم للمومنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ : «ألا تسمع قول الله عز وجل ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء :٨٨] أي يونس ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾» .

١٢ - الأدعية المأثورة (مثال ذلك : من كان عليه دين ، فلو أنه قال : اللهم اقض ديني ، فهذا خير ، ولكن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ هنا : ما رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه أن مكاتباً له جاءه فقال إني عجزت عن كتابتي ، فأعني ، فقال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً إلا أداه الله عنك ، قل : «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك» .

١٣ - ويخفض صوته لحديث : «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا» . وهو في الصحيحين .

١٤ - ويعترف بذنبه : لقوله ﷺ في حديث على رضي الله عنه عند مسلم : ظلمت نفسى «واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعها» .

١٥ - ويبدأ بنفسه : لقول ابن عمر رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ : إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه . أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب . قال الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ .

١٦ - ولا يخص نفسه إن كان إماما لحديث : «لا يوم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فقد خانهم» . أخرجه الترمذى وحسنه (جاء في الهامش) : قال المصنف في «**مفتاح الحصن**» : وذلك فيما يؤمن المأمومون عليه من الدعاء كالقنوت فهو خيانة لهم ، أما إذا دعا لنفسه في السجود مثلا ، وهو إمام فليس بخيانة ا . ه .

١٧ - ويسأل بعزم ورغبة وجد واجتهاد لقوله ﷺ : «إذا دعا أحدكم فلا يقول : اللهم اغفر لى إن شئت وارحمنى إن شئت وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء ولا مكره له» . رواه البخارى .

١٨ - ويحضر قلبه ويحسن رجاءه : ووجه ذلك ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله تعالى أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل» .

١٩ - ويكرر الدعاء ويلح فيه : لقوله ﷺ : «إن الله يحب الملحين في الدعاء» . أخرجه ابن عدى في الكامل والبيهقى في الشعب، وأخرجه مسلم في صحيحه : أنه ﷺ : كان إذا دعا كرر ثلاثا .

٢٠ - ولا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم : لقوله ﷺ : «يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم . أخرجه مسلم» .

٢١ - ولا بأمر قد فرغ منه : وقد روى مسلم والنسائى ما يدل على ذلك من حديث أم حبيبة رضي الله عنها لما سمعها النبى ﷺ تدعو له ﷺ ولأبيها ولأخيها أن يمتعها الله بهم فقال ﷺ : «لن يعجل الله شيئا قد أجله» .

٢٢ - ولا بمستحيل : ووجه ذلك ان الدعاء بالمستحيل من الاعتداء في الدعاء وقد ثبت النهى القرآنى عنه فقال الله تعالى : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] .

٢٣ - ولا تحجر : ووجه ذلك أن النبى ﷺ لما سمع الأعرابي يقول : اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدا، قال له : «لقد تحجرت واسعًا» . وهو ثابت في الصحيح .

٢٤ - ويسأل حاجته كلها : لقوله ﷺ :«ليسأل أحدكم حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله» . أخرجه الترمذى وابن حبان .

٢٥ - ويومن الداعى والمستمع : وذلك لما روى عنه ﷺ لما سمع رجلا يدعو فقال : «وجب إن ختمه بآمين» . أخرجه أبو داود .

٢٦ - ولا يستعجل أو يقول : دعوت فلم يستجب لى : لقوله ﷺ في الصحيحين : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : دعوت فلم يستجب لى» .

٢٧ - والجثو على الركبتين : لم يثبت في هذه الهيئة شيء يصلح للاحتجاج به وقد روى ما يدل عليه عن أبى عوانة .

٢٨ - ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه (جاء في الهامش) وهل يمسح بهما (كفيه) وجهه كما في القنوت في الصلاة؟ فالأصح لا، لعدم وروده فيه، قال البيهقى : لا أحفظ فيه عن أحد من السلف شيئا، وإن روى عن النبى ﷺ خارج الصلاة، وقد روى عن النبى ﷺ خارج الصلاة خبر ضعيف، وأما فيها، فلم يثبت فيه لا خبر ولا أثر . انتهى من نسخة عدة الحصن الحصين .

٢٩ - ويتوسل إليه تعالى بأنبيائه والصالحين : أما التوسل بالصالحين : فمنه ما ثبت عن الصحابة في الصحيح، أنهم استسقوا بالعباس رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ وقال عمر رضي الله عنه : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، فالآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، ثم طلب من العباس أن يدعو الله فقام العباس فدعا الله تعالى، فسقاهم الله .

تنبيه :

سيأتي الكلام إن شاء الله تعالى عن حكم التوسل بالأنبياء بعد موتهم وما أنقله من كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه المسألة كرد على كلام الشوكاني .

الفصل الثالث

ما هى أوقات الإجابة؟

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره :

١ - ليلة القدر : لقولهﷺ : «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» . رواه الشيخان .

٢ - يوم عرفة : لقولهﷺ : «خير الدعاء يوم عرفة» . رواه الترمذى وحسنه .

٣ - شهر رمضان : لقولهﷺ : «ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر (وفى لفظ بعضهم : حتى يفطر) والإمام العادل ، ودعوة المظلوم» . أخرجه أحمد والترمذى وغيرهما وحسنه الترمذى .

٤ - ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه : «إن في ليلة الجمعة ساعة . . . الدعاء فيها مستجاب» . رواه الترمذى والحاكم وحسنه الترمذى وصححه الحاكم «ولقولهﷺ : وفيه أى يوم الجمعة ، ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه الله تعالى إياه ما لم يسأل حراماً» . رواه أحمد وابن ماجه ، قال العراقى إسناده حسن .

٥ - جوف الليل : لحديث أبى أمامة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أى الدعاء يسمع؟ قال : «جوف الليل ودبر الصلاة» . أخرجه الترمذى وحسنه .

٦ - ونصفه الثانى : «أى الليل» ، وثلثه الأول وثلثه الأخير . أخرج مسلم عن جابر قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة» . وفى الصحيحين : قال رسول اللهﷺ : «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفر له» .

٧ - وقت السحر : وهذا جزء من أجزاء ثلث الليل الآخر وقد تقدم في الصحيحين ما يدل على قبول الدعاء فيه .

٨ - عند النداء للصلاة لقولهﷺ : «ثنتان لا يردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً» . أخرجه مالك وأبو داود وزاد أبو داود : «وتحت المطر» . وأخرجه ابن حبان والحاكم وصححاه .

٩ - بين الأذان والإقامة لقوله ﷺ : «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»، قيل : ماذا نقول يا رسول الله؟ قال : «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»، أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه وأخرجه غيرهما.

١٠ - عند الإقامة : ولعل الوجه في ذلك أن الإقامة هى نداء إلى الصلاة كالأذان وقد تقدم مشروعية الدعاء مطلقا عند النداء.

١١ - عند التحام الحرب للحديث المتقدم، «وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا».

١٢ - دبر الصلوات المكتوبات (وقد تقدم حديث الترمذى عن أبى أمامة).

١٣ - وفى السجود : لقوله ﷺ : «**أقرب ما يكون العبد** من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»، أخرجه مسلم وغيره.

١٤ - عند تلاوة القرآن لا **سيما الختم : لقوله** ﷺ : **من قرأ القرآن** فليسأل الله فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس، **أخرجه الترمذى وحسنه، وأخرج** ابن أبي شيبة عن مجاهد : «إذا ختم القرآن نزلت الرحمة».

١٥ - عند **قول** الإمام ولا الضالين : لقوله ﷺ : «إذا أَمَّنَ **الإمام فأمنوا** فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». في الصحيحين.

١٦ - عند شرب ماء زمزم : لقوله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب له، وإن شربته تستشفى به شفاك الله وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهى هزمة جبريل وسقيا إسماعيل». رواه الدارقطنى والحاكم، وزاد الحاكم : «وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله»، ينطبق هذا الحديث والله أعلم على ما يحمل من ماء زمزم إلى البلاد.

١٧ - عند صياح الديكة لقوله ﷺ : «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا»، في الصحيحين وغيرهما.

١٨ - واجتماع المسلمين وفى مجالس الذكر : المراد باجتماع المسلمين في مجالس الذكر : لما رواه مسلم : قال رسول الله ﷺ : «لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». ولقوله ﷺ في خروج النساء يوم العيد : «وليشهدن الخير ودعوة للمسلمين». كما في الصحيحين.

١٩ - عند تغميض الميت : لحديث أم سلمة قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه فقال : «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله فقال : «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»، ثم قال : «اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه». أخرجه مسلم وأهل السنن.

٢٠ - الحضور عند الميت : ولعل وجهه ما أخرجه النسائى قال رسول الله ﷺ : «إذا حضر

المؤمن أتت ملائكة الرحمة». فيكون الدعاء عند حضور هولاء الملائكة مقبولاً.

٢١ - عند نزول الغيث: (وقد تقدم).

الفصل الرابع

الذين يستجيب الله تعالى دعاءهم وبم يستجاب؟

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره:

١ - المضطر: قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

٢ - المظلوم مطلقا ولو كان فاجرًا أو كافرًا: لقوله ﷺ: «ثلاث دعوات لا شك في إجابتها: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده». أخرجه الترمذى وحسنه، وفى الصحيحين يقول رسول الله ﷺ: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

٣، ٤ - الوالد على ولده والإمام العادل: (وقد تقدم).

٥، ٦ - الرجل الصالح، والمسلم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم.....، وقد تقدم في فصل فضل الدعاء: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم». لفظ المسلم يتناول لفظ الصالح تناولا أولويًا.

٧ - الولد البار بوالديه: ويدل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم، وكان أحدهم بارا بوالديه فتوسل إلى الله تعالى بذلك فأجاب دعاءه، وهذا الحديث في الصحيحين مطولا.

٨، ٩ - المسافر والصائم (وقد تقدم).

١٠ - المسلم لأخيه بظهر الغيب: لقوله ﷺ: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثل ذلك». أخرجه مسلم وغيره.

١١ - التائب: (لم يذكر المؤلف الحديث لضعفه).

الفصل الخامس

بم يستجاب الدعاء؟

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره:

١ - قال رسول الله ﷺ: «من تعار من الليل - أى استيقظ من النوم مع كلام - فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لى أو دعا استجاب الله له، فإن توضأ، وصلى قبلت صلاته». رواه البخارى في صحيحه.

٢ - أخرج الطبرانى في الكبير من حديث معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من دعا بهولاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، ولاحول ولا قوة إلا بالله».

٣ - سمع النبى ﷺ رجلاً يقول : يا ذا الجلال والإكرام فقال : «قد استجيب لك فسل». أخرجه الترمذى، وفى الحديث دليل على أن استفتاح الدعاء بقول : يا ذا الجلال والإكرام، يكون سببًا في الإجابة، وفضل الله واسع.

٤ - قال رسول الله ﷺ : «إن لله ملكًا موكلاً فيمن يقول : يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاث مرات قال له الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل». أخرجه الحاكم في المستدرك [١]. انتهى من تحفة الذاكرين.

٥ - جاء في جامع العلوم والحكم [٢] : قال يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا : ما من عبد يقول : يا رب يا رب إلا قال له ربه : لبيك لبيك. وعن عطاء قال : ما قال عبد يارب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه، فذكر ذلك للحسن فقال : أما تقرءون القرآن، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٤] انتهى من جامع العلوم والحكم.

الفصل السادس

علامة استجابة الدعاء

جاء في تحفة الذاكرين [٣] ما مختصره :

علامة استجابة الدعاء : الخشية، والبكاء، والقشعريرة، وربما تحصل الرعدة، والغشى والغيبة، ويكون عقيبه سكون القلب، وبرد الجأش، وظهور النشاط باطنًا، والحق ظاهراً، حتى يظن الداعى أنه كان على كتفيه حملة ثقيلة فوضعها عنه، حينئذ لا يغفل عن التوجه والإقبال والصدقة والإفضال والحمد والابتهال وأن يقول : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قال رسول الله ﷺ : «**ما يمنع أحدكم إذا عرف الإجابة من نفسه فتشفى من مرض أو قدم من سفر أن يقول : الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات**». أخرجه الحاكم في المستدرك، وأخرج البيهقى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إذا سأل أحدكم ربه مسألة فعرف

(١) تحفة الذاكرين للشوكاني: ٤٨، ٤٩.
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي: ٩٢ .
(٣) تحفة الذاكرين: ٥٨، ٥٩ .

الاستجابة فليقل : الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شيء فليقل : الحمد لله على كل حال» .

الفصل السابع

التوسل بالأنبياء والصالحين

من آداب الدعاء كما سبق : (ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين) قال الشوكانى في تحفة الذاكرين :

أقول : ومن التوسل بالأنبياء ما أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب ، والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن أعمى أتى النبىﷺ فقال : يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى بصرى ، قال : «أو أدعك» ، فقال : يا رسول الله إنى قد شق على ذهاب بصرى ، قال : «فانطلق فتوضأ فصلى ركعتين ثم قل : اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى في حاجتى هذه لتقضى لى اللهم فشفعه فيَّ» . انتهى من تحفة الذاكرين .

ابن تيمية : لا يجوز التوسل بالنبىﷺ في مغيبه ولا بعد موته .

جاء في كتاب الزيارة لابن تيمية تحت عنوان السؤال بالجاه ونحوه من البدع ما مختصره :

وقالت طائفة : ليس في هذا(١) جواز التوسل به بعد مماته ، وفى مغيبه ، بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره ، كما في صحيح البخارى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس ، فقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون . وقد بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون ، وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم ، فيدعو لهم ، ويدعون معه ، ويتوسلون بشفاعته ودعائه .

كما في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان بجوار دار القضاء ، ورسول اللهﷺ قائم يخطب واستقبل رسول اللهﷺ قائما فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله لنا أن يمسكها عنا ، قال : فرفع رسول اللهﷺ يديه ثم قال : «اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام وعلى الظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر» .

قال : وأقلعت ، وخرجنا نمشى في الشمس ففى هذا الحديث أنه قال : ادع الله لنا أن يمسكها عنا .

فهذا كان توسلهم في الاستسقاء ونحوه ، ولما مات توسلوا بالعباس رضي الله عنه كما كانوا يتوسلون به ويستسقون ، وما كانوا يستسقون به في موته ، ولا في مغيبه ولا عند قبره ، ولا عند قبر غيره(٢) . انتهى كلام ابن تيمية .

---

(١) ليس فى حديث الأعمى السابق .

(٢) راجع هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب «الزيارة» لابن تيمية : ٥٦ : ٥٩ .

فلو كان التوسل بالنبى ﷺ بعد موته جائزاً، فلم ترك الصحابة رضوان الله عليهم التوسل به ﷺ ثم توسلوا بالعباس [١]؟ فقالوا : وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا! سبحان الله ! لو كان خيرًا لسبقونا إليه.

تنبيه :

قال بعض العلماء : والصواب في هذه النقطة، أن يقول المتوسل : اللهم إنى أدعوك وأتوسل إليك بإيمانى بنبيك ﷺ ومحبتى واتباعي لسنته ﷺ، لأن الإيمان بالنبى ﷺ ومحبته واتباع سنته من أعظم الأعمال وأجلها وأنفعها عند الله، ومن توسل إلى الله ودعا الله بهذه الأعمال فقد توسل إليه بأحب الأعمال وأعظمها عند الله تعالى. انتهى.

الفصل الثامن

فوائد

إليك هذه الفوائد والله تعالى أعلم :

الأولى : قال العلماء : إن من بين آداب الدعاء : أن يتخير الداعى الاسم الذي يوافق مسألته، فإذا كنت أدعو الله تعالى بالمغفرة أقول : يا غفور اغفر لى وإذا كنت أدعوه سبحانه بالرزق أقول : يا رزاق ارزقنى، وإذا كنت أدعوه بالستر أقول : يا ستار استرني.

الثانية : لو تأملت في بيان اسم الله الأعظم لوجدت أن هناك روايتين أو ثلاثا في بيان اسم الله الأعظم فلو أنك جمعت هذه الروايات الثلاث أثناء الدعاء لضمنت أنك دعوت الله تعالى باسمه الأعظم ومثال ذلك : هب أن إنسانًا قال لك : إن هناك ثلاثة بيوت في أحدها كنز، فلو أنك دخلت البيت الأول فلم تجده فيه، ففى هذه الحالة أما يكون لك أن تدخل البيتين الآخرين، حتى تعثر على هذا الكنز؟ وكذلك الدعاء باسم الله الأعظم يضم الروايات الثلاث ولله المثل الأعلى.

الثالثة : بيان كيفية الدعاء بعد الفوائد السابقة :

١ - الحمد لله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

٢ - اللهم إني أسالك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

٣ - يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين.

---

(١) حياته وحضوره.

٤ - يا ذا الجلال والإكرام .

٥ - لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٦ - يا رب يا رب يا رب .

٧ - موضوع الدعاء فتتخير له من أسماء الله الحسنى ما يوافقه مثل : يا غفور اغفر لى .

٨ - ثم بعد ذلك تقول : اللهم إنى أسألك أن تجيب . . .

٩ - آمين وصل اللهم على محمد وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

الرابعة : يمكنك عند الاستعجال حيث لا يكون عندك وقت تدعو فيه بكل ما تقدم أن تدعو بما شئت مما تيسر لك ، ويمكنك أن تقول بصيغة مختصرة والله أعلم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، يا رب : اللهم إنى أسألك بأسمائك وصفاتك وباسمك الأعظم أن تفعل لى كذا . . وصل اللهم على محمد وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

الخامسة : من أعظم القربات إلى الله تعالى الدعاء بظهر الغيب ، فإن كانت عندك مسألة تشغلك ، فادع لكل المسلمين بهذه المسألة ، فترد عليك الملائكة وتقول لك : ولك مثل ما قلت .

السادسة : يستحب أن تدعو بهذا الدعاء الجامع المأثور عن النبيﷺ : اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمدﷺ - لى ولكل المسلمين - وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك محمدﷺ - لى ولكل المسلمين - فتكون بهذا الدعاء العظيم قد دعوت لكل المسلمين ، بكل خير دعا به النبيﷺ وتكون أيضا قد استعذت بالله من كل شر استعاذ به النبيﷺ وتكون أيضا قد ضمنت لنفسك أن الملائكة تقول لك في الحالتين : ولك مثل ما قلت وأى عدد من الملائكة بعدد المسلمين الذين دعوت لهم .

السابعة : صلاة الحاجة : روى أحمد بسند صحيح عن أبى الدرداء أن النبيﷺ قال : «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلاً أو موخرًا» . وقد تقدم قولهﷺ : «من كانت له حاجة إلى الله عز وجل أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى بما هو أهله ويصلى على النبيﷺ » . أخرجه الحاكم في المستدرك .

ويستحب أن تطبق آداب الدعاء السالف ذكرها دبر هذه الصلاة وأهمها تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس والإخلاص واجتناب المعاصى ، قال أبو عبد الله الباجى الزاهد رحمه الله : خمس خصال بها تمام العمل : الإيمان بمعرفة الله عز وجل ، ومعرفة الحق ، وإخلاص العمل لله ، والعمل على السنة ، وأكل الحلال ، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل ، وذلك إذا عرفت الله عز وجل ولم تعرف الحق لم تنتفع ، ولم تخلص العمل لم تنتفع ، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفعو وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم يكن على السنة لم تنتفع ، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع .

وقال الشاعر :

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب

صلاة الحاجة والتوكل:

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق :٣] وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنا أن ألا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه برزق عاجل أو بموت آجل» . وقال المروزى : قيل لأبى عبد الله : أى شيء يدل على صدق التوكل على الله؟ قال : أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء فإذا كان كذلك كان الله يرزقه، وكان متوكلا على الله . انتهى .

ومعنى هذا القول هنا - والله أعلم - خاصة أثناء الدعاء، ألا يكون في قلبك أنه بعد انتهاء الدعاء (كصلاة الحاجة) الذهاب إلى فلان كى يقضى لك حاجتك، وإنما تدعو دعاء عبد لا يعرف إلا مولاه سبحانه، وأن ما في خزائن مولاه تعالى أقرب إليه مما في جيبه وكأنه يقول بقلبه قبل لسانه : يا رب انقطعت كل السبل إلا سبيلك .

الثامنة : جاء في كتاب «**زاد المعاد**» لابن القيم -رحمه الله- عند الكلام عن السجود ما يلى : وأمر ﷺ بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال : «إنه قمن أن يستجاب لكم[(١)]» . وهل هذا أمر بأن يكثر الدعاء في السجود، أو أن الداعى إذا دعا في محل، فليكن في السجود؟ وفرق بين الأمرين، وأحسن ما يحمل عليه الحديث أن الدعاء نوعان : دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبى ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين، والاستجابة أيضا نوعان : استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله، واستجابة دعاء المثنى بالثواب، وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى : ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة :١٨٦] والصحيح أنه يعم النوعين[(٢)] . انتهى من زاد المعاد .

مثال ذلك : الحديث الذي رواه البخارى ومسلم من أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى» . فالقسم الأول من هذا الدعاء دعاء ثناء، والقسم الثانى فيه دعاء مسألة .

التاسعة : جاء في كتاب الجواب الكافى لابن القيم وفى كتاب الزهد للإمام أحمد عن قتادة قال مورق : ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة، فهو يدعو : يا رب يا رب . لعل الله عز وجل أن ينجيه .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . . . آمين .

(١) رواه مسلم .
(٢) زاد المعاد لابن القيم رحمه الله : جـ١ : ٢٣٤، ٢٣٥ .

الفصل التاسع

صلاة الاستخارة

أولا : في صحيح البخارى عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر، -ويسمى حاجته مثل : سفر إلى كذا أو ذهابى إلى فلان أو زواجى من فلانة . . . . . . -خير لى في دينى ومعاشي وعاقبة أمرى - أو قال : عاجل أمرى وآجله - فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمى حاجته أيضا) شر لى في دينى ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال : عاجل أمرى وآجله، فاصرفه عنى، واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان، ثم رضنى به» . قال : ويسمى حاجته .

ثانيا : جاء في كتاب «**فقه السنة**» للشيخ سيد سابق ما يلى :

١ - يسن لمن أراد أمراً من الأمور المباحة، والتبس عليه وجه الخير فيه، أن يصلى ركعتين من غير الفريضة، ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد، فى أى وقت من الليل أو النهار، يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله، ويصلى على نبيهﷺ ثم يدعو بالدعاء السابق ذكره : اللهم إنى أستخيرك بعلمك .

٢ - ولم يصح في القراءة فيها شيء مخصوص، كما لم يصح شيء في استحباب تكرارها .

٣ - قال النووى : ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح[١] له صدره فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة، بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأسًا، وإلا فلا يكون مستخيرًا لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة وفى التبرى من العلم والقدرة وإثباتهما لله تعالى، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

٤ - الواجب والمندوب مطلوب الفعل، والمحرم والمكروه مطلوب الترك، ولهذا لا تجرى الاستخارة إلا في أمر مباح[٢] . انتهى من فقه السنة .

ثالثا : حديث : «إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فإن الخير فيه» . رواه ابن السنى وهو حديث ضعيف، قال النووى : إسناده غريب فيه من لا أعرفهم، وضعفه كل من الألبانى في «**الكلم الطيب**» والأرنؤوط في «**الأذكار النووية**» وقال الأرنؤوط في

(١) سيأتى بإذن الله تعالى فى البند الثالث التعليق على انشراح الصدر بعد الاستخارة وهل هذا صحيح؟
(٢) فقه السنة: جـ٢ ص٦٧، ٦٩.

هامش الأذكار النووية : ص١٠٢ نقلا عن ابن حجر عن شيخه : وما ذكره قبله، أنه يمضى لما ينشرح له صدره كأنه اعتمد فيه على هذا الحديث (أى حديث السبع المرات السابق)[١] وليس بعمدة قد أفتى ابن عبد السلام بخلافه، فلا تتقيد ببعد الاستخارة، بل مهما فعله فالخير فيه . أ . هـ .

رابعا : لو تعقل المسلمون ما في صلاة الاستخارة لوسعتهم، إذ إن الاستخارة هى رأس التوكل على الله سبحانه وتعالى، لذا - والله أعلم - كلما إستخار العبد ربه في دقائق الأمور (المباحة) كلما كان العبد أكثر إيمانا، إذ إن الاستخارة لا ترتبط بالأمور المباحة الكبرى فقط، كالزواج والسفر ونحوه - كما يفعل البعض - بل هي أيضا تكون في أقل الأمور .

جاء في نيل الأوطار للشوكاني : قولهﷺ : «في الأمور كلها» . دليل على العموم وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه، فرب أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه، ولذلك قالﷺ : «ليسأل أحدكم ربه حتى فى شسع نعله» .[٢] انتهى .

خامسا : لم يرد عن النبىﷺ شيء في كون المستخير يصلى صلاة الاستخارة، ثم ينام حتى يرى رويا تكون نتيجة لصلاة الاستخارة، وهناك أمر آخر وهو أن بعض الناس قد يقعون في البدع وهم لا يدرون، فنجد أن أحدهم إذا أراد أن يعرف الخير، في أمر ما يمسك بالمصحف ويقول : افتح سورة كذا آية كذا أو افتح الصفحة رقم كذا ويختار لنفسه آية، ثم يقول : إن كانت تتكلم عن الجنة أو الخير، فهذا أمر خير، وإن كانت تتكلم عن النار أو الشر، فهذا الأمر شر، وكل هذا من البدع التي لم ترد في الشرع الحنيف .

سادسا : جاء في الأذكار النووية[٣] : وروينا في كتاب الترمذى بإسناد ضعيف ضعفه الترمذى وغيره عن أبى بكر رضي الله عنه أن النبىﷺ كان إذا أراد الأمر قال : «اللهم خر لى واختر لى» . انتهى من الأذكار النووية . هذا - والله أعلم - يمكن الاعتداد به كالقول في الأشياء التي يضيق وقتها عن صلاة الاستخارة، كأن تخير بين قبول هديتين في الحال، أو أن تكون أمام دارين لمسلمين، وكل منهما يدعوك للطعام أو أن تمر من هذا الطريق أو ذاك .

سابعا : ذكر النووى في الأذكار : أنه يستحب الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيهﷺ في أول دعاء الاستخارة وفى آخره، وقد ذكرت ذلك إتماما للفائدة .

ثامنا : سئل الإمام ابن تيمية رحمه الله عن دعاء الاستخارة هل يدعو به في الصلاة أم بعد الصلاة؟ .

فأجاب : يجوز الدعاء في صلاة الاستخارة وغيرها : قبل السلام وبعده، والدعاء قبل السلام أفضل، فإن النبىﷺ كان أكثر دعائه قبل أن ينصرف، وهذا أحسن، والله أعلم[٤] . انتهى .

---

(١) والذى تبين أنه ضعيف . (٢) نيل الأوطار : جـ٣ ص : ٣٥٢ : ٣٥٦ .
(٣) الأذكار النووية بتحقيق الأرنؤوط : ص ١٠١ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢٣ ص ١٧٧ .

والمقصود بقبل السلام أى بعد التشهد .

تنبيه :

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : إنما العطية بقدر النية ، وعلى هذا فبقدر تجردك لله وتوكلك عليه في صلاة الاستخارة ، بقدر ما يكفيك سبحانه وتعالى ، ولا يظلم ربك أحدًا .

تاسعا : جاء في زاد المعاد لابن القيم تعليقا على صلاة (دعاء) الاستخارة ما يلى : فتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه وتعالى ، والإقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة ، والإقرار بربوبيته ، وتفويض الأمر إليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والخروج من عهدة نفسه ، والتبرى من الحول والقوة إلا به ، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها وإرادته لها ، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإلهه الحق .

وفى مسند أحمد يقول ﷺ : «من سعادة ابن آدم استخارة الله ورضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله» .

فتأمل كيف وقع المقدور مكتنفًا بأمرين : التوكل الذي هو مضمون الاستخارة قبله ، والرضا بما يقضى الله له بعده ، وهما عنوان السعادة وعنوان الشقاء : فإذا أبرم القضاء وتم ، انتقلت العبودية إلى الرضا بعده ، كما في المسند عنه ﷺ : «وأسألك الرضا بعد القضاء» . هذا أبلغ من الرضا بالقضاء ، فإنه قد يكون عزمه فإذا وقع القضاء ، تنحل العزيمة ، فإذا حصل الرضا بعد القضاء ، كان حالاً أو مقامًا [١].

والمقصود : أن الاستخارة توكل على الله وتفويض إليه ، واستقسام بقدرته وعلمه ، وحسن اختياره لعبده ، وهى من لوازم الرضا به ربًا ، الذي لا يذوق طعم الإيمان من لم يكن كذلك وإن رضي بالمقدور بعدها ، فذلك علامة سعادته [٢] انتهى .

فائدة:

ذكر البيهقى عن محمد بن كعب القرظى رحمه الله تعالى قال : قال موسى عليه السلام : يا رب أى خلقك أكرم عليك؟ قال : الذي لا يزال لسانه رطبا بذكرى ، قال : يا رب فأى خلقك أعلم؟ قال : الذي يلتمس إلى علمه علم غيره ، قال : يا رب ، أى خلقك أعدل؟ قال : الذي يقضى على نفسه كما يقضى على الناس ، قال : يا رب ، أى خلقك أعظم ذنبا؟ قال : الذي يتهمنى ، قال يا رب ، وهل يتهمك أحد؟ قال : الذي يستخيرنى ولا يرضى بقضائى .

* * *

(١) حسنه الحافظ فى الفتح .

(٢) زاد المعاد لابن القيم رحمه الله : جـ٢ ص : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

الباب السادس الذكر

الذكر كما عرفه العلماء : هو ما يجرى على اللسان والقلب، من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال(١) ، قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] . وقال رسول الله ﷺ : «**مثل الذي يذكر ربه، والذى لا يذكر ربه، مثل الحى والميت**» . رواه البخارى، وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل : وما أطيب ما فيها؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره .

وأخرج البخارى تعليقاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس له**» .

أولاً : فوائد الذكر :

جاء في الوابل الصيب لابن القيم رحمه الله ما مختصره (٢) :

١ - أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

٢ - أنه يرضى الرحمن عز وجل .

٣ - أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

٤ - أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

٥ - أنه يقوى القلب والبدن .

٦ - أنه ينور الوجه والقلب .

٧ - أنه يجلب الرزق .

٨ - أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

٩ - أنه يورثه المحبة التي هى روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة .

١٠ - أنه يورثه المراقبة حتى يدخل في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه .

١١ - أنه يورثه الإنابة، وهى الرجوع إلى الله عز وجل .

١٢ - أنه يورثه القرب منه سبحانه .

١٣ - أنه يفتح له بابا عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة .

١٤ - أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل، وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله تعالى .

١٥ - أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:١٥٢] .

١٦ - أنه يورث حياة القلب(٣) .

---

(١) يقصد بالذكر فى كل ما ذكر وسيذكر إن شاء الله تعالى الذكرَ الشرعى.

(٢) راجع كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب ٣٨٨ خاصة شرح معظم هذه الألفاظ بالأدلة والبرهان والبيان (مع مراعاة أننى لم أشر إلى النقاط ٧٤، ٧٥، ٧٦) .

(٣) قال ابن تيمية قدس الله روحه: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟ .

١٧ - أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

١٨ - أنه يورث جلاء القلب من صدئه، وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر.

١٩ - أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

٢٠ - أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.

٢١ - أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة.

٢٢ - أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

٢٣ - أنه ينجى من عذاب الله تعالى.

٢٤ - أنه سبب لتنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر.

٢٥ - أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل واللغو.

٢٦ - أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين.

٢٧ - أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه.

٢٨ - أنه يُؤَمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة.

٢٩ - أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى يوم الحر الأكبر في ظل عرشه.

٣٠، ٣١ - أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

٣٢ - أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يترتب على غيره من الأعمال.

٣٣ - أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه، الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر :١٩].

٣٤ - أن الذكر يسير على العبد وهو في فراشه وفى سوقه، وفى حالتي صحته وسقمه وفى حالتي نعيمه ولذته.

٣٥ - أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط.

٣٦ - أن الذكر رأس الأصول وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول إلى الله عز وجل.

٣٧ - أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل.

٣٨ - أن الذكر يجمع المتفرق (من القلب والإرادة والهموم) ويفرق المجتمع (من الذنوب وجند الشيطان).

٣٩ - إن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته، وهو أيضا يقرب البعيد (الآخرة)[١] ويبعد

(١) يقربها إلى قلبه. وأما كون الذكر يبعد الدنيا أى بالزهد فيها.

القريب (الدنيا) .

٤٠ - أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد .

٤١ - أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، فهي معية بالقرب والولاية والتوفيق .

٤٢ - أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل .

٤٣ - أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله من لم يذكره .

٤٤ - أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره .

٤٥ - أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى .

٤٦ - أن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه .

٤٧ - أن الذكر أصل موالاته عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها .

٤٨ - أنه ما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى .

٤٩ - أن الذكر يوجب صلاة الله تعالى وملائكته على الذاكر : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب:٤٣] .

٥٠ - أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر .

٥١ - أن مجالس الذكر مجالس الملائكة .

٥٢ - أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته .

٥٣ - أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك .

٥٤ - أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى .

٥٥ - أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز وجل، فأفضل الصُوَّام أكثرهم ذكراً لله تعالى في صومه .

٥٦ - أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية أو بدنية مالية كحج التطوع .

٥٧ - أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها، من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل .

٥٨ - أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق .

٥٩ - أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن .

٦٠ - أن عمال الآخرة في مضمار السباق والذاكرين هم أسبقهم في ذلك المضمار .

٦١ - أن الذكر يعطى للذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه .

٦٢ - أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده .

٦٣ - أن دور الجنة تبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء .

٦٤ - أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم .

٦٥ - أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب .

٦٦ - أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل فيها ، قال مجاهد : إن الجبل لينادي باسمه يا فلان : هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل؟ فمن قائل : لا ، ومن قائل : نعم .

٦٧ - أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق ، قال عز وجل في المنافقين : ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء :١٤٢].

٦٨ - أن للذاكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء ، ولهذا سميت مجالس الذكر : رياض الجنة .

٦٩ - أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورًا في الآخرة .

٧٠ - أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرا لشهود العبد يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة :٤].

٧١ - الذكر ثناء على الله والدعاء سؤال حاجة فالذكر أفضل من الدعاء .

٧٢ - الذكر والثناء يجعل الدعاء مستجابًا .

٧٣ - قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء هذا من حيث النظر لكل منهما مجردًا وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهى عنها نهي تحريم أو كراهة . انتهى من الوابل الصيب .

ثانياً : آداب الذكر كما وردت في تحفة الذاكرين :

ينبغي للذاكر ما يلي :

أن يكون المكان الذي يذكر الله فيه نظيفاً خاليا والذاكر على أكمل الصفات الآتية : أن يكون فمه نظيفاً ، وأن يزيل تغيره بالسواك ، وأن يستقبل القبلة وأن يتدبر ما يقول ويتعقل معناه وإن جهل شيئا تبينه ولا يعتد له بشيء مما رتبه الشارع على قوله حتى يتلفظ به ويسمع نفسه وأفضل الذكر القرآن إلا فيما شرع بغيره (وقد تقدم معنى ذلك) والمواظب على الأذكار المأثورة صباحًا ومساءً ، وفى الأحوال المختلفة ، هو من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، ومن كان له ورد معروف ففاته فليتداركه إذا أمكنه ليعتاد الملازمة عليه [1]. انتهى من تحفة الذاكرين .

---

(١) تحفة الذاكرين : ٣٢ .

ثالثاً : جاء في الأذكار النووية ما مختصره :

أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث، والجنب، والحائض والنفساء، وذلك في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء وغير ذلك[١] انتهى.

تنبيه :

قراءة القرآن لمثل هولاء لا تدخل تحت هذا الإجماع.

فصل في أحوال تعرض للذاكر يستحب له قطع الذكر بسببها ثم يعود إليه بعد زوالها

منها : إذا سلم عليه رد السلام ثم عاد إلى الذكر وكذا إذا عطس عنده عاطس شمَّتَه ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا سمع الخطيب، وكذا إذا سمع المؤذن أجابه في كلمات الأذان والإقامة ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا رأى منكرًا أزاله، أو معروفًا أرشد إليه، أو مسترشدًا أجابه ثم عاد إلى الذكر وكذا إذا غلبه النعاس أو نحوه وما أشبه هذا كله.

فصل

اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها، واجبة كانت أو مستحبة، لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له[٢]. انتهى.

رابعاً : أذكار الصباح والمساء :

قال ابن القيم رحمه الله : وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب إلى أن قال رحمه الله : وقال تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر :٥٥] فالإبكار : أول النهار والعشي : آخره[٣]. انتهى.

أذكار الصباح والمساء

مجموعة من تحفة الذاكرين للشوكاني[٤] والأذكار النووية[٥] والوابل الصيب :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يصبح وحين يمسى : سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه». رواه مسلم.

٢ - وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : كان النبي ﷺ إذا أمسى قال : «أمسينا وأمسى

(١) الأذكار النووية: ص ٨. (٢) راجع الأذكار النووية من ص ٥

(٣) الوابل الصيب لابن القيم رحمه الله: ص ٨٨: ٩١.

(٤) راجع تحفة الذاكرين للشوكاني: ص ٣٩: ٨٠ خصوصا شرح هذه الأذكار.

(٥) الأذكار النووية (تحقيق الأرنوط) ص ٦٦: ٧٠، وقد اختصرت منه الأذكار من العدد ٢٥ إلى ٢٩.

الملك لله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر»، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**».

٣ - عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺكان يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٤ - وفى السنن عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «قل»: قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء». قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

٥ - عن شداد بن أوس عن النبى ﷺقال: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة». رواه البخارى.

٦ - وفى الترمذى عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ: مرنى بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه - وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك». قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

٧ - وفى السنن ومستدرك الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن النبى ﷺيدع هولاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح: «اللهم إنى أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك العفو والعافية في دينى ودنياى وأهلى ومالى، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى». قال وكيع: يعنى الخسف.

٨ - قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات فلا يضره» (١). وكان أبان بن عثمان قد أصابه طرف فالج، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر، أما إن الحديث كما حدثتك، ولكنى لم أقله يومئذ ليمضى الله على قدره. الحديث أخرجه

---

(١) لفظ: فيضره شيء.

أهل السنن الأربعة، وقال الترمذى بعد إخراجه : حديث حسن صحيح .

٩ - وفى الترمذى قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يمسى وإذا أصبح : رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولا، كان حقًّا على الله أن يرضيه». وزاد الطبرانى : ثلاث مرات .

١٠ - الحديث لفظ رواية الإمام أحمد وصححه النووى قال : كان النبى ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى قال : «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين» .

١١ - قال النووى : روينا عن ابن السنى عن طلق بن حبيب قال : جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال : يا أبا الدرداء قد احترق بيتك، فقال : ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك، لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : «اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم»(١) .

١٢ - وفى الترمذى وأبى داود بسند جوده النووى قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يمسى وحين يصبح : اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار» .

١٣ - قال رسول الله ﷺ لفاطمة : «ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين». أخرجه النسائى والحاكم بسند صحيح .

١٤ - قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يمسى وحين يصبح : حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة صادقا بها أم كاذبا». أخرجه ابن السنى وأبو داود .

١٥ - جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله لقيت عقربا لدغتنى البارحة، وفى رواية : ما لقيت، فقال : «أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات(٢) الله التامات(٣) من شر ما خلق لم تضرك». رواه مسلم ولفظ الترمذى : «من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات، لم تضره حمى

(١) أورده النووى فى الأذكار وقال فيه : وروينا فى كتاب ابن السنى. وضعفه الألبانى فى الكلم الطيب.
(٢) يعنى القرآن. (٣) الكاملات.

تلك الليلة» . وقال : حديث حسن .

١٦ - أخرج الترمذى بإسناد فيه ضعف[1] عن النبى ﷺ قال : «من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] » .

١٧ - الحديث أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما واللفظ لأبى داود عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له : أبو أمامة فقال : «يا أبا أمامة ، مالى أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة؟!» قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله ، قال : «أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟» قلت : بلى يا رسول الله قال : «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» ، ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى دينى .

١٨ - وفى سنن أبى داود قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته» - أى : اللهم ما أمسى بى .

١٩ - قال رسول الله ﷺ : «من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة» . أخرجه الطبرانى في الكبير .

٢٠ - أخرج الطبرانى والحاكم في المستدرك قال أبو هريرة : أوصى نبى الله ﷺ سلمان الخير فقال : «إن نبى الله يريد أن يمنحك كلمات تسأل بهن الرحمن ترغب إليه فيهن وتدعو بهن الليل والنهار ، قل : اللهم إني أسألك صحة في إيمان[2] ، وإيمانا في حسن خلق ونجاحا[3] يتبعه فلاح ورحمة وعافية ومغفرة منك ورضوانا» .

٢١ - عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت : نعم فقال النبى ﷺ : «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته» . أخرجه مسلم .

---

(١) الأرنووط فى تحقيق الأذكار للنووى: قال الترمذى: هذا حديث غريب، وفى بعض النسخ: حسن غريب.
(٢) بدنى مع إيمان فى قلبى. (٣) النجاح حصول المطلوب. والفلاح: الفوز بالبغية.

٢٢ - أخرج أبو داود وقال الحاكم : صحيح الإسناد، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : علمنى رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب : «اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لى».

٢٣ - قال رسول الله ﷺ : «من قال غدوة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات وكان له قدر عشر رقاب وأجاره الله من الشيطان ومن قالها عشية مثل ذلك» ، أخرجه النسائى وابن ماجه وأخرجه أحمد والحاكم غير مقيد بوقت.

٢٤ - قال رسول الله ﷺ : «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك». رواه البخارى.

٢٥ - وروينا في كتابى الترمذى وابن السنى عن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «ما من صباح ويصبح العباد إلا مناد ينادى : سبحان الملك القدوس» : وفى رواية ابن السنى : «إلا صرخ صارخ : أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس». قال الأرنؤوط : إسناده حسن.

٢٦ - وروينا في سنن أبى داود بإسناد لم يضعفه [(١)] عن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أصبح أحدكم فليقل : أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده. ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك».

٢٧ - وروينا في سنن أبى داود عن عبد الرحمن بن أبى بكرة أنه قال لأبيه : يا أبت إنى أسمعك تدعو كل غداة : اللهم عافنى في بدنى، اللهم عافنى في سمعى، اللهم عافنى في بصرى اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت، تعيدها حين تصبح ثلاثًا وثلاثًا حين تمسى فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته [(٢)].

٢٨ - وروينا في سنن أبى داود عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من قال حين يصبح : ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٩] أدرك ما فاته في يومه ذلك ومن قالهن حين يمسى أدرك ما فاته في ليلته». لم يضعفه أبو داود وقد ضعفه البخاري في تاريخه الكبير، وفى كتابه الضعفاء [(٣)].

٢٩ - عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أصبح قال : «اللهم إنى أسألك

---

(١) يعنى فى سننه، وقد ضعفه خارجها كما قال الحافظ، والحديث حسن بشواهده.
(٢) حديث حسن.
(٣) ولكن للحديث شواهد بمعناه كما قال الأرنؤوط.

علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا» . رواه ابن ماجه وحسنه الأرنؤوط في الأذكار النووية . انتهى .

فائدة:

قال ذو النون : ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ولا طابت الجنة إلا برؤيته .

فصل في أذكار النوم واليقظة

جاء في كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب [(١)] والأذكار النووية وتحفة الذاكرين ما يلى :

١ - في الصحيحين عن حذيفة قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال : «باسمك اللهم أموت وأحيا» . وإذا استيقظ من منامه قال : «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» .

٢ - وفى الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق :١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس :١] ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات .

٣ - وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة أنه أتاه آت يحثو من الصدقة وكان قد جعله النبى ﷺ عليها ليلة بعد ليلة فلما كان في الليلة الثالثة قال : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن - وكان أحرص شيء على الخير - فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة :٢٥٥] حتى ختمها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبى ﷺ : «صدقك وهو كذوب» . وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده أنها جرت لأبى الدرداء ورواه الطبرانى في معجمه أنها جرت لأُبي بن كعب .

٤ - وفى الصحيحين عن ابن مسعود الأنصارى عن النبى ﷺ قال : «من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه» . الصحيح أن معناه كفتاه من شر ما يؤذيه ، وقيل كفتاه من قيام الليل وليس بشيء ، قال على بن أبى طالب : ما كنت أرى أحدا يغفل قبل أن يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة .

٥ - أخرج البخارى ومسلم من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : إن فاطمة رضي الله عنها أتت النبى ﷺ تسأله خادمًا فقال : «ألا أخبرك بما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثا وثلاثين وتحمدين الله ثلاثا وثلاثين وتكبرين الله أربعاً وثلاثين» . قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : بلغنى أن من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره .

٦ - وفى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصنفة إزارة [(٢)] ثلاث مرات ، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه بعده وإذا

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (٩١ : ٩٣) والأذكار النووية (٤٠ : ٧٤) .
(٢) صنفة الإزار : طرفه .

اضطجع فليقل : باسمك اللهم ربى وضعت جنبى وبك أرفعه فإن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» .

٧ - وفى الصحيحين عنه عن النبىﷺ : إذا استيقظ أحدكم فليقل : «الحمد لله الذي عافانى في جسدى ورد على روحى وأذن لى بذكره» .

٨ - وفى سنن أبى داود عن حفصة أم المؤمنين أن النبىﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول : «اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك» ، ثلاث مرات . قال الترمذى : حديث حسن .

٩ - وفى صحيح مسلم عن أنس أن النبىﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى» .

١٠ - وفى صحيحه أيضا عن ابن عمر أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول : «اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إنى أسألك العافية» قال ابن عمر : سمعتهن من رسول اللهﷺ .

١١ - وفى الترمذى عن أبى سعيد الخدري قال : قال رسول اللهﷺ : «من قال حين يأوي إلى فراشه : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد رمل عالج[١] وإن كانت عدد أيام الدنيا» .

١٢ - وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن النبىﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر» .

١٣ - قال رسول اللهﷺ : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول» . في الصحيحين عن البراء بن عازب .

١٤ - قال النووى : وروينا في سنن أبى داود والنسائى وغيرهما بالإسناد الصحيح[٢] عن على رضي الله عنه ، عن رسول اللهﷺ أنه كان يقول إذا أخذ مضجعه : «اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم

---

(١) العالج : ما تراكم من الرمل .

(٢) الأرنؤوط فى الأذكار النووية (أذكار الصباح والمساء) : بل هو حديث حسن ، فإن فى سنده علتين تحطه عن مرتبة الصحيح ، كما قال الحافظ فى تخريجه .

وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم، اللهم لا يهزم جندك، ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك».

١٥ - وقال النووي أيضا رحمه الله : وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن نوفل الأشجعي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «اقرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون :١]ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك». قال الأرنؤوط : وهو حديث حسن، حسنه الحافظ في تخريج الأذكار.

فائدة:

جاء في هامش تحفة الذاكرين :أخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق : عن أبي أمامة قال : إن الشيطان ليأتي إلى فراش الرجل بعد ما يفرشه أهله، فيلقى عليه العود والحجر ليغضبه على أهله فإذا وجد أحدكم ذلك فلا يغضب فإنه عمل الشيطان.

فصل في أذكار الأنتباه من النوم

روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺقال : «من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»، تعار : استيقظ من النوم مع كلام، وفي الترمذي عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺيقول : «من أوى إلى فراشه طاهرا وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا أعطاه إياه». حديث حسن.

بعض الأذكار الأخرى الواردة عن النبي ﷺ:

١ - الخروج من المنزل : من السنن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: «من قال - يعني إذا خرج من بيته - : باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له : كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان، آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى».

٢ - دخول المنزل : وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج الرجل بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله».

٣ - الدخول إلى المسجد وفي صحيح مسلم وفي أبي داود والنسائي واللفظ لهما عدا مسلم قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺوليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك».

٤ - ذكر الأذان : جاء في زاد المعاد لابن القيم [(١)] بتحقيق الأرنؤوط أن هناك خمس سنن تتَّبع عند سماع الأذان :

---

(١) زاد المعاد: جـ٢ ص٣٩٢، ٣٩١ خصوصاً الهامش.

(أ) أن يقول السامع كما يقول المؤذن إلا في لفظ «**حى على الصلاة حى على الفلاح**» فإنه صح عنه ﷺ إبدالهما بـ «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» ولم يجيء عنه الجمع بينهما وبين «**حى على الصلاة حى على الفلاح**» ولا الاقتصار على الحيعلة.

(ب) أن يقول: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينًا، ونص الحديث في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله.... غفر له**».

(ج) أن يصلى على النبى ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن، وأكمل ما يصلى عليه به ويصل إليه: هى الصلاة الإبراهيمية (أى كما في التشهد).

(د) أن يقول بعد صلاته عليه: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، «**الزيادة يقول: إنك لا تخلف الميعاد**» بدعة، كما ورد في كتاب السنن والمبتدعات، وكما أشار المحقق في هامش زاد المعاد بأنها رواية تفرد بها البيهقى وهى ضعيفة.

(هـ) أن يدعو لنفسه بعد ذلك ويسأل الله من فضله فإنه يستجاب له. انتهى.

٥ - ذكر الكرب والغم والحزن والهم: وفى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

٦ - ذكر الدَّين: «اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك». وقد تقدم.

٧ - ذكر الخوف: في سنن أبى داود والنسائى عن أبى موسى أن النبى ﷺ كان إذا خاف قوما قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم».

٨ - ما يقال عند المصيبة: قالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى في مصيبتى واخلفني خيرا منها إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلفه خيرًا منها**». قالت: فلما توفى أبو سلمة، قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ، فأخلف الله لى خيرا منه، رسول الله ﷺ. رواه مسلم[1].

فائدة:

قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعا إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب**»، قال ابن كثير: رواه أحمد وابن ماجه.

---

(١) فإذا ذهبت إلى الحانوت -الدكان- ووجدته مغلقا فلك أن تقوم هذا الدعاء، وأيضا إذا أوقفت السيارة بالأجرة فلم تقف، بل إذا استيقظت من النوم على أذان الفجر ولم تصل ركعتين قبل الأذان فلك أن تقول هذا الدعاء أيضا، والله أعلم.

٩ - دخول المقابر : وفى صحيح مسلم عن بريدة كان رسول الله ﷺ يعظهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية .

١٠ - ما يقال بعد الوضوء : قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»** . رواه مسلم .

١١ - ذكر النزول بمنزل يريد نزوله : قال رسول الله ﷺ: **«من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»** . رواه مسلم .

١٢ - عند العطاس : قال ﷺ: **«إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم»** . رواه البخارى .

١٣ - الزواج : عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا رفأ الإنسان [(١)]. - إذا تزوج - قال : **«بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير»** . قال الترمذى : حسن صحيح .

١٤ - كفارة المجلس : قال رسول الله ﷺ: **«من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك»** . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

١٥ - رؤية أهل البلاء : قال رسول الله ﷺ: **«من رأى مبتلى فقال : الحمد لله الذي عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ، لم يصبه ذلك البلاء»** . قال الترمذى : حديث حسن .

١٦ ذكر السوق : قال رسول الله ﷺ: **«من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتا في الجنة»** . الحديث بدون هذه الزيادة : **«وبنى له بيتا في الجنة»** . رواه الترمذى ، وصححه الألبانى في صحيح الجامع بهذه الزيادة .

١٧ - في الشيء يراه ويخاف عليه العين : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف :٣٩]ويذكر عنه ﷺ أنه قال : «من رأى شيئا أعجبه فليقل : ماشاء الله لا قوة إلا بالله» .

١٨ - عند دخول الخلاء : جاء في الصحيحين : كان ﷺ يقول : **«اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث ، وإذا خرج قال : غفرانك»** . رواه الإمام أحمد وأهل السنن .

١٩ - روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : **«من حلف منكم فقال في حلفه : واللات**

(١) تحفة الذاكرين: الرفاء: الالتئام والاتفاق، فهو دعاء للمتزوج بأن يحصل الالتئام والاتفاق بينهما.

والعزى فليقل : لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق، فكل من حلف بغير الله فقد أشرك». ويقاس على اللات والعزى الحلف بالنبى والكعبة والذمة وحياتك.

٢٠ – دعاء الضالة : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئا (ضاع منه) قل : اللهم رب الضالة، هادى الضالة، تهدى من الضلالة، رد على ضالتى بقدرتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك.

٢١– ذكر مجامعة الزوجة : وفى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺقال : «إن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا».

٢٢ عقد التسبيح بالأصابع أفضل من السبحة : جاء في الوابل الصيب لابن القيم : روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال : رأيت رسول الله ﷺيعقد التسبيح بيمينه. رواه أبو داود.

وروت يسيرة إحدى المهاجرات رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات». رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح.

٢٣ في صياح الديكة والنهيق والنباح : وفى الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا، وإذا سمعتم الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا».

٢٤ – ذكر الطعام والشراب : عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فإذا نسى أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره». رواه أبو داود والترمذى وقال الترمذى : حديث حسن صحيح.

وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «من أكل أو شرب فقال : الحمد لله الذي أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه». رواه أبو داودوالترمذى وقال الترمذى : حديث حسن.

٢٥ – ذكر الضيف للمضيف : وعن أنس أن النبى ﷺجاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبى ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة».

فائدة:

قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» رواه مسلم.

* * *

الباب السابع حكم الإسلام في الغناء

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦-٧] . جاء في كتاب: «**إغاثة اللهفان**» لابن القيم رحمه الله ما مختصره[(١)] :

قال ابن القيم رحمه الله:

ومن مكائد عدو الله (إبليس) ومصايده، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد به قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء[(٢)] والتصدية والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان. فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنى، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه، في تحريم السماع: الحمد لله رب العالمين..

١ - أما مالك: فإنه نهى عن الغناء، عن استماعه وقال: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب.

وسئل مالك رحمه الله عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله عندنا الفساق.

٢ - قال: وأما أبو حنيفة: فإنه يكره الغناء، ويجعله من الذنوب.

وكذلك مذهب أهل الكوفة: سفيان، وحماد وإبراهيم، والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك، ولا نعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه.

قلت: مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب، وقوله أغلظ الأقوال، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدف، حتى الضرب بالقضيب وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق، وترد به الشهادة، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فسق، والتلذذ به كفر، هذا لفظهم ورووا حديثاً لا يصح رفعه.

قالوا: ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به، أو كان في جواره.

وقال أبو يوسف، في دار يسمع منها صوت المعازف والملاهي: ادخل عليهم بغير إذنهم، لأن النهي عن المنكر فرض، فلو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة الفرض.

قالوا: ويتقدم إليه الإمام إذا سمع ذلك من داره، فإن أصر حبسه أو ضربه سياطاً، وإن شاء

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم: ٢٢٤، ٢٦٧ وأيضاً تحقيق هذه الصفحات في كتيب مستقل (حكم الإسلام في الغناء) مع مراعاة أن ما قمت بحذفه لا يتصل بالأحكام الفقهية.

(٢) المكاء: الصفير بالفم أو تشبيك الأصابع والنفخ فيها. التصدية: التصفيق.

أزعجه عن داره [١].

٣ - وأما الشافعى : فقال في كتاب «أدب القضاء : **إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه، وأنكروا على من نسب إليه حله، كالقاضى أبى الطيب الطبرى، والشيخ أبى إسحاق والصباغ .**

قال الشيخ أبو إسحاق في « **التنبيه** » : ولا تصح - يعنى الإجارة - على منفعة محرمه، كالغناء والزمر، وحمل الخمر، ولم يذكر فيه خلافاً [٢].

وقال في المهذب : ولا يجوز على المنافع المحرمة، لأنه محرم، فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم .

فقد تضمن كلام الشيخ أموراً :

احدها :أن منفعة الغناء بمجرده منفعة محرمة .

الثانى :أن الاستئجار عليها باطل .

الثالث :أن أكل المال به أكل مال بالباطل، بمنزلة أكله عوضا عن الميتة والدم .

الرابع :أنه لا يجوز للرجل بذل ماله للمغنى، ويحرم عليه ذلك فإنه بذل مال في مقابلة محرم، وإن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة .

الخامس :أن الزمر حرام، وإذا كان الزمر - الذي هو أخف آلات اللهو - حراما فكيف بما هو أشد منه؟ كالعود والطنبور واليراع . ولا ينبغى لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك، فأقل ما فيه : أنه شعار الفساق وشاربى الخمور . وكذلك قال أبو زكريا النووي في روضته .

القسم الثاني :أن يغنى ببعض آلات الغناء، بما هو من شعار شاربى الخمر، وهو مطرب كالطنبور [٣] والعود والصنج [٤] وسائر المعازف والأوتار : يحرم استعماله . قال : وفى اليراع وجهان : صحح البغوى التحريم . ثم ذكر عن الغزالى الجواز، قال : والصحيح تحريم اليراع، وهو الشبابة .

وقد صنف أبو القاسم الدولعى كتابا في تحريم اليراع . وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع، الذي جمع الدف والشبابة، والغناء، فقال في فتاويه : وأما إباحة هذا السماع وتحليله، فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام، عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين . ولم يثبت عن أحد - ممن يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف - أنه أباح هذا السماع، والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعى إنما نقل في الشبابة منفردة، والدف منفردا، فمن لا يحصل ولا يتأمل، ربما اعتقد خلافا بين الشافعيين في هذا السماع الجامع هده الملاهى،

---

(١) أي طرده منها. (٢) الإجارة: الجزاء على العمل.

(٣) الطنبور، ذكر أهل العلم أن معنى الطنبور آ لة الحمل لأنه يشبهها فعلى هذا فهو العود الأفرنجى والله أعلم.

(٤) الصنج: آلة بأوتار يضرب عليها.

وذلك وهم بين من الصائر إليه تنادى عليه أدلة الشرع والعقل، مع أنه ليس كل يستروح إليه، ويعتمد عليه، ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء، وأخذ بالرخص من أقاويلهم، تزندق أو كاد. قال: وقولهم في السماع المذكور: إنه من القربات والطاعات قول مخالف لإجماع المسلمين، ومن خالف إجماعهم فعليه ما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وأطال الكلام في الرد على هاتين الطائفتين اللتين هما بلاء الإسلام منهم، المحللون لما حرم الله، والمتقربون إلى الله بما يباعدهم عنه.

والشافعى وقدماء أصحابه، والعارفون بمذهبه: من أغلظ الناس قولا في ذلك. وقد تواتر عن الشافعى أنه قال: خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغير - يعنى الضرب بالقضيب على المخدة من الجلود حتى يطير الغبار، وكان الصوفية يفعلون ذلك مع إنشادهم الأشعار الملحنة - يصدون به الناس عن القرآن.

فإذا كان هذا قوله في التغبير وتعليله: أنه يصد عن القرآن، وهو شعر يزهد في الدنيا، يغنى به مغن، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع - يعنى بساط من الأدم أى الجلد - أو مخدة على توقيع غناء، فليت شعرى ما يقول في سماع التغبير وهو كتفلة في بحر، قد اشتمل على كل مفسدة، وجمع كل محرم، فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل.

قال سفيان بن عيينة: كان يقال: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

ومن تأمل الفساد الداخل على الأمة وجده من هذين المفتونين.

فصل

٤ - وأما مذهب الإمام أحمد، فقال عبد الله ابنه: سألت أبى عن الغناء؟ فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب ولا يعجبنى. ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

قال أحمد: وقال سليمان التيمى: لو أخذت برخصة كل عالم، أو زلة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله.

ونص على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره، إذا رآها مكشوفة، وأمكنه كسرها، وعنه في كسرها إذا كانت مغطاة تحت ثيابه وعلم بها روايتان منصوصتان، ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية، وأرادوا بيعها، فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة، فقالوا: إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفا أو نحوها، وإذا بيعت ساذجة لا تساوى ألفين، فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة.

ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الأيتام.

* * *

فصل

وأما سماعه من المرأة الأجنبية، أو الأمرد : فمن أعظم المحرمات وأشدها فسادا للدين.

قال الشافعي رحمه الله : وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته، وأغلظ القول فيه، وقال : هو دياثة، فمن فعل ذلك كان ديوثا.

قال القاضي أبو الطيب : وإنما جعل صاحبها سفيها، لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيها فاسقا.

قال : وكان الشافعي يكره التغبير، وهو الطقطقة بالقضيب ويقول : وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن.

قال : وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق.

أسماء الغناء في القرآن والسنة :

هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني. له في الشرع بضعة عشر اسمًا : اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنى، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمار الشيطان، والسمود.

فصل: فالإسم الأول : اللهو

قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان :٦-٧].

قال الواحدي وغيره : أكثر المفسرين : على أن المراد بلهو الحديث : الغناء.

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] قال : هو الرجل يشترى الجارية تغنيه ليلا ونهارا.

قال الواحدي : وهذه الآية على هذا التفسير تحرم الغناء، ثم ذكر كلام الشافعي في رد الشهادة بإعلان الغناء.

قال : وأما غناء القينات (يعني الإماء والمغنيات) فذلك أشد ما في الباب وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه وهو ما روى أن النبي ﷺ قال : من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة(١). الآنك الرصاص المذاب.

إذا عرفت هذا، فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من هذا الذم بحسب اشتغالهم بالغناء عن

---

(١) السيوطي في الجامع الصغير : رواه ابن عساكر عن أنس وهو ضعيف.

القرآن، وإن لم ينالوا جميعه، فإن الآيات ذمت من استبدل لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا وهو الثقل والصمم وإذا علم من آياتنا شيئا استهزأ به، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفرا وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعيهم، فلهم حصة ونصيب من هذا الذم.

يوضحه: أنك لا تجد أحدا عنى بالغناء وسماع آلاته، إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى، علما وعملا، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عنه إلى ذلك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ ويستطيل قراءته، ويستزيد المغني ويستقصر نوبته، وأقل ما في هذا: أن يناله نصيب وافر من هذا الذم، إن لم يحظ به جميعه. والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها، فأما من مات قلبه وعظمت فتنته، فقد سد على نفسه طريق النصيحة: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

فصل: الإسم الثاني والثالث: الزور، اللغو

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[الفرقان: ٧٢] قال محمد بن الحنفية: الزور هاهنا: الغناء. وقاله ليث عن مجاهد وقال الكلبي: لا يحضرون مجالس الباطل.

واللغو في اللغة: كل ما يلغى ويطرح، والمعنى: لا يحضرون مجالس الباطل، وإذا مروا بكل ما يلغى من قول وعمل، أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه أو يميلوا إليه ويدخل في هذا: أعياد المشركين، كما فسرها به السلف، والغناء، وأنواع الباطل كلها.

قال الزجاج: لا يجالسون أهل المعاصي، ولا يمالئونهم - أي يساعدونهم ويعينونهم - عليها ومروا مرَّ الكرام الذين لا يرضون باللغو، لأنهم يكرمون أنفسهم عن الدخول فيه والاختلاط بأهله. وقد روي أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مر بلهو فأعرض عنه، فقال رسول ﷺ: إن أصبح ابن مسعود لكريما[1] وقد أثنى الله سبحانه على من أعرض عن اللغو إذا سمعه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[القصص: ٥٥]

وهذه الآية وإن كان سبب نزولها خاصا، فمعناها عام، متناول لكل من سمع لغوا فأعرض عنه، وقال بلسانه أو بقلبه لأصحابه: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[القصص: ٥٥]، وتأمل كيف قال سبحانه: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[الفرقان: ٧٢] ولم يقل: بالزور، لأن (يشهدون) بمعنى: يحضرون، فمدحهم

---

(١) بهامش الأصل: قوله: (إن أصبح) يعني (قد) لأن ((إن)) المكسورة المسكنة من فوائدها أن تأتي بمعنى (قد) قاله ابن هشام في مغني اللبيب أ. هـ. والحديث ذكره ابن كثير في الآية من طريق ابن أبي حاتم وفيه: لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما.

على ترك حضور مجالس الزور فكيف بالتكلم به وفعله؟ والغناء من أعظم الزور، والزور : يقال على الكلام الباطل وعلى العمل الباطل، وعلى العين نفسها.

فصل : الإسم الرابع - الباطل

والباطل : ضد الحق، يراد به المعدوم الذي لا وجود له، والموجود الذي مضرة وجوده أكثر من منفعته، فمن الأول : قول الموحد : كل إله سوى الله باطل، ومن الثاني قوله : السحر باطل، والكفر باطل، قال تعالى : ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء :٨١].

فالباطل إما معدوم لا وجود له، وإما موجود لا نفع له. فالكفر والفسوق والعصيان، والسحر والغناء واستماع الملاهي، كلها من النوع الثاني.

وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : ما تقول في الغناء، أحلال هو أم حرام؟ فقال : لا أقول حراما إلا ما في كتاب الله، فقال : أفحلال هو؟ فقال : ولا أقول ذلك، ثم قال له : أرأيت الحق والباطل، إذا جاءا يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل : يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس : اذهب فقد أفتيت نفسك.

فهذا جواب ابن عباس رضي الله عنهما عن غناء الأعراب الذي ليس فيه مدح الخمر والزنى واللواط والتشبيب - يعنى إظهار المفاتن ووصف الجمال - بالأجنبيات، وأصوات المعازف، والآلات المطربات. فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول، فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته.

فصل : الخامس : وأما اسم المكاء والتصدية

فقال تعالى عن الكفار : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال :٣٥] قال ابن عباس وابن عمر وعطية ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة : المكاء : الصفير. والتصدية : التصفيق.

قال ابن عباس : كانت قريش يطوفون بالبيت عراة، ويصفرون ويصفقون.

والمقصود : أن المصفقين والصفارين في يراع أو مزمار ونحوه فيهم شبه من هؤلاء، ولو أنه مجرد الشبه الظاهر، فلهم قسط من الذم، بحسب تشبههم بهم، وإن لم يتشبهوا بهم في جميع مكائهم وتصديتهم. والله سبحانه لم يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابهم أمر، بل أمروا بالعدول عنه إلى التسبيح، لئلا يتشبهوا بالنساء، فكيف إذا فعلوه لا لحاجة، وقرنوا به أنواعا من المعاصي قولا وفعلا؟.

* * *

فصل : السادس - وأما تسميته رقية الزنا

فهو موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه، فليس في رقية الزنا أنجع منه، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض.

قال ابن أبى الدنيا : أخبرنى محمد بن الفضل الأزدى قال : نزل الحطيئة برجل من العرب، ومعه ابنته مليكة، فلما جنه الليل سمع غناء، فقال لصاحب المنزل : كف هذا عنى، فقال : وما تكره من ذلك؟ فقال : إن الغناء رائد من رادة الفجور، ولا أحب أن تسمعه هذه - يعنى ابنته - فإن كففته وإلا خرجت عنك.

ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب ومن طرق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه.

ومن الأمر المعلوم عند القوم : أن المرأة إذا استعصت على الرجل، اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطى الليان.

وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جدا فإن كان الصوت بالغناء صار انفعالها من وجهين : من جهة الصوت، ومن جهة معناه، ولهذا قال النبىﷺ لأنجشة حاديه[1] : يا أنجشة رويدك، رفقا بالقوارير[2] . يعنى النساء. فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقية، والشبابة والرقص بالتخنث والتكسر، فلو حبلت المرأة من غناء لحبلت من هذا الغناء.

فصل : السابع : وأما تسميته منبت النفاق

فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء في الزرع.

خواص الغناء:

اعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، وبناته فيه كبنات الزرع بالماء.

فمن خواصه : أنه يلهى القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدا، لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى. ويأمر بالعفة، ومجانبة شهوات النفوس، وأسباب الغى، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويحسنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغى، فيثير كامنها، ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح، فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة

---

(١) الحادى: الذى ينشد الإبل حتى تسرع فى السير.
(٢) أنجشة عبدا أسود، حسن الصوت، يحدو بأمهات المؤمنين. رواه البخارى ومسلم.

القرآن، فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله، وقل حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلى عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله تعالى إيمانه، وثقل عليه قرآنه، وقال : يارب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد، فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه، وأبدى من سره ما كان يكتمه، وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب، والزهزهة[1] ، والفرقعة بالأصابع، فيميل برأسه، ويهز منكبيه، ويضرب الأرض برجليه ويدق على أمر رأسه بيديه، ويثب وثبات الذباب، ويدور دوران الوجد ولا كخوار الثيران، وتارة يتأوه تأوه الحزين وتارة يزعق زعقات المجانين.

وقال بعض العارفين : السماع يورث النفاق في قوم، والعناد في قوم، والكذب في قوم، والفجور في قوم، والرعونة في قوم، وأكثر ما يورث عشق الصور، واستحسان الفواحش، وإدمانه يثقل القرآن على القلب، ويكره إلى سماعه بالخاصية، وإن لم يكن هذا نفاقا فما للنفاق حقيقة.

وسر المسألة : أنه قرآن الشيطان - كما سيأتي - فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبدا.

وأيضا فإن أساس النفاق : أن يخالف الظاهر الباطن، وصاحب الغناء بين أمرين، إما أن يتهتك - أى لم يبال أن يهتك سره حين يرتكب خطأ - فيكون فاجرا، أو يظهر النسك فيكون منافقا، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات، ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو، وما يدعو إليه الغناء ويهيجه، فقلبه بذلك معمور، وهو من محبة الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر - أى خال - وهذا محض النفاق.

وأيضا فإن الإيمان قول وعمل، قول بالحق، وعمل بالطاعة، وهذا ينبت على الذكر، وتلاوة القرآن، والنفاق قول الباطل، وعمل البغي، وهذا ينبت على الغناء.

وأيضا فمن علامات النفاق : قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة، وقل أن تجد مفتونا بالغناء إلا وهذا وصفه.

وأيضا فإن النفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر، فإنه يحسن القبيح ويزينه، ويأمر به، ويقبح الحسن ويزهد فيه، وذلك عين النفاق.

فصل : الثامن : وأما تسميته قرآن الشيطان :

فمأثور عن التابعين، وقد روى في حديث مرفوع : قال قتادة : لما أهبط إبليس قال : يارب لعنتني فما عملي؟ قال : السحر، قال : فما قرآني؟ قال : الشعر، قال فما كتابي؟ قال : الوشم[2] ، قال : فما طعامي؟ قال : كل ميتة، ومالم يذكر اسم الله عليه، قال : فما شرابي؟ قال : كل مسكر

---

(١) الخيلاء.

(٢) الوشم: أى ما يكون من غرز الإبرة فى البدن وذر النيلج عليه حتى يزرق أثره أو يخضر.

قال : فأين مسكني؟ قال : الأسواق، قال : فما صوتي؟ قال المزامير، قال : فما مصايدي؟ قال : النساء.

هذا، والمعروف في هذا وقفه، وقد رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة مرفوعا إلى النبي ﷺ.

والمقصود : أن الغناء المحرم قرآن الشيطان :

ولما أراد عدو الله أن يجمع عليه نفوس المبطلين قرنه بما يزينه من الألحان المطربة، وآلات الملاهي والمعازف، وأن يكون من امرأة جميلة أو صبي جميل، ليكون ذلك أدعى إلى قبول النفوس لقرآنه، يعوضها به عن القرآن المجيد.

فصل : التاسع والعاشر : وأما تسميته بالصوت الأحمق والصوت الفاجر

فهي تسمية الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ، فروى الترمذي من حديث ابن أبي ليلى عن عطاء عن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخل، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه - أي يحتضر - فوضعه في حجره، ففاضت عيناه، فقال عبد الرحمن : أتبكي، وأنت تنهى الناس؟ قال : « **إني لم أنه عن البكاء، وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة : لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة : خمش وجوه - أي لطم الوجوه وضربها - وشق جيوب - أي القمصان - ورنة - أي صياح - وهذا هو رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم. لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق أولنا، لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا وإنا بك لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب** ». قال الترمذي : هذا حديث حسن.

فانظر إلى هذا النهي المؤكد بتسميته صوت الغناء صوتا أحمق، ولم يقتصر على ذلك، حتى وصفه بالفجور، ولم يقتصر على ذلك حتى سماه من مزامير الشيطان، وقد أقر النبي ﷺ أبا بكر الصديق على تسمية الغناء مزمور الشيطان في الحديث الصحيح، كما سيأتي، فإن لم يستفد التحريم من هذا لم نستفده من نهي أبداً.

فصل : الحادي عشر : وأما تسميته صوت الشيطان

فقد قال تعالى للشيطان وحزبه : ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[الإسراء: ٦٣-٦٤] .

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : عن ابن عباس : ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[الإسراء :٦٤] قال : كل داع إلى معصية.

ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية ولهذا فسر صوت الشيطان به .

قال ابن أبى حاتم عن ليث : ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾[الإسراء:٦٤] قال : استزل منهم من استطعت . قال : وصوته : الغناء والباطل .

وبهذا الإسناد عن منصور عن مجاهد قال : صوته هو المزمار ، ثم روى بإسناده عن الحسن البصرى قال : صوته هو الدف .

وهذه الإضافة إضافة تخصيص ، كما أن إضافة الخيل والرجل إليه كذلك ، فكل متكلم بغير طاعة الله ، ومصوت بيراع أو مزمار ، أو دف حرام أو طبل ، فذلك صوت الشيطان وكل ساع في معصية الله على قدميه فهو من رجله ، وكل راكب في معصية الله فهو من خيالته ، كذلك قال السلف ، كما ذكر ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : رجله : كل رجل مشت في معصية الله .

فصل : الثانى عشر : وأما تسميته مزمار الشيطان

ففى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ النبيﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث[1] ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ودخل أبو بكر رضي الله عنه ، فانتهرنى ، وقال : مزمار الشيطان عند النبيﷺ ؟ فأقبل عليه رسول اللهﷺ فقال : دعهما ، فلما غفل غمزتهما ، فخرجتا ، فلم ينكر رسول اللهﷺ على أبى بكر تسمية الغناء مزمار الشيطان ، وأقرهما ، لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب ، الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة ، والحرب وكان اليوم يوم عيد ، فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية أو صبى أمرد صوته فتنة وصورته فتنة ، يغنى بما يدعو إلى الزنا والفجور ، وشرب الخمور ، مع آلات اللهو التي حرمها رسول اللهﷺ في عدة أحاديث - كما سيأتى - مع التصفيق والرقص ، وتلك الهيئة المنكرة التي لا يستحلها أحد من أهل الأديان ، فضلا عن أهل العلم والإيمان ، ويحتجون بغناء جاريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب ونحوه ، في الشجاعة ونحوها ، في يوم عيد بغير شبابة ولا دف ولا رقص ولا تصفيق ويدعون المحكم الصريح ، لهذا المتشابه ، وهذا شأن كل مبطل .

نعم . . نحن لا نحرم ولا نكره مثل ما كان في بيت رسول اللهﷺ على ذلك الوجه وإنما نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك ، وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) بعاث بضم الموحدة ، وبعدها عين مهملة وآخرها ثاء مثلثة ، وهو حصن للأوس ويقال : كان فى دار بنى قريظة على ليلتين من المدينة ، كان يوم بعاث آخر العداء والقتال بين الأوس والخزرج وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم طهر الله به قلوبهم من هذه إحن ، وأنعم عليهم بأخوة الإسلام ، فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا .

فصل : الثالث عشر : وأما تسميته بالسمود

فقد قال تعالى : ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم :٥٩-٦١] . قال عكرمة عن ابن عباس : السمود : الغناء في لغة حمير . يقال أسمدى لنا أى غنى لنا ، ثم ذكر رحمه الله عدة تفسيرات أخرى للسمود .

فائدة:

قال بعض السلف : المعاصى بريد الكفر ، كما أن القبلة بريد الجماع ، والغناء بريد الزنا ، والنظر بريد العشق ، والمرض بريد الموت .

فى بيان تحريم رسول الله ﷺ لآلات اللهو والمعازف (الموسيقى) وسياق الأحاديث في ذلك

عن عبد الرحمن بن غنم قال : حدثنى أبو عامر أو أبو مالك الأشعرى رضي الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول : ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحر - أى الزنا - والحرير والخمر والمعازف . هذا حديث صحيح أخرجه البخارى في صحيحه محتجا به .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن سهل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله ﷺ : يكون في أمتى خسف وقذف ومسخ . قيل : يا رسول الله متى؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر . وفى المسند : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله قال : إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام . والكوبة : الطبل ، قاله سفيان (١) . وقيل : البربط (٢) والقنين هو الطنبور بالحبشية والتقنين : الضرب به قاله ابن الأعرابى .

وقال ابن أبى الدنيا : عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير . قالوا يا رسول الله ﷺ أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وحده وأن محمدا رسول الله؟ قال : بلى ويصومون ، ويصلون ، ويحجون . قيل : فما بالهم؟ قال : اتخذوا المعازف والدفوف ، فباتوا على شربهم ولهوهم ، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير .

وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة ، وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء ، وشاربى الخمر ، وفى بعضها مطلق ، قال بن سالم ابن الجعد : ليأتين على الناس زمان يجتمعون فيه على باب رجل ينتظرون أن يخرج إليهم ، فيطلبون إليه حاجة فيخرج إليهم وقد مسخ قردا أو خنزيرا وليمرن الرجل على الرجل في حانوته يبيع ، فيرجع إليه وقد مسخ قردا أو خنزيرًا .

---

(١) القاموس : الكوبة ، بضم الكاف : النرد ، والشطرنج ، والمطبل الصغير المخصر والفهر والبربط

(٢) البربط : العود .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لا تقوم الساعة حتى يمشى الرجلان إلى الأمر يعملانه فيمسخ أحدهما قردا أو خنزيرا، فلا يمنع الذي نجا منهما ما فعل بصاحبه أن يمضى إلى شأنه ذلك حتى يقضى شهوته، وحتى يمشى الرجلان إلى الأمر يعملانه، فيخسف بأحدهما، فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمشى لشأنه ذلك، حتى يقضى شهوته منه .

فالظاهر مرتبط بالباطن أتم ارتباط، فإذا استحكمت الصفات المذمومة في النفس قويت على قلب الصورة الظاهرة، ولهذا خوف النبى ﷺ من سابق الإمام في الصلاة بأن يجعل الله صورته صورة حمار لمشابهته للحمار في الباطل، فإنه لم يستفد من مسابقة الإمام إلا فساد صلاته، وبطلان أجره، فإنه لا يسلم قلبه، فإنه شبيه بالحمار في البلادة وعدم الفطنة .

إذا عرف هذا فأحق الناس بالمسخ هولاء الذين ذكروا في هذه الأحاديث فهم أسرع الناس مسخا قردة وخنازير فمشابهتهم لهم في الباطن وعقوبات الرب تعالى - نعوذ بالله منها - جارية على وفق حكمته ووعيده. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله ونفعنا الله بعلمه . . آمين .

خاتمة

يا رب، لو أدركت القلوب عظمتك، لكان شهيقها القرآن، وزفيرها الذكر، ونبضها الدعاء

* * *

الباب الثامن داء العشق ودواؤه

أولاً : جاء في كتاب الجواب الكافي لابن القيم رحمه الله ما مختصره :

والله سبحانه وتعالى إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس[(١)] ، وهم قوم لوط والنساء، فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلى به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي هنا في غاية القوة، ومع هذه الدواعي كلها فقد آثر مرضاة الله وخوفه وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنا فقال : ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[يوسف: ٣٣] وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن، صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه[(٢)] .

وفى هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة[(٣)] .

فصل

والطائفة الثانية، الذين حكى الله عنهم العشق، هم اللوطية كما قال تعالى : ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر: ٦٧-٧٢] ، فهذا من العشق. ولم يبال بما في عشقه من الضرر.

فحكاه سبحانه عن طائفتين : عشق كل منهما ما حرم عليه من الصورة وهذا داء أعيى الأطباء دواؤه، وعز عليهم شفاؤه، وهو والله الداء العضال والسم القتال الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى استنقاذه من أساره، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره وهو أقسام. تارة يكون كفرا، كمن اتخذ معشوقه ندا، يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يغفره الله لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك والله لا يغفر أن يشرك به وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك، وعلامة هذا العشق الشركى الكفرى، أن يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحق ربه، وطاعة ربه، وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه - إن

---

(١) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم رحمه الله: ٢١٩، ٢٣٠.

(٢) مدارج السالكين: جـ٢ ص١٥٦ قال ابن القيم رحمه الله (وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول إن كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له فى الجب، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس. .).

(٣) تنبيه: لم أختصر كثيرا من كتاب الجواب الكافى.

بذل أردأ ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه - إن أطاعه - الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته.

فتأمل حال أكثر عشاق الصور، هل تجدها إلا مطابقة لذلك؟ ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزنا يرضى الله ورسوله ويطابق العدل، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه.

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك، وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه ألبتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله، فصار عبداً مخلصا من كل وجه لمعشوقه، فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبوديته لمخلوق مثله، فإن العبودية هى كمال الحب والخضوع، وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذلة لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية.

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة، فإن تلك ذنب كبير لفاعله حكم أمثاله، مفسدة هذا العشق مفسدة الشرك، وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول: لأن أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلى من أن أبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبى ويشغله عن الله.

فصل: في علاج العشق

ودواء هذا الداء القتال: أن يعرف أن ما ابتلى به من هذا الداء المضاد للتوحيد إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله، فعليه أن يعرف توحيد ربه من سننه وآياته أولا، ثم يأتى من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه، وأن يرجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف :٢٤]، فأخبر سبحانه أنه صرف عن يوسف السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور، فإنه إنما يتمكن من القلب الفارغ، كما قال:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا.

فوائد:

قال الإمام أحمد: من دعاك إلى غير التزوج فقد دعاك إلى غير الإسلام: ولقد تزوج رحمه الله في اليوم الثانى من وفاة امرأته وقال: أكره أن أبيت عزبا وكان ابن مسعود يقول: لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج حتى لا ألقى الله عزبا. ومن أقواله رضي الله عنه: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[النور :٣٢] وقال عمر رضي الله عنه إنى لأكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تسبحه وتذكره.

* * *

واعود إلى كلام ابن القيم رحمه الله :

آفات العشق :

الأولى : الاشتغال بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

الثانية : عذاب قلبه بمعشوقه، فإن من أحب شيئا غير الله عذب به ولا بد كما قيل :

فما في الأرض أشقى من محب — إن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين — مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكى إن نأوا شوقا إليهم — ويبكى إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند الفراق — وتسخن عينه عند التلاق

والعشق وإن استلذ به صاحبه، فهو من أعظم عذاب القلب.

الثالثة : أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه، فقلبه كالعصفور في كف الطفل يورده حياض الردى، والطفل يلهو ويلعب، فيعيش العاشق عيش الأسير الموثوق ويعيش الخلى عيش المسيب المطلب، والعاشق كما قيل :

طليق برأى العين وهو أسير — عليل على قطب الهلاك يدور
وميت يرى في صورة الحى غاديا — وليس له حتى النشور نشور
أخو غمرات ضاع فيهن قلبه — فليس له حتى الممات حضور

الرابعة : أنه يشتغل عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيء تشعيبا وتشتيتا له، وأما مصالح الدنيا فهى تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامسة : أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب وسبب ذلك، أن القلب كلما قرب من العشق وقوى اتصاله به بعد من الله، فأبعد القلب من الله عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإن الشيطان يتولاه، ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم يأله وبالا، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن بقلب تمكن منه عدوه، وأحرص الخلق على عيبه وفساده وبعده من وليه : وعن وليه، ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور إلا بقلبه وولايته؟.

السادسة : أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه أفسد الذهن وحدث الوساوس، وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها، وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها يشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالبهائم بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون

ليلى وأضرّ به إلا العشق؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل :
قالوا :

جننت بمن تهوى، فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون بالحين

السابعة : أنه ربما أفسد الحواس أو أنقصها، إما إفسادا معنويا أو صوريا أما الفساد المعنوى فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسنا منه، ومن معشوقه كما في المسند مرفوعا : « **حبك الشيء يعمى ويصم** »، فهو يعمى عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه فلا ترى العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العدل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك والرغبات تستر العيوب، فإن الراغب في شيء لا يرى عيوبه حتى إذا زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشيء على ما هو عليه.

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه، ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه، ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا في الإسلام، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنتقض عرى الإسلام عروة عروة إذا ولد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

وأما إفساده للحواس ظاهرا فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه، كما هو معروف في أخبار من قتله العشق.

وقد رفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد نحل حتى عاد جلدا على عظم، فقال : ما شأن هذا؟ قالوا : به العشق، فجعل ابن عباس يتعوذ بالله من العشق عامة يومه.

الثامنة : أن العشق كما تقدم هو الإفراط في المحبة، بحيث يستولى المعشوق على القلب من العاشق، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والتفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعسر دواؤه ويتعذر أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك فيعجز البشر عن صلاحه، كما قيل :

الحب أول ما يكون لجاجة يأتي بها وتسوقه الأقدار
حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

والعشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، إن لم تتداركه عناية من الله.

والعاشق له ثلاث مقامات : مقام ابتداء، ومقام توسط، ومقام انتهاء.

فأما مقام ابتدائه : فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذرا قدرا وشرعا، فإن عجز من ذلك وأبى قلبه إلا السفر إلى محبوبه، وهذا مقام التوسط والانتهاء -

فعليه كتمان ذلك وألا يفشيه إلى الخلق، ولا يشمت بمحبوبه ولا يهتكه بين الناس، فيجمع بين الظلم والشرك. فإن الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع الظلم. وربما كان أعظم ضررا على المعشوق وأهله من ظلمه في ماله، فإنه يعرض المعشوق بهتكه في عشقه إلى وقوع الناس فيه، وانقسامه إلى مصدق ومكذب، وأكثر الناس يصدق في هذا الباب بأدنى شبهة، وإذا قيل: فلان فعل بفلان أو بفلانة، كذبه واحد، وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون، وخبر العاشق المتهتك عن غير المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع واليقين، بل إذا أخبرهم المفعول به عن نفسه كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض. بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقا، جزموا أن ذلك عن وعد واتفاق بينهما وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخييل والشبهة والأوهام والأخبار الكاذبة كجزمهم بالحسيات المشاهدة، وبذلك وقع أهل الإفك في الطيبة المطيبة، حبيبة رسول الله ﷺ، المبرأة من فوق سبع سموات، بشبهة مجيء صفوان بن المعطل بها وحده خلف العسكر حتى هلك من هلك، ولولا أن تولى الله سبحانه براءتها والذب عنها وتكذيب قاذفها لكان أمرا آخر.

والمقصود: أن في إظهار المبتلى عشق من لا يحل له الاتصال به من ظلمه وأذاه ما هو عدوان عليه وعلى أهله(١)، وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه، فإن استعان عليه بمن يستميله إليه، إما برغبة أو رهبة تعدى الظلم وانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثا ظالما، وإذا كان النبى ﷺ قد لعن الرائش - وهو الواسطة بين الراشى والمرتشى لإيصال الرشوة - فما الظن بالديوث الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة؟ فيساعد العاشق على ظلم المعشوق مع غيره ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس أو مال أو عرض، فإن كثيرا ما يتوقف حصول غرضه المطلوب على قتل نفس يكون حياتها مانعة من غرضه، وكم قتيل طل(٢) دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب، وكم خببت امرأة على بعلها وجارية وعبد على سيدهما، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك وتبرأ منه، وهو من أكبر الكبائر، وإذا كان النبى ﷺ قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، وأن يسوم على سومه فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امرأته وأمته حتى يتصل بهما؟ وعشاق الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا، فإن في طلب العاشق وصل معشوقه مشاركة الزوج والسيد، ففى ذلك من إثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن إثم الفاحشة إن لم يرب عليها، ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة فإن التوبة وإن أسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة به يوم القيامة، فإن من ظلم الوالد بإفساد ولده وفلذة كبده ومن هو أعز عليه من نفسه وظلم الزوج بإفساد حبيبته والجناية على فراشه - أعظم ممن ظلمه بأخذ ماله كله، ولهذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه أخذ

---

(١) جاء في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله جـ٤ ص٢٧٥ ما يلى (ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه سويد (من عشق فعف فمات فهو شهيد) وفى رواية (من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة) انتهى وقد ضعف الأرنووط رواة الحديث.

(٢) طل: أي أهدر.

ماله ولا يعدل ذلك عنده إلا سفك دمه، فيا له من ظلم أعظم إثما من فعل الفاحشة، فإن كان ذلك حقا لغاز في سبيل الله أوقف له الجانى الفاعل يوم القيامة، وقيل له : خذ من حسناته ما شئت . كما أخبر بذلك النبيﷺ ثم قالﷺ : فما ظنكم؟[١] أى فما تظنون يبقى له من حسناته؟ فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جارا، أو ذا رحم محرم، تعدد الظلم وصار ظلما مؤكدا لقطيعة الرحم وأذى الجار، ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا يأمن جاره بوائقه .

فإن استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين الجن، إما بسحر أو استخدام أو نحو ذلك ضم إلى الشرك والظلم كفر السحر، فإن لم يفعله هو ورضى به كان راضيا بالكفر غير كاره له لحصول مقصوده وهذا ليس ببعيد من الكفر .

والمقصود : أن التعاون في هذا الباب تعاون على الإثم والعدوان .

وأما ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدى ضرره، فأمر لا يخفى، فإنه إذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق أمور أخرى يريد من العاشق إعانته عليها فلا يجد من إعانته بدا، فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان، فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من اتصل به من أهله وأقاربه وسيده وزوجه، والعاشق يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه . فكل منهما يعين الآخر على أغراضه التي يكون فيها ظلم الناس، فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما في القبح لتعاونهما بذلك على الظلم، وكما جرت به العادة بين العاشق والمعشوق، من إعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغى، حتى ربما يسعى له في منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله، وفى تحصيل مال من غير حله، وفى استطالته على غيره، فإذا اختصم معشوقه وغيره أو تشاكيا لم يكن إلا من جانب المعشوق ظالما كان أو مظلوما، هذا إلى ما ينضم إلى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحايل على أخذ أموالهم، والتوصل إلى معشوقه بسرقة أو غصب أو خيانة أو يمين كاذبة أو قطع طريق ونحو ذلك، وربما أدى ذلك إلى قتل النفس التي حرم الله ليأخذ ماله ليتوصل به إلى معشوقه[٢] .

فكل هذه الآفات وأضعافها وأضعاف أضعافها تنشأ عن عشق الصور وربما حمله، على الكفر الصريح، وقد تنصر جماعة ممن نشئوا في الإسلام بسبب العشق كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر - وهو على سطح مسجد - امرأة جميلة، ففتن بها ونزل ودخل عليها وسألها نفسها فقالت : هى نصرانية، فإن دخلت في دينى تزوجت بك ففعل فرقى في ذلك اليوم على درجة عندهم، فسقط منها، فمات، ذكر هذا عبد الحق في كتاب العاقبة له .

---

(١) رواه أبو داود عن بريدة .

(٢) ومما قاله رحمه الله عن العشق : وكم أفسد من أهل الرجل وولده، فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هى معشوقا لنفسها، فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القوادة فمن الناس من يوثر هذا، ومنهم من يوثر هذا .

وإذا أراد النصارى أن ينصروا الأسير أروه امرأة جميلة وأمروها أن تطمعه في نفسها حتى إذا تمكن حبها في قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهنالك ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ . انتهى من الجواب الكافى .

ثانيا : وجاء في زاد المعاد لابن القيم أيضا رحمه الله ما مختصره[١] : والمقصود أن العشق لما كان مرضا من الأمراض، كان قابلا للعلاج، وله أنواع من العلاج، فإن كان مما للعاشق سبيل إلى وصل محبوبه شرعا وقدرا، فهو علاجه، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء». فدل المحب على علاجين : أصلى وبدلى، وأمره بالأصلى، وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء، فلا ينبغى العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلا .

وروى ابن ماجه في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال : «لم نر للمتحابين مثل النكاح»[٢]، وهذا هو المعنى الذي أشار إليه سبحانه عقيب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة بقوله : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[النساء :٢٨] فذكر تخفيفه في هذا الموضع، وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة، وإنه - سبحانه - خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع، وأباح له ما شاء مما ملكت يمينه، ثم أباح له أن يتزوج بالإماء إن احتاج إلى ذلك علاجا لهذه الشهوة، وتخفيفا عن هذا الخلق الضعيف، ورحمة به .

ومن وسائل العلاج التي ذكرها رحمه الله :

فليتذكر قبائح المحبوب، وما يدعوه إلى النفرة عنه، فإنه إن طلبها وتأملها وجدها أضعاف محاسنه التي تدعوه إلى حبه .

فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستغيثا به، متضرعا، متذللا، مستكينا، فمتى وفق لذلك، فقد قرع باب التوفيق، انتهى من زاد المعاد .

ثالثا : بعد هذا الكلام النفيس لابن القيم رحمه الله، يمكننى أن أقول بفضل الله تعالى : تفكير ساعة في المعشوق يبعد ميلا عن المعبود .

* * *

(١) المعاد لابن القيم رحمه الله: جـ٤ ص٢٧٢، ٢٧٤ .

(٢) الأرنوط فى غير هذا الموضع (وفى نفس الموضوع) أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقى وسنده حسن، ومما جاء فى فضل الزواج المبكر قوله صلى الله عليه وسلم: أيما رجل تزوج فى حداثة سنه عج شيطانه يا ويله عصم دينه . رواه أبو يعلى فى مسنده.

الباب التاسع آداب من سورة النور

أولا - آداب دخول البيوت وغض البصر وحفظ الفروج :

(أ) قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٧-٢٩].

يستفاد من تفسير هذه الآيات، ومن أحاديث النبي ﷺ الواردة في هذا الباب ما يلي :

١ - على المؤمن أن يستأذن عند دخول بيت غيره.

٢ - ينبغي للمؤمن أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع، والرجوع هنا للوجوب.

٣ - هدى النبي ﷺ في الاستئذان أنه كان يقول : «**السلام عليكم**» ثلاث مرات.

٤ - ينبغي للمؤمن عند الاستئذان ألا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو عن يساره.

٥ - على المستأذن أن يفصح عن اسمه أو كنيته التي هو مشهور بها ولا يقل : أنا.

٦ - على المؤمن أن يستأذن على أمه أو أخته لأنه - كما جاء في التفسير - لا يحب أن يراها عريانة.

٧ - لا يجب على الرجل أن يستأذن على امرأته، ولكن يستحب له ذلك، لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها.

٨ - حرمة الدخول إذا لم يكن في البيت أحد. (كذا في روائع البيان).

٩ - عدم الإذن بالدخول قد يكون صريحا، وقد يكون ضمنيا كالسكوت، وينبغي للمؤمن ألا يغضب من ذلك.

١٠ - البيوت غير المسكونة التي لا حرج من دخولها مثل الفنادق والخانات ومنازل الأسفار.

١١ - آيات سورة النور - والله أعلم - خاصة قوله تعالى : ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ [النور: ٢٨] بيان عظيم لقوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(ب) قال الله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] قال ابن كثير (رحمه الله تعالى) : هذا أمر من الله تعالى لعباده المومنين، أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا لما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع النظر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا، كما روى

عن جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه قال : سألت النبى ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرنى أن أصرف بصرى [١]. وقال رسول الله ﷺ لعلى : «يا على لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليس لك الآخرة» [٢]. وفى الصحيح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات» قالوا يا رسول الله ﷺ لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ : «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه». قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال : «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر». ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب، لذلك أمر الله بحفظ الفروج، كما أمر بحفظ الأبصار التي هى بواعث إلى ذلك، فقال تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] وحفظ الفرج يكون تارة بمنعه من الزنا كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ الآية [المؤمنون: ٥]، وتارة يكون بحفظه من النظر إليه كما جاء في الحديث : «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» [٣]. ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] أى أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم.

كما قيل : من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته. وروى الإمام أحمد عن أبى أمامة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها.» وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم، من تركه مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه». [٤] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] كما قال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ «كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين الاستماع، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين الخطا، والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه». وقد قال كثير من السلف : إنهم كانوا ينهون أن يحد الرجل نظره إلى الأمرد، وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك، وحرمه طائفة من أهل العلم، لما فيه من الافتتان، وشدد آخرون في ذلك كثيرا جدا. وفى الحديث : كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله، وعينا سهرت في سبيل الله، وعينا يخرج منها رأس الذباب من خشية الله عز وجل [٥].

فائدة:

سئل الجنيد : بما يستعان على غض البصر؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر.

---

(١) أخرجه مسلم ورواه أبو داود والترمذى والنسائى أيضا.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى. (٣) أخرجه أحمد وأصحاب السنن.

(٤) أخرجه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا.

(٥) تنطبق أحكام غض البصر أيضا على الخيالة - التليفزيون - خاصة التى هى - للأسف - فى بيوت كثير من المسلمين.

(ج) قال تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن المؤمنين، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات، وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره (مقاتل بن حيان) قال : بلغنا أن أسماء بنت مرثد كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات، فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء : ما أقبح هذا، فأنزل الله تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور :٣١] الآية، فقوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور :٣١] أي عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن [(١)] ، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلا، واحتج كثير منهم بما روى عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة، قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ : «احتجبا منه»، فقلت : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ : «أو عمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه» [(٢)] . وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور :٣١] قال سعيد بن جبير : عن الفواحش، وقال قتادة : عما لا يحل لهن . وقال مقاتل : عن الزنا، وقال أبو العالية : كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا، إلا هذه الآية ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور :٣١] ألا يراها أحد، وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١] أي لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، قال ابن مسعود : كالرداء والثياب، يعنى على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب، فلا حرج عليها فيه، لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه وقال ابن عباس : وجهها وكفيها والخاتم، وهذا يحتمل أن يكون تفسير للزينة التي نهين عن إبدائها كما قال عبد الله بن مسعود : الزينة زينتان فزينة لا يراها إلا الزوج : الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهى الظاهر من الثياب .

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة مرفوعا .
(٢) أخرجه أبو داود والترمذى وقال الترمذى: حديث حسن صحيح .

وقال مالك : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور :٣١](١)الخاتم والخلخال ، ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن (أسماء بنت أبى بكر) دخلت على النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا» ، وأشار إلى وجهه وكفيه (٢).

وقوله تعالى : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور :٣١]يعنى المقانع يعمل لها صنفات ضاربات على صدورهن لتوارى ما تحتها من صدرها وترائبها ، ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية ، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك ، بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور :٣١] والخمر جمع خمار : وهو ما يخمر به أى يغطى به الرأس ، وهى التي تسميها الناس المقانع ، قال سعيد بن جبير ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ [النور :٣١]وليشددن ﴿بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور :٣١]يعنى على النحر والصدر فلا يرى منه شيء ، وروى البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور :٣١]شققن مروطهن فاختمرن بها .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور :٣١]أى أزواجهن ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١]كل هولاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزينتها ، ولكن من غير تبرج ، فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله ، فتتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره ، وقوله : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ [النور :٣١]يعنى تظهر بزينتها أيضا للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة ، لئلا تصفهن لرجالهن فإنهن لا يمنعهن من ذلك مانع ، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه ، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها» (٣).

وروى أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبى عبيدة : أما بعد ، فإنه بلغنى أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك ، فإنه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها ، وقال مجاهد في قوله : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ [النور :٣١] قال : نساؤهن

---

(١) شاء الله تعالى سيأتي تفصيل هذه المسألة عند الكلام عن تغطية وجه المرأة ، وقد جاء فى تفسير صفوة التفاسير للصابوني ، ردًا على من قال : إن الوجه والكفين ليسا بعورة ما يلى : (قال البيضاوى : والأظهر أن هذا فى الصلاة لا فى النظر ، فإن كل بدن الحرة عورة لا يجب لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منه إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة) جـ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) رواه أبو داود وهو حديث مرسل ؛ لأن خالد بن دريك لم يسمع من عائشة .

(٣) أخرجاه فى الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعا .

المسلمات، ليس المشركات من نسائهن، وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدى مشركة، وروى عن ابن عباس : ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور :٣١] قال: هن المسلمات لا تبديه ليهودية ولا نصرانية، وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم، وروى سعيد عن مجاهد قال : لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة لأن الله تعالى يقول : ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور :٣١] فليست من نسائهن، وعن مكحول وعبادة بن نسي : أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة.

وقوله تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [النور :٣١] قال ابن جرير : يعنى من نساء المشركين، فيجوز لها أن تظهر زينتها لها وإن كانت مشركة لأنها أمتها، وإليه ذهب سعيد بن المسيب، وقال الأكثرون : بل يجوز أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود عن أنس أن النبى ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، قال : وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبى ﷺ ما تلقى قال : «إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك». وروى الإمام أحمد عن أم سلمة ذكرت أن رسول الله ﷺ قال : «إذا كان لإحداكن مكاتب وكان له ما يؤدى فلتحتجب منه».

وقوله تعالى : ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ [النور :٣١] يعنى كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء، وهم مع ذلك في عقولهم وله ولا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن، قال ابن عباس : هو المغفل الذي لا شهوة له.

وقال مجاهد : هو الأبله، وقال عكرمة : هو المخنث الذي لا يقوم ذكره، وكذلك قال غير واحد من السلف، وفى الصحيح عن عائشة أن مخنثا كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة، فدخل النبى ﷺ وهو ينعت امرأة يقول : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يَدْخُلَنّ عليكن». فأخرجه. وقوله تعالى : ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور :٣١] يعنى لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إياكم والدخول على النساء». قيل : يا رسول الله ﷺ أفرأيت الحمو؟ قال : «الحمو الموت». وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ الآية [النور :٣١]، كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشى في الطريق وفى رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها ضربت برجلها الأرض، فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت لتظهر ما هو خفى دخل في هذا النهى لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ إلى آخره [النور :٣١]، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها، فيشم الرجال طيبها، فقد قال النبى ﷺ: «كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا».

«**يعنى زانية**» (١). وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه لقى امرأة شم منها ريح طيب ولذيلها أعصار، فقال: يا أمة الجبار جئت من المسجد؟ قالت: نعم، قال لها: تطيبت؟ قالت: نعم، قال: إنى سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «لايقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة» (٢)، وفى الحديث: «الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها» (٣). ومن ذلك أيضا أنهن ينهين عن المشى في وسط الطريق لما فيه من التبرج، فقد روى عن حمزة بن أسيد الأنصارى عن أبيه أنه سمع النبى ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق». فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] أى افعلوا ما آمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه والله تعالى المستعان (٥). انتهى من ابن كثير.

ثانيا - تساؤلات:

سؤال (١): هل يجوز للرجل أن يشيع (يوصل) ابنة عمه أو ابنة عمته أو ابنة خاله أو ابنة خالته . . . إلى البيت خوفا عليها من مساوئ الطريق؟.

الجواب: كيف يكون الذئب حارسا للغنم؟ «**الحمو الموت**».

سؤال (٢،٣): هل جعل الله الزميل محرما؟! هل جعل الله المدرس الخصوصى محرما؟! حتى يخلو كل منهما بالمرأة دون محرم؟!

الجواب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] وفى الأثر: لا تخلون بامرأة ولو كنت تحفظها كتاب الله.

ثالثاً - سؤال هام: هل صوت المرأة عورة؟

جاء في روائع البيان ما يلى:

حرم الإسلام كل ما يدعو إلى الفتنة والإغراء، فنهى المرأة أن تضرب برجلها الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال فتتحرك الشهوة في قلوب بعض الرجال ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

وقد استدل الأحناف بهذا النهى على أن صوت المرأة عورة فإذا منعت عن صوت الخلخال فإن

(١) أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح، ورواه أيضا أبو داود والنسائى.
(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه. (٣) أخرجه الترمذى عن ميمونة بنت سعد مرفوعا.
(٤) أخرجه الترمذى فى السنن.
(٥) الفقرتان (ب، جـ) من مختصر تفسير ابن كثير: جـ٢ ص٢٩٨، ٦٠٢.

المنع عن رفع صوتها بالكلام أبلغ في النهي. قال الجصاص في تفسيره: وفي الآية دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذ كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها، ولذلك كره أصحابنا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت، والمرأة منهية عن ذلك، وهو يدل على حظر النظر إلى وجهها للشهوة إذا كان ذلك أقرب إلى الريبة وأولى بالفتنة (١).
ونقل بعض الأحناف أن نغمة المرأة عورة واستدلوا بحديث: التسبيح للرجال والتصفيق للنساء. فلا يحسن أن يسمعها الرجل.

وذهب الشافعية وغيرهم إلى أن صوت المرأة ليس بعورة لأن المرأة لها أن تبيع وتشترى وتدلى بشهادتها أمام الحكام، ولابد في مثل هذه الأمور من رفع الصوت بالكلام.

قال الألوسى: والمذكور في معتبرات كتب الشافعية - وإليه أميل - أن صوتهن ليس بعورة فلا يحرم سماعه إلا إن خشى منه فتنة (٢).

والظاهر أنه إذا أمنت الفتنة لم يكن صوتهن عورة فإن نساء النبى ﷺكن يروين الأخبار، ويحدثن الرجال، وفيهم الأجانب من غير نكير ولا تأثيم. وذهب ابن كثير رحمه الله إلى أن المرأة منهية عن كل شيء يلفت النظر إليها، أو يحرك شهوة الرجال نحوها، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها لقوله عليه السلام: كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا (٣)يعنى زانية ومثل ذلك أن تحرك يديها لإظهار أساورها وحليها.

أقول: ينبغى على الرجال أن يمنعوا النساء من كل ما يؤدى إلى الفتنة والإغراء (٤).
انتهى من روائع البيان.

* * *

(١) أحكام القرآن للجصاص: جـ٣ ص٣٩٣.
(٢) المعانى للألوسى: جـ١٨ ص ١٤٦.
(٣) رواه أبو داود والنسائى وانظر ابن كثير.
(٤) روائع البيان للشيخ الصابونى: جـ٢ ص١٦٦، ١٦٧.

الباب العاشر حكم تغطية وجه المرأة

مقدمة

أسأل الله تعالى أن يجعل عملى كله صالحا، ولوجهه خالصا، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً . . . آمين .

حرصاً منى أمام الله سبحانه وتعالى على أن يكون هذا الكتاب ليس محل خلاف، وإنما هو فقط مجرد عرض لآراء العلماء دون تدخل منى، وفى نفس الوقت يكون هذا العرض لأكثر من مرجع - من أجل ذلك كله - رأيت أن أعرض حكم الإسلام في تغطية الوجه من خلال هذه الكتب التالية :

١ - كتاب «**إلى كل فتاة تؤمن بالله**» لفضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطى .

٢ - كتاب «**المرأة المسلمة**» لفضيلة الشيخ وهبى سليمان غلوجى .

٣ - كتاب «**روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**» لفضيلة الشيخ الصابونى .

ولقد أفادنا فضيلة الشيخ البوطى، حينما أتى بالخلاصة، فأردت أن أبدأ بها أولاً، أما فضيلة الشيخ وهبى سليمان غلوجى فقد أسهب في الموضوع فأردت أن آتى برأيه وإنى إذ آتى برأى فضيلة الشيخ وهبى غلوجى كاملا، لا أكون بذلك قد تحيزت لرأى معين في طريقة العرض، وإنما أردت بذلك المرأة التي تريد أن تحتاط لدينها أكثر، بتغطية وجهها، حتى إذا قرأت الأدلة، يكون عندها من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ما يقوى إيمانها بأمر ربها والامتثال له .

تنبيه :

قد ترى أن هناك فرقاً بين الشيخين البوطى وغلوجى من ناحية تعميم رأى كل منهما بالنسبة لمذهب المالكية .

أولاً : الخلاصة : كما يراها فضيلة الشيخ البوطى :

- محل الإجماع ونتيجة الخلاف :

فقد تحصل من هذا الكلام، أن أئمة المسلمين كلهم، قد أجمعوا على ما يلى :

١ - لا يجوز أن تكشف المرأة أمام غير الذين استثناهم الله عز وجل شيئاً أكثر من وجهها وكفيها .

٢ - لا يجوز لها أن تكشف الوجه والكفين أيضاً إذا علمت أن حولها من قد ينظر إليها النظر المحرم الذي نهى الله تعالى عنه، بأن يتبع النظرة النظرة، ولا تستطيع أن تزيل هذا المنكر إلا بحجب وجهها عنه . وعلى هذه الحالة يحمل ما نقله الخطيب الشربينى عن إمام الحرمين من اتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات الوجه[١] .

(١) كتاب «إليكل فتاة تؤمن بالله» السالف ذكره ٤٤، ٤٦ .

وقد صرح بهذا القيد القرطبي، فيما نقله عن ابن خويلد منداد من أئمة المالكية: أن المرأة إذا كانت جميلة، وخيف من وجهها وكفيها الفتنة، فعليها ستر ذلك (١).

وقال صاحب الدر المختار من الحنفية: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال، لا لأنه عورة، بل لخوف الفتنة، ولا يجوز النظر إليه بشهوة (٢).

وهكذا، فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة (سواء من يرى منهم أن وجه المرأة عورة كالحنابلة والشافعية، ومن يرى منهم أنه ليس بعورة كالحنفية والمالكية) : أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عند خوف الفتنة بأن كان من حولها من ينظر إليها بشهوة، من ذا الذي يستطيع أن يزعم أن الفتنة مأمونة اليوم ! وأنه لا يوجد في الشوارع من ينظر إلى وجوه النساء بشهوة؟ ! (٣).

واتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها، ترخصاً لضرورة تعلم أو تطبيب أو عند أداء شهادة أو تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة.

فهذه النقاط الثلاث محل إجماع لدى الأئمة وعامة الفقهاء.

ثم إنهم اختلفوا فيما وراء هذه الأحوال، وهو أن تكون المرأة بادية الوجه في مجتمع عام وليس ثمة من يتعمد النظر إليها بريبة - وهذا فرض وهمى اليوم - فقد ذهب البعض كما رأينا إلى أنه لا حرج عليها في ذلك، وذهب آخرون إلى أنه يجب عليها أن تستر وجهها مطلقاً.

هذا هو حكم الإسلام في لباس المرأة، اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهم معتمدين في ذلك على نصوص واضحة صريحة في كتاب الله تعالى وأحاديث ثابتة من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإذا عثرنا بعد ذلك على وقائع وتصرفات فردية لبعض نساء الصحابة أو التابعين أو غيرهم، تخالف هذا الذي أجمع عليه الأئمة، مما دل عليه إجماع الأئمة وصريح الكتاب والسنة، وحاشا أن يكون حكم الله هو المحجوج بها، انتهى من كتاب «**إلى كل فتاة تؤمن بالله**».

ثانيا - حكم تغطية الوجه بقلم فضيلة الشيخ وهبى غلوجى :

الآيـة الأولى : قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال عمر رضي الله تعالى عنه : وافقت ربى عز وجل في ثلاث : قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب، وهى المكتوبة

(١) تفسير القرطبي: ١٢ / ٢٣٨ . (٢) مغني المحتاج: ٣/ ١٢١ .
(٣) الدر المختار على هامش ابن عابدين: ١/ ٢٨٤ .

قبل أسطر، وقلت لأزواج النبى لما تمالأن عليه في الغيرة ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم :٥]فأنزلت كذلك. رواه البخارى ومسلم.

وذكر أنس رضي الله تعالى عنه ما كان من وليمة رسول الله ﷺبزينب وفيه : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج الرسول ﷺالتي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث، فشقوا على رسول الله ﷺ وكان أشد الناس حياء (١).

وكان زواجه ﷺبزينب بنت جحش في ذى القعدة في السنة الخامسة من الهجرة، وفى صبحة عرسه بها نزلت آية الحجاب فاحتجبت المرأة المسلمة، وما تزال وقبل ذلك كانت المسلمة تستر رأسها وصدرها، ويبدو ما قد يبدو من شعر رأسها وعنقها وبعض صدرها.

وفى الجاهلية كانت المرأة تخرج تمشى بين يدى الرجال، وكانت لها مشية تكسر وتغنج، تلقى فيه الخمار على رأسها ولا تشده، فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها (٢)، فأين خروج المرأة اليوم من خروج أختها في الجاهلية الأولى؟ !

قال ابن كثير : فقوله تعالى : ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب :٥٣]حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺبغير إذن كما كانوا قبل يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله تعالى لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك إكرام من الله لهذه الأمة، ولهذا قال رسول الله ﷺ : إياكم والدخول على النساء.. الحديث. يشير ابن كثير بكلامه هذا إلى ما صرح به علماء الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أى لئن كانت الآيات نزلت في نسائه ﷺوحجابهن، فإنها تعم بأحكامها سائر نساء المسلمين.

ومما يوكد هذا الحكم :

(أ) قوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]فدخول الضيف في البيت بدون إذن، وكذا مع الإذن قبل نضج الطعام والجلوس بعد الطعام استرسالا في الحديث، وإن الإيذاء كما لا يحل في جنب رسول الله ﷺ لا يحل في حق أحد من المسلمين.

(ب) يؤكده قوله تعالى في الحجاب : ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب :٥٣] فطهارة القلوب عن الخواطر الشيطانية مطلوبة في حق أزواجه ﷺ وسائر المسلمين، بل الطهارة من هذه الخواطر المفضية إلى المعاصى المطلوبة في حق كل مؤمن ومؤمنة، بل أمره في غير أمهات المؤمنين آكد وأشد لمظنة الريبة في سائر نساء المسلمين لما أن نساء رسول الله ﷺ أبعد الناس عن ظن السوء. ولأنهن لقبن بأمهات المؤمنين ولأنهن أزواج الرسول ﷺ.

الآية الثانية : قوله تعالى لنساء رسول الله ﷺ : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ

(١) رواه ابن أبى حاتم.
(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٤٨٢ .

﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب :٣٣](١) يقصد به تعميم الحكم على نساء المسلمين عامة، فإن قرار النساء في البيوت وعدم خروجهن لغير حاجة أمر مقرر في الإسلام والصدر أمر مقرر في النساء عامة .

قال الأستاذ المودودى - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب :٣٣] قد ذهب بعض الناس - يريد بعض المعاصرين - إلى أن هذا الأمر خاص لأزواج النبى ﷺ لابتداء الآية بخطاب - ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب :٣٢] - ولكنا نسأل : أى وصية من الوصايا الواردة في هذه الآية مخصوصة بأمهات المؤمنين دون سائر النساء؟ فقد قيل فيها ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣] .

فتأمل هذه الوصايا والأوامر وقل لى : أى أمر منها لا يتصل بعامة النساء المسلمات؟ وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يتقين الله تعالى أو قد أبيح لهن أن يخضعن بالقول ويكلمن الرجال كلاما يغريهم ويشوقهم؟ أو يجوز لهن أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى؟ ثم هل ينبغى لهن أن يتركن الصلاة والزكاة ويعرضن عن طاعة الله ورسوله؟ وهل يريد الله أن يتركهن في الرجس؟ فإذا كانت هذه الأوامر والإرشادات عامة لجميع المسلمات فما المبرر لتخصيص كلمة ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب :٣٣] وحدها بأزواج النبى ﷺ؟

إن مصدر الفهم الخاطئ في الحقيقة هو مبتدأ الآية : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ولكن هذا الأسلوب لا يختلف - مثلاً - عن قولك لولد نجيب : يا بنى لست كأحد من عامة الأولاد حتى تطوف في الشوارع وتأتى بما لا يليق من الحركات، فعليك بالأدب واللياقة . فقولك هذا لا يعنى أن سائر الأولاد يحمد فيهم طواف الشوارع وإتيان الحركات السيئة، ولا يطلب منهم الأدب واللياقة، بل المراد بمثل قولك هذا تحديد معيار لمحاسن الأخلاق وفضائلها، لكى يصبو إليها كل ولد يريد أن يعيش كنجباء الأولاد فيسعى في بلوغه .

وقد اختار القرآن الكريم هذه الطريقة لتوجيه النساء لأن نساء العرب في الجاهلية كن على مثل الحرية التي توجد في نساء العرب في هذا الزمان، وكان العمل جارياً على تعويدهن الحضارة الإسلامية بشيء من التدريج، ويعلمهن حدود الأخلاق وقيود الضابط الاجتماعى على يد النبى ﷺ .

ففى تلك الأحوال عنى الإسلام بضبط أحوال أمهات المؤمنين بضابطة على وجه خاص حتى يكن أسوة لسائر النساء، وتتبع طريقهن وعاداتهن في بيوت عامة المسلمين . وهذا الرأى نفسه - وهو تعميم نساء المسلمين بالخطاب - أبداه العلامة أبو بكر الجصاص في كتابه : «**أحكام القرآن**» فقال :

(١) الزمخشرى : كانت - أى نساء أهل الجاهلية الأولى - جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها، ولكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى - أى أعناقهن وصدورهن - مكشوفة فأمرن أن يسدلن من قدامهن حتى يغطينها (٢ - ٩٠) .

وهذا الحكم وإن نزل في النبي ﷺ وأزواجه فالمعنى فيه عام فيه وفي غيره، إذ كنا مأمورين باتباعه والاقتداء به، إلا ما خصه الله دون أمته، ا. هـ. «**الجزء الثالث ص٤٥٥**».

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الجلباب: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه فيه: هو الذي يستر من فوق إلى أسفل. وقال سعيد بن جبير: هو المقنعة (الملاءة). وقيل: ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، والثوب الذي تشتمل به المرأة فوق الدرع والخمار.

الإدناء: هو التقريب. يقال: أدنى الشيء إذا قربه وضمن معنى الإرخاء والسدل ولذا عُدِّيَ بعلى. قال سعيد بن جبير: يدنين: يسدلن عليهن. والظاهر أن المراد بـ ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ على جميع أجسادهن، وقيل: على رءوسهن أو على وجوههن؛ لأن الذي يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه، قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها. ا. هـ [١].

الحجاب الشرعي:

الحجاب الشرعي المأمور به ثلاث درجات، بعضها فوق بعض في الاحتجاب والاستتار، دل عليها الكتاب والسنة [٢].

الدرجة الأولى: حجاب الأشخاص في البيوت بالجدر والخدر، وأمثالها: بحيث لا يرى الرجال شيئا من أشخاصهن ولا لباسهن ولا زينتهن الظاهرة ولا الباطنة، ولا شيئا من جسدهن من الوجه والكفين، وسائر البدن.

١ - وقد أمر الله تعالى بهذه الدرجة من الحجاب فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] إذ إن هذا يدل على أن سؤال أى شيء منهن يكون من خلف ستر يستر الرجال عن النساء، والنساء عن الرجال، وما ذكر من سبب نزول الآية يقرر هذا الأمر ويؤكده.

٢ - وأمر بها في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال محمد بن سيرين: ثبت أنه قيل لسودة بنت زمعة زوجة النبي ﷺ: مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله تعالى أن أقر في بيتي فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت. قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت جنازتها [٣].

هذا الحكم العام قد استثنى بالخروج للحاجة، قال صلى الله تعالى عليه وسلم: أُذن لكن في الخروج لحاجتكن. رواه البخاري.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق وغيره، روح المعاني: (٢٢ - ٦٨، وما بعدها).
(٢) انظر: «جوهر القرآن» لمفتى عموم باكستان العلامة محمد شفيع، دام فى خير وعافية.
(٣) كذا في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣ - ٣٤٣).

٣ - ويرشح هذه الدرجة أحاديث تحبب إلى المرأة القرار في البيت وعدم الخروج حتى إلى صلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ فإن قرارها في بيتها أرجى لها في الأجر عند الله تعالى.

جاءت أم حميد الساعدى إلى رسول الله ﷺفقالت : يا رسول الله، إنى أحب الصلاة معك، قال : قد علمت أنك تحبين الصلاة معى؟ وصلاتُك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدى. قال : فأَمَرَت فَبُنِى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، فكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل. رواه أحمد.

نعم للنساء الكبار الخروج إلى المساجد بالليل كصلاة المغرب والعشاء والفجر، فإن الليل أستر وأخفى وأبعد عن الفتنة، قال ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها. متفق عليه. وقال : ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد. رواه الترمذى.

ويشترط لخروجهن إلى الصلاة أمور :

١ - أن يكون ذلك في صلوات الليل لما ذكرنا من حديث الترمذى.

٢ - أن يبادرن بالانصراف من المسجد فور سلام الإمام من صلاته، قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعْرَفن من الغلس. رواه الترمذي.

٣ - ألا يختلط النساء بالرجال في الجماعة، ولا يسبقنهن إلى الصفوف الأمامية، بل عليهن أن يقمن خلف صفوف الرجال. قال صلى الله تعالى عليه وسلم : خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها. رواه مسلم.

٤ - ألا يكون خروجهن إلى المسجد متزينات، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : يا أيها الناس انهوا نسائكم عن الزينة والتبختر في المسجد، فإن بنى إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد. رواه ابن ماجه.

لما رأت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها خروج النساء في زمانها على شيء من الزينة إلى المساجد قالت : لو أدرك رسول الله ﷺما أحدثت النساء لمنعهن - المساجد - كما منعت نساء بنى إسرائيل. رواه مسلم.

٥ - أن يسكن في الصلاة ولو للاستدراك على الإمام في خطئه. إلا أن يكون التصفيق بباطن اليد اليمنى على ظاهر اليد اليسرى دون كلام. قال ﷺ : التسبيح للرجال والتصفيق للنساء (١).

الدرجة الثانية من الحجاب : خروجهن من البيوت مستورات :

١ - قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ

(١) رواه البخارى وانظر كتاب «الحجاب» للمودودى رحمه الله.

﴿أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٩] .

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب :٥٩] فقال : أن تغطي وجهها من فوق رأسها بالجلباب وتبدى عينا واحدة . ومثله روى عن السدى وعبيدة السلماني .

٢ - وقال الله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور :٣٠] . ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور :٣١] تدل هاتان الآيتان على خروج المرأة من بيتها، وإلا لم يكن الأمر موجهاً إلى الرجال والنساء بغض البصر على حد سواء .

٣ - وقال الله تعالى : ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور :٦٠] . المراد بالثياب هو الجلباب والرداء وغيرها من الثياب الظاهرة التي لا يفضى وصفها إلى كشف العورة، كذا نقل ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

٤ - وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : ليس للنساء وسط الطريق [(١)] . فقد أذن الله تعالى للنساء بالخروج من بيوتهن خروجاً مقيداً بالحاجة .

٥ - وقد عقد الإمام البخارى في كتاب «**النكاح**» من صحيحه باباً قال فيه : «**باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره**» عن سالم عن أبيه عن النبى ﷺ قال : إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها . قال الحافظ ابن حجر : قاس - البخارى - غير المسجد على المسجد، والجامع بينهما ظاهر، ويشترط في الجميع : الأمن من الفتنة [(٢)] .

الدرجة الثالثة : أى خروجهن مستورات الأبدان من الرأس إلى القدم، مع كشف الوجه واليدين عند أمن الفتنة على مذهب الإمام أبى حنيفة رضي الله تعالى عنه .

والعلماء في هذا الأمر على قولين : أباح بعضهم كشف الوجه واليدين عند أمن الفتنة، ولم يبح ذلك آخرون إلا عند الاضطرار، وعلى القول الأول أبو حنيفة، وعلى القول الثانى : مالك والشافعى وأحمد .

١ - مذهب المالكية : أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا إلى الوجه ولا إلى الكفين ولا إلى غيرهما، ولا يجوز للمرأة إبداء الوجه والكفين للأجانب، وقد صرح ابن المنير المالكى بذلك فقال : إن كل بدن الحرة لا يحل لغير الزوج، والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة [(٣)] .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى في كتابه «**أحكام القرآن**» [(٤)] عند قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، وهذا يدل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب : في حاجة تعرض أو مسألة يستفتى فيها، والمرأة كلها عورة : بدنها وصوتها فلا يجوز

---

(١) رواه البيهقى.
(٢) فتح البارى (٩-٣٢٨).
(٣) المعانى.
(٤) أحكام القرآن (٢-١٨).

كشف ذلك إلا لضرورة، أو لحاجة كالشهادة أو داء يكون ببدنها [١]

٢ - مذهب الشافعية : أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه ولا الكفين ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلا لضرورة.

قال الإمام النووى : ويحرم نظر فحل بالغ إلى عورة حرة أجنبية، وكذا إلى وجهها وكفيها عند خوف الفتنة، وكذا عند الأمن على الصحيح [٢].

٣ - مذهب الحنابلة : أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه، ولا الكفين، ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلا لضرورة. قال الشيخ يوسف مرعى : وحرم في غير ما مَرَّ - والذى مر هو نظر الخاطب - ونظر الزوج إلى زوجته، وغير ذلك : قصد نظر أجنبية حتى شعر متصل لا بائن .

قال أحمد : ظفرها عورة، فإذا خرجت فلا تبين شيئا، ولا خفيها فإنه يصف القدم وأحب أن تجعل لكمها زرا عند يدها [٣].

٤ - مذهب الحنفية : أنه يجوز للمرأة كشف وجهها وكفيها عند أمن الفتنة.

قال الكاسانى : فلا يجوز النظر من الأجنبى إلى الأجنبية الحرة إلى سائر بدنها إلا الوجه والكفين؛ لقوله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]إلا أن النظر إلى مواضع الزينة الظاهرة وهى - الوجه والكفان - رخص بقوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]والمراد من الزينة موضعها، ومواضع الزينة الظاهرة الوجه والكفان، ولأنها تحتاج إلى البيع والشراء والأخذ والعطاء، ولا يمكنها ذلك عادة إلا بكشف الوجه والكفين، فيحل لها الكشف، وهذا قول أبى حنيفة رضي الله عنه.

وروى الحسن عن أبى حنيفة أنه يحل النظر إلى القدمين أيضاً، ثم قال : إنه يحل النظر إلى مواضع الزينة منها من غير شهوة، وأما عن شهوة فلا، لقوله ﷺ: العينان تزنيان. وليس زنا العينين إلا النظر عن شهوة. ثم قال : والأفضل للشاب غض البصر عن وجه الأجنبية وكذا الشابة، لما فيه من خوف حدوث شهوة والوقوع في الفتنة، ويؤيده المروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١] : أنه الرداء والثياب، فكان غض البصر وترك النظر أزكى وأطهر [٤].

وجاء في الدر المختار : يعزر المولى عبده والزوج زوجته على تركها الزينة، أو كلمة ليسمعها أجنبى، أو كشف وجهها لغير محرم [٥].

---

(١) اعتبر الشيخ الصابونى أثابه الله - فى روائع البيان ٢ / ١٤٥، رأى المالكية كرأى الحنفية.
(٢) نيل الأوطار (٢-١٨).
(٣) غاية المنتهى فى الجمع بين الإقناع والمنتهى (٣-٧).
(٤) بدائع الصنائع: ٥-١٢٣ .
(٥) هامش رد المحتار شرح الدر المختار لابن عابدين: ٣/ ١٦.

وجاء فيه كذلك : وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال ، لا لأنه عورة - بل لخوف الفتنة كمسه وإن أمن الفتنة لأنه أغلظ ولذا ثبتت به حرمة المصاهرة . قال ابن عابدين في شرحه عليه : المعنى تمنع من الكشف لخوف أن يرى الرجال وجهها فتقع الفتنة ، لأنه مع الكشف قد يقع النظر إليها بشهوة . قوله : كمسه ، أى كما يمنع الرجل من مس وجهها وكفيها وإن أمن الشهوة .

وقال أبو بكر الجصاص - وهو حنفى - عند قوله تعالى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب :٥٩]، في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها من الأجنبى وإظهار الستر والعفاف عند الخروج ، لئلا يطمع أهل الريب فيهن (١) .

فأصل مذهب الإمام أبى حنيفة جواز كشف المرأة وجهها في الحالات العامة ، على وجود المجتمع المسلم العفيف في رجاله ونسائه . أما إذا تغيرت الحالة العامة ولم يؤمن فيها من الفتنة فيجب على المرأة أن تستر جميع بدنها ووجهها وكفيها ، سدا لذرائع الفساد وعوارض الفتن . فحكم وجه المرأة وكفيها في المذهب الحنفى في مثل أيامنا هذه هو كحكمه في باقى المذاهب الأربعة وهو : حرمة كشف المرأة وجهها لغير ضرورة ، والله أعلم .

وبالجملة فقد اتفقت مذاهب الفقهاء وجمهور الأئمة على أنه لا يجوز للنساء الشواب كشف الوجوه والأكف بين الأجانب ، ويستثنى فيه العجائز ؛ لقوله : ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور :٦٠] والضرورات مستثناة من الجميع بالإجماع .

فلم يبق للحجاب المشروع إلا الدرجتان الأوليان : القرار في البيوت وحجاب الأشخاص وهو الأصل ، والثانية خروجهن لحوائجهن مستترات بالبراقع والجلاليب وهو الرخصة للحاجة ، ولا شك أن كلتا الدرجتين منه مشروعتان ، غير أن الغرض من الحجاب لما كان سد الذرائع ، وفى خروجهن من البيوت - ولو للحوائج والضرورات - مظنة فتنة ، شرط الله تعالى ورسوله ﷺ عليهن شروطاً يجب عليهن التزامها عند الخروج (٢) .

ما يدل على وجوب ستر الوجه مطلقاً :

١ - قال القرطبى عند قوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور :٣١] : الزينة على قسمين : خلقية ومكتسبة ، فالخلقية : وجهها ، فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة ، ومعنى الحيوانية لما فيه من المنافع وطرق العلم . وأما الزينة المكتسبة : فهى ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف :٣١] .

وقال الشاعر :

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... وإذا عطلن فهنَّ خير عواطل

وقال : ومن الزينة ، ظاهر وباطن .

---

(١) أحكام القرآن : ٣ - ٤٥٨.

(٢) شاء الله تعالى سيأتى ذكر هذه الشروط عند الكلام عن حكم عمل المرأة خارج البيت.

فما ظهر فمباح أبدا لكل الناس من المحارم والأجانب.

وقد ذكرنا ما للعلماء فيه، وأما ما بطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية أو حل محلهم[١].

٢ - وقال القاضي البيضاوي: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]: كالحلي والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١] عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم، فإن في سترها حرجا. وقيل: المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزينية، والمستثنى هو الوجه والكفان لأنهما ليستا بعورة، والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة[٢]. ا.هـ.

٣ - قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الزينة زينتان: زينة ظاهرة وزينة باطنة لا يراها إلا الزوج، فأما الزينة الظاهرة فالثياب وأما الزينة الباطنة السوار والخاتم[٣].

٤ - وقال عبد الله بن عباس: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلاليب ويبدين عينا واحدة. من رواية على بن أبى طلحة وهى رواية البخاري لتفسير ابن عباس في صحيح البخاري.

٥ - قال رسول الله ﷺ: لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين. رواه البخاري.

وهذا يعنى أن غير المحرمة تنتقب، بأن تستر الوجه، وتستر اليدين بأن تلبس القفازين. ومع ذلك فإن المرأة المحرمة إذا احتاجت إلى ستر وجهها لمرور الرجال قريبا منها فإنها تسدل الثوب من فوق رأسها على وجهها. روى ذلك عن عثمان وعائشة وبه قال عطاء ومالك والثورى والشافعي وغيرهم.

قالت عائشة (رضي الله عنها): كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزوا كشفنا. رواه أبو داود. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] شققن مروطهن[٤] فاختمرن بها. رواه البخاري[٥]. انتهى من كتاب «**المرأة المسلمة**».

ثالثا: - (أ) ما جاء في روائع البيان تحت عنوان: «**طائفة من أقوال المفسرين في وجوب ستر الوجه:**»

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٩-١٢.

(٢) البيضاوى مهمشا بالجلالين: ١٣٨-٢ (وقد سبقت الإشارة إلى ذلك من صفوة التفاسير).

(٣) رواه ابن أبى شيبة وابن جرير وفى الدر المنثور نُقُولٌ عديدة فى هذا المعنى من اعتبار الوجه عورة مستورة.

(٤) المرط: كساء من صوف ونحوه يؤتزر به.

(٥) كتاب المرأة المسلمة لفضيلة الشيخ وهبى سليمان غلوجى: ١٩١ - ٢١٢.

اولا : قال ابن الجوزى في قوله تعالى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الاحزاب :٥٩] أى تغطين رءوسهن ووجوههن ليعلم أنهن حرائر، والمراد بالجلاليب : الأردية . قاله ابن قتيبة .

ثانيا : وقال أبو حيان في البحر المحيط : وقوله تعالى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الاحزاب :٥٩] شامل لجميع أجسادهن، أو المراد بقوله ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ أى على وجوههن لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه[1] .

ثالثا : وقال أبو السعود : الجلباب : ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها، ومعنى الآية : أى يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذ برزن لداعية من الدواعى .

وعن السدى : تغطى إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين[2] .

رابعا : وقال أبو بكر الرازى[3] : وفى هذه الآية : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الاحزاب :٥٩] دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع فيهن أهل الريب[4] .

خامسا : وفى تفسير الجلالين : الجلابيب جمع جلباب، وهى الملاءة التي تشتمل بها المرأة، قال ابن عباس : أمر نساء المؤمنين أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلاليب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر[5] .

سادسا : وفى تفسير الطبرى عن ابن سيرين أنه قال : سألت عبيدة السلمانى عن قوله تعالى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الاحزاب :٥٩] فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى بها رأسه كله حتى بلغ الحاجبين، وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر . وروى مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[6] . انتهى من روائع البيان للصابونى أثابه الله[7] .

ب) ما هى شروط الحجاب الشرعى :

جاء في روائع البيان ما يلى : يشترط في الحجاب الشرعى بعض الشروط الضرورية وهى كالآتى :

اولا : أن يكون الحجاب ساترا لجميع البدن لقوله تعالى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الاحزاب :٥٩] .

ثانيا : أن يكون كثيفا غير رقيق، لأن الغرض من الحجاب الستر، فإذا لم يكن ساترا لا يسمى

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان ج ٧ ص ٢٥٠.
(٢) تفسير أبى السعود على هامش الرازى ج ٦ ص ٨٠١ .
(٣) بكر الرازى هو المشهور بالجصاص .
(٤) أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٣٧٢ .
(٥) تفسير الجلالين الجزء الثانى .
(٦) تفسير الطبرى الجزء الثانى والعشرون .
(٧) روائع البيان للصابونى ج ٢ ص ٣٨٢، ٣٨٣ وذلك فى تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾ .

حجابا، لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب الستر، فإذا لم يكن ساترا لا يسمى حجابا، لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر. وفى حديث عائشة أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ . . . الحديث(١).

ثالثا: ألا يكون زينة في نفسه، أو مبهرجا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١] الآية ومعنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥١] أى بدون قصد ولا تعمد، فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه، ولا يسمى حجابا؛ لأن الحجاب هو الذي يمنع ظهور الزينة للأجانب.

رابعا: أن يكون فضفاضا غير ضيق، لا يشف عن البدن، ولا يجسم العورة، ولا يظهر أماكن الفتنة في الجسم، وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. وفى رواية أخرى: وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام(٢). رواه مسلم.

ومعنى قوله عليه السلام: «**كاسيات عاريات**» أى كاسيات في الصورة عاريات في الحقيقة، لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسداً، ولا تخفى عورة، والغرض من اللباس الستر، فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عاريا.

ومعنى قوله: «**مميلات مائلات**» أى مميلات لقلوب الرجال مائلات في مشيتهن، يتبخترن بقصد الفتنة والإغراء، ومعنى قوله: «كأسنمة البخت» أى يصففن شعورهن فوق رءوسهن، حتى تصبح مثل سنام الجمل، وهذا من معجزاته عليه السلام.

خامسا: ألا يكون الثوب معطرا فيه إثارة للرجال لقوله عليه الصلاة والسلام (قد تقدم شرح هذه النقطة).

سادسا: ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال، أو مما يلبسه الرجال، لحديث أبى هريرة: لعن النبى ﷺ الرجلَ يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل(٣).

وفى الحديث: لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء. أى المتشبهات بالرجال في أزيائهن وأشكالهن كبعض نساء هذا الزمان. نسأل الله السلامة والحفظ(٤). انتهى من روائع البيان.

---

(١) رواه أبو داود بسند مرسل وقد تقدم فى سورة النور.
(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة وانظر شرحه مفصلاً فى كتاب «كنوز السنة».
(٣) رواه أبو داود والنسائى كذا فى تخريج السنن ج ٦ ص ٥٧.
(٤) روائع البيان للشيخ الصابونى أثابه الله ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٦.

(ج) شرطان آخران للحجاب الشرعى :

اشترط بعض العلماء فوق ما تقدم :

١ - ألا يشبه لباس الكافرات.

٢ - ألا يكون لبس شهرة، لقول الرسولﷺ : من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه اللهﷺ ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً. أخرجه أبو داود وابن ماجه وإسناده حسن كما قال الترمذى.

قال الشوكانى : والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة، وليس هذا الحديث مختصا بنفس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه. قاله ابن رسلان. وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها، والموافق لملبوس الناس والمخالف، لأن التحريم يدور مع الاشتهار، والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع.

فائدة :

جاء في روائع البيان : يطلب من المسلم أن يعود بناته منذ سن العاشرة على ارتداء الحجاب الشرعى حتى لا يصعب عليهن بعد ارتداؤه وإن لم يكن الأمر على وجه (التكليف) وإنما هو على وجه (التأديب) قياساً على أمر الصلاة : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع[1] . انتهى من روائع البيان.

وفى كتاب «**المرأة المسلمة**» السالف ذكره من قبل : ويؤمران - أى الوالدان - بستر ابنتهما إذا بلغت أن تشتهى لما سبق، وقدر حد الشهوة من التاسعة عادة، وقدر حد المراهقة من الثانية عشرة عادة، وقد تقدم. وخاصة في المجتمعات المثيرة للشهوات. انتهى من «**المرأة المسلمة**». ويا حبذا لو عود المسلم ابنته على الحجاب من صغرها حتى يكون من فطرتها.

شبهات والرد عليها:

روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أخاه الفضل كان رديفا للنبيﷺ في حجة الوداع فجاءت امرأة من جثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل النبيﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر. قد يقال: إن في هذا دليلا على كشف الوجه.

أجاب الشيخ ابن عيثمين رحمه الله : وعن حديث ابن عباس بأنه لا دليل فيه على جواز النظر إلى الأجنبية؛ لأن النبيﷺ لم يقر الفضل على ذلك، بل حَرَّفَ وجهَه إلى الشق الآخر، ولذلك ذكر النووي في شرح صحيح مسلم من فوائد هذا الحديث: تحريم النظر إلى الأجنبية. وقال الحافظ في فتح الباري: وفيه منع النظر إلى الأجنبيات، وغض البصر. قال عياض: وزعم بعضهم أنه غير واجب إلا عند خشية الفتنة، قال: وعندي أن فعلهﷺ إذا غطى وجه الفضل كأبلغ من القول.

(١) رواه أصحاب السنن وانظر الجامع الصغير للمناوى.

فإن قيل: فلماذا لم يأمر النبيﷺ المرأة بتغطية وجهها؟ . فالجواب: أن الظاهر أنها كانت محرمة، والمشروع في حقها ألا تغطي وجهها إذا لم يكن أحد ينظر إليها من الأجانب، أو يقال: لعل النبيﷺ أمرها بعد ذلك، فإن عدم نقل أمره بذلك لا يدل على عدم الأمر، إذا عدم النقل ليس نقلا للعدم.

وروى مسلم وأبو داود عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت رسول اللهﷺ عن نظر الفجأة فقال: «اصرف بصرك أو قال: فأمرني أن أصرفه بصري» أ هـ.

ما أخرجه البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صلاة النبيﷺ بالناس صلاة العيد، ثم وعظ الناس وذكَّرَهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن وقال: «يا معشر النساء تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم، فقامت امرأة سعفاء الخدين . . .» الحديث.

قال ابن عثيمين- أثابه الله تعالى- ردا على من يقول: ولولا أن وجهها مكشوف ما عرف أنها سعفاء الخدين، قال:

وعن حديث جابر بأن لم يذكر متى كان ذلك، فإما أن تكون هذه المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا فكشف وجهها مباح، ولا يمنع وجود الحجاب على غيرها، أو أن يكون قبل نزول آية الحجاب فإنها كانت في سورة الأحزاب سنة خمس أو ست من الهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة. أ هـ .

* * *

الباب الحادي عشر حكم عمل المرأة خارج البيت

أولاً : قال الله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب :٣٣] . قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : أى الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الحوائج الشرعية : الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات[1] . (غير متطيبات) . وفى رواية : وبيوتهن خير لهن . وروى الحافظ البزار عن أنس رضي الله عنه قال : جاءت النساء إلى رسول الله ﷺ وقلن : يا رسول الله : ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى ، فما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى؟ فقال رسول الله ﷺ : من قعدت - أو كلمة نحوها - منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى . وعن النبى ﷺ قال : إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهى في قعر بيتها . أخرجه الحافظ البزار والترمذى . وفى الحديث : صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها[2] . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب :٣٣] قال مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشى بين يدى الرجال فذلك تبرج الجاهلية الأولى . وقال قتادة : كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك . وقال مقاتل : التبرج : أنها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج[3] . انتهى .

الله أكبر ، إن جلوس المرأة المؤمنة بين جدران بيتها لا يقل عند الله تعالى عن الجلوس بين جدران بيت الله الحرام ، وإن سعيها بين مخدعها ومطبخها لا يقل عند الله تعالى عن السعى بين الصفا والمروة . وإن جلوس المرأة المؤمنة في بيتها بمثابة عداد يعد الحسنات ، فإذا خرجت من بيتها ، توقف هذا العداد اللهم إلا إذا كان خروجها لحاجة يقرها الشرع الحنيف . أما إذا خرجت لغير حاجة فإنه قد يعقب توقف عداد الحسنات دوران عداد السيئات .

إن المرأة المؤمنة التي تقر في بيتها تثاب من ناحيتين : من ناحية امتثالها لأمر الله تعالى بالقرار في البيت ، ومن ناحية عدم إيذائها للمسلمين . سبحان الله ! وكأن الله تعالى يسأل ملائكته عن إمائه المؤمنات - وهو أعلم بهن - يا ملائكتى ، كيف وجدتم إمائى؟ وكأنهم يقولون : يا رب أتيناهن وهن في البيوت وتركناهن وهن في البيوت .

أمان المرأة :

قد تقول امرأة : إننى أريد أن أؤمن مستقبلى ويكون لدى مصروف مستقل؟ !! .

---

(١) رواه البخارى بلفظ: لا تمنعوا إماء الله بيوت الله.
(٢) أخرجه الحافظ البزار عن عبد الله بن مسعود وإسناده جيد.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ج٣، ص٩٣، ٩٤.

سبحان الله ! إن أمان المرأة في أن ينفق عليها زوجها، ويزول هذا الأمان بإنفاق المرأة على نفسها، في غير الحالات التي تبيح للمرأة العمل خارج بيتها، والتى يأتى الكلام عنها بإذن الله تعالى.

فالمرأة المؤمنة تجد العزة في الذلة لزوجها في طاعة الله، وتجد الغنى في إنفاق زوجها عليها، ولو كان لا يملك إلا دقل التمر، وتجدد الهواء الطلق في نفس أولادها، ورائحة طبيخها. ولا تعجب من ذلك فإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من رائحة المسك. . احترسى أيتها الأخت المؤمنة، فإن الشيطان قد يزخرف لك قائلاﷺ : إذا طُلقت، فأين لك بالمال؟ وهنا أجيب عليك بسؤال وهو : هل عندك **الآن في البيت صيدلية فيها كل الأدوية** التي تصلح لعلاج كل الأمراض، أم إنه عندما يأتيك المرض **تحضرين الدواء؟ إذن لماذا تبحثين عن** هذا الأمر قبل وقوعه؟ وإذا أثارت المرأة هذا السؤال فإنها بذلك **تكون قد أساءت الظن بربها**. وفى الصحيحين عن رب العزة جل شأنه: أنا عند ظن عبدى بى. **فمن ظن بربه ظنًا حسناً وجد الله تعالى** عند حسن ظنه به، ومن ظن غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

القوامة:

قال الله تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[النساء:٣٤] قال ابن كثير[١] رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : يقول تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٣٤] ، أى الرجل قيم على المرأة، أى هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت : ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[النساء:٣٤] : أى لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم لقوله ﷺ : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. رواه البخارى، وكذا منصب القضاء وغير ذلك ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[النساء:٣٤] ، أى من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيهﷺ ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والأفضال، فناسب أن يكون قيما عليها كما قال تعالى : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾[البقرة:٢٢٨] الآية، وقال ابن عباس : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:٣٤] : يعنى أمراء عليهن، أى تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله. انتهى من ابن كثير.

وفى صفوة التفاسير : ورد النظم الكريم : ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[النساء:٣٤] ولو قال: بتفضلهم عليهن، لكان أخصر وأوجز، ولكن التعبير ورد بتلك الصيغة لحكمة جليلة وهى إفادة أن المرأة من الرجل بمنزلة عضو من جسم الإنسان وكذلك العكس، فالرجل بمنزلة الرأس، والمرأة بمنزلة البدن، ولا ينبغى أن يتكبر عضو على عضو، فالأذن لا تغنى عن العين، واليد لا تغنى عن

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى جـ١ ص. ٣٨٥

القدم ولا عار على الشخص أن يكون قلبه أفضل من معدته، ورأسه أشرف من يده، فالكل يؤدى دوره بانتظام، ولا غنى لواحد عن الآخر، وهذا هو سر التعبير بقوله : ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣] فظهر أن الآية في نهاية الإيجاز والإعجاز[١] . انتهى من صفوة التفاسير.

لا تكلف المرأة بشيء من الإنفاق :

وجاء في كتاب «**المرأة المسلمة**» للشيخ وهبى غلوجى : ولا تكلف المرأة بشيء من الإنفاق، أمًا كانت أو أختاً، بنتاً كانت أو زوجة، قادرة على العمل أو عاجزة عنه، غنية كانت الزوجة أو فقيرة، كان زوجها قادراً على العمل أو عاجزا عنه، غنياً كان أو فقيراً، بل ذكر الفقهاء، أن الزوج غير القادر على العمل أو غير الواجد له وهو فقير يكلف بالسؤال لينفق على زوجته، ولا يكلف بذلك من أجل أمه، فإن الزوجة زوجته فقط والأم أم له ولإخوته، أما الأم والأخت إن كانتا غنيتين فتنفقان على أنفسهما من مالهما، وإذا افتقرتا كان على الولد والأخ الإنفاق عليهما ولا تكلفان بالعمل مع قدرتهما عليه[٢] . انتهى من كتاب «**المرأة المسلمة**».

تنبيه :

حتى.لا يساء معنى السؤال في حالة عدم القدرة على العمل أو عدم وجوده - فإليك مختصر ما جاء في «**مختصر منهاج القاصدين**» في هذا الشأن :

تحريم السؤال من غير ضرورة :

اعلم أنه قد ورد في السؤال أحاديث في النهى عنه، وفى الترخيص فيه. أما الترخيص : فكقولهﷺ : للسائل حق وإن جاء على فرس. أخرجه أحمد وجوده الحافظان العراقى والسخاوى وغيرهما، ولو كان السؤال حراماً، لما جاز إعانة المعتدى على عدوانه، والإعطاء إعانة.

وأما أحاديث النهى عن السؤال : فقد قال رسول اللهﷺ : لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وليس في وجهه مزعة لحم. أخرجاه في الصحيحين. وكشف الغطاء في هذا أن نقول : السؤال في الأصل حرام، لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور : أحدها : الشكوى. والثانى : إذلال نفسه، وما ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه. والثالث : إيذاء المسئول غالباً. وإنما يباح السؤال في حال الضرورة والحاجة المهمة القريبة من الضرورة. أما المضطر، فهو كسؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتاً أو مرضاً. وأما المحتاج حاجة مهمة فهو كمن وجد الخبز وهو محتاج إلى الأدم، فله أن يسأل مع الكراهة[٣] . انتهى من مختصر منهاج القاصدين.

ونعود مرة أخرى إلى حكم عمل المرأة خارج البيت فنقول وبالله التوفيق :

سبحان الله ! إن البيوت بدون الأمهات الصالحات قبور، سبحان الله ! بيت بلا زوجة كمسجد لا

(١) صفوة التفاسير للصابونى جـ١ ص٢٧٨ .
(٢) كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ وهبى غلوجى ص٦٦، ٦٧.
(٣) مختصر منهاج القاصدين ٣٢١، ٣٢٢.

تقام فيه صلاة، سبحان الله ! لو علمت المرأة ثواب جلوسها في بيتها ما خرجت من بيتها إلا ثلاث مرات : مرة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومرة من بيتها إلى البيت الحرام لأداء فريضة ربها، ومرة من مكان موتها إلى قبرها .

ثالثاً : جاء في كتاب «**المرأة المسلمة**» لفضيلة الشيخ وهبى غلوجى ما مختصره :

قال أثابه الله : قد عرفنا طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة الاجتماعية . وعرفنا آداب خروجها من البيت وصفة ثيابها في ذلك، وضرورة بعدها عن مخالطة الرجال ولو كان في الطريق أو المسجد والطواف حول الكعبة .

وعرفنا حرمة اختلائها بالرجال، وحرمة سفرها وحدها، أو مع غير زوج أو محرم، وعرفنا كذلك أنها تقيم في بيتها لا تخرج إلا لحاجة، وليس حاجتها طلب الرزق فإنها مكفية الرزق من والدها أو زوجها أو أخيها أو ابنها، أو قريبها .

وعرفنا كذلك أن لها أن تعمل في مساعدة زوجها - أو أبيها - في الخياطة والتطريز وغير ذلك، وأن تتاجر بمالها لأن لها الشخصية المستقلة .

وعرفنا كذلك أنها مشغولة دائماً بالعناية بأولادها وبيتها وزوجها، وهى - لعمر الله - أعمال تتناسب مع فطرتها، وتقتضيها طبيعة مشاركة الرجل في أمور الحياة .

وهى في هذا كله لا تجد حاجة تدعوها إلى الخروج من البيت لتعمل، فإنما هى ضرورة - والضرورة تقدر بقدرها - فتخرج مراعية الشروط التالية :

١ - إذن وليها من أب أو زوج لها في الخروج للعمل .

٢ - سلامتها من الاختلاط والخلوة بالأجنبى، وقد عرفنا حرمة ذلك شرعاً، وذلك لما قد تنتج عنه من آثار سيئة في النفوس والأخلاق بل من الفساد في الأعراض .

٣ - خروج المرأة من بيتها على الزى الإسلامى من جلباب سابغ وستر للوجه والكفين إلخ[1] . (على التفصيل الذي تقدم في حكم تغطية وجه المرأة) .

ونتساءل : هل من حاجة عامة لخروج المرأة من بيتها للعمل؟ وهل من فائدة عامة في ذلك؟ ثم هل - ثمة - خسارة في خروجها من البيت إلى العمل خارجه؟[2] .

(أ) يقول بعضهم : إن عمل المرأة خارج البيت - ولا يعدون عملها في البيت عملاً مع أنهم يجلبون الخادمات للعمل في بيوتهم - يساعد على التقدم الاجتماعى وزيادة الإنتاج .

---

(١) انظر «ماذا عن المرأة» للشيخ نور الدين عتر ص. ١٦٧

(٢) راجع هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ وهبى غلوجى ص٢٢٧ : ٢٢٩، مع التنبيه إلى أن غالب ما تم حذفه من كتاب «المرأة المسلمة» السالف ذكره خاص بأقوال غير المسلمين عن عمل المرأة خارج البيت، وكلها تؤيد القرار داخل البيت، ولكنى اكتفيت بكلام ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم.

لكن خروج المرأة من البيت لتعمل خارجه يعنى :

١ - إهمال الأطفال من العطف والرعاية . ولا شك أن عملية التربية تقوم على الحب والصدق والملاحظة وطول الزمن ، وبدون ذلك لا تتحقق التربية ، ومحاضن الرضع وأعشاش الأطفال عند الآخرين تظهر - لمن يريد أن يرى ويعلم - أنها لا تحقق للأطفال ما يتحقق لهم في بيوتهم ، لأن المربية في المحضن مهما كانت على علم وتربية فإنها لا تملك قلب الأم . . . فلا تصبر . . . ولا تحرص . . . ولا تحب كما تفعل الأم .

فهل يوازى ما يخسره الأولاد من عطف الأمهات وعنايتهم ما تعود به الأم آخر النهار من دريهمات؟!!

٢ - إن المرأة التي تخرج إلى العمل في مجتمعاتنا تخالط الرجال - عادة - وقد تخلو بهم ، وذلك أمر محرم ، وأضرار ذلك على سمعتها وأخلاقها معلوم غير مجهول .

فهل يوازى ما تخسره المرأة من سمعتها - وربما شرفها - ما تعود به آخر النهار من دريهمات؟

٣ - إن المرأة التي تعمل خارج البيت تحتل في كثير من الحالات مكان الرجل - وقد يكون زوجها أو أخاها - وتدع في بيتها مكاناً خالياً لا يملؤه أحد .

٤ - إن المرأة التي تعمل خارج البيت تفقد أنوثتها ويفقد أطفالها الأنس والحب .

٥ - إذا خرجت المرأة من بيتها للعمل فستعتاد الخروج من البيت ولو لم يكن لها عمل كما هو ملاحظ . وبالتالى سيستمر انشطار الأسرة وانقطاع الألفة بين أفرادها . ويقل ويضعف التعاون والتحاب بين أفرادها كما هو ملاحظ في بلاد الآخرين وقد كادت الأسرة أن تنهار كليًّا .

٦ - المرأة مطبوعة على حب الزينة والتحلى بالثياب وغيرها ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فإذا هى خرجت لتعمل خارج البيت فإنها ستنفق الكثير من المال الذي تأخذه على ثيابها وزينتها وتصفيف شعرها ، ودول الآخرين تشكو من الملايين التي تذهب في تفاهات الزينة التي تتزين بها النساء .

وانظر إلى غالب الموظفات في طريق ذهابهن إلى أعمالهن أو عودتهن منها ، لترى الترف الفارغ والمال الضائع ، في مظاهر وبهارج . . لا ترقى بمجتمع ولا تتقدم باقتصاد

٧ - إن المرأة كما يقول الخبراء : أقل عملاً وإنتاجًا من الرجل ، وأقل منه رغبة في الطموح ، والوصول إلى الجديد ، إن لها - من العادة الشهرية ، أعباء الحمل والفكر في الأولاد وفى الأنوثة ومطالبها - ما يشغلها حقًّا أن توازى الرجل في عمله ويعوقها عن التقدم بالعمل . والنادر من النساء لا ينقض القاعدة .

فإذا وازنا - بصدق وصراحة - بين ما يقدرون من تقدم وإنتاج حين تعدل المرأة خارج البيت - وهم لا يعدون عملها في البيت عملا (عناداً ومكابرة) ما ذكرناه وما لم نذكر من أخطار وأضرار ، فهل تربو فائدة خروج المرأة من البيت على قرارها فيه؟ .

ثم إن المسلم لا يغفل عن أن الله تعالى قد خلق الخلق لعبادته وطاعته، وأمرهم أن يسيروا وفق شرعه وهديه، ثم هو المتكفل - بعد ذلك - لعباده بما شاء من رزق، وهو واسع واسع إذا سلكوا مسالكه الحقة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

(ب) قد يقول قائل: إذن لماذا خرجت المرأة الأوربية لتعمل خارج البيت وما تزال؟ أقول: لهذا أسباب عديدة ليس منها سبب يقصد به إكرام المرأة، وهاك بعضها:

١ - إن الأب هناك لا تكلفه الدولة الإنفاق على ابنته إذا بلغت الثامنة عشرة من عمرها، لذا فهو يجبرها على أن تجد لها عملاً إذا بلغت ذلك السن.. وكثيراً ما يكلفها دفع أجرة الغرفة التي تسكنها في بيت أبيها فضلاً عن أجرة غسل الثياب وكيّها.

٢ - إن الناس هناك يحيون لشهواتهم، فهم يريدون المرأة في كل مكان، فأخرجوها من بيتها لتكون معهم.. ولهم.. ألا ترى كيف يسخرونها لشهواتهم الدنيئة في الإعلانات....،.... إلخ.

٣ - إن البخل والأنانية شديدة عندهم، فهم لا يقبلون أن ينفقوا - في زعمهم - على من لا يعمل إلا أعمالاً بسيطة، ولا يرون تربية الأولاد أمرا هامًّا ومهمة شاقة، لأنهم لا يبالون بدين ولابتربية.

٤ - إن المرأة عندهم هى التي تهيئ بيت الزوجية، فلا بد لها أن تعمل وتجمع المال حتى تقدمه مهراً (دوطة) لمن يريد الزواج بها. وكلما كان مالها أكثر كانت رغبة الرجال فيها أكثر. ومع ذلك فما يزال هناك بعض من الآباء ينفقون على بناتهم إذا بلغن، ولا يرضون لهن بالعمل خارج البيت، ولا بمخالطة الرجال إلا في حدود ضيقة، وقليل ما هم.

٥ - وهى اليوم تجد الحرية لخروجها من البيت، فتخادن من تشاء، وتصادق من تشاء، وتذهب حيث تشاء، بل وتنام حيث تشاء.

وقد استمرأت هذه الحياة الفاسدة واستمرأ الرجال ذلك فيهن، ومعهن، فلن تعود المرأة هناك إلى بيتها وإلى عفافها، إلا إذا عادت إلى الإسلام فهو وحده الكفيل بإعادة الحياة الإنسانية إلى فطرتها، وتقويم كل اعوجاج وانحراف فيها.

(ج) وقد يقول قائل: فما بال المرأة عندما خرجت من بيتها لتعمل خارجه، متحملة عصيان الله تعالى ومخالفة الولى من الوالدين أو الزوج، ومعرضة نفسها للتهم والفساد، ورمى الزنى، ومهددة أسرتها بالانهيار، ومكلفة فطرتها ما لا تحب ولا ترضى؟

ما بال المرأة عندما خرجت من بيتها لتعمل خارجه فتخالط الرجال، وهى مكفية النفقة من وليها، من أب أو أخ أو زوج، والرجل لا يطمع فيها قدر ما يطمع الآخرون، لما يزال فيه من إسلام وغيرة وعفة، وهى إذا تزوجت تأخذ المهر خالصاً لها طيباً؟

إنها أيها الأخ (المسلم) - استمرأت مظاهر الحياة عند الآخرين، وأعجبت بالمرأة هناك، لها مكسب خاص تنفق منه على زينتها وبهرجتها، أعجبت بالمرأة هناك تحيا حرة، لما لها من الاستقلال

الاقتصادى من حيث ما تأخذ من راتب، وأسباب يأتى ذكرها، إنها بكلمة واحدة التبعية، والتقليد، لمن لا يرجو الله واليوم الآخر.

ويا حبذا... يا حبذا لو قامت في بلاد العرب - بلاد المسلمين - هيئات تحصى بصدق نتائج خروج المرأة من بيتها لتعمل مع الرجال، وتصادق الرجال وتخادن الرجال: من إفساد للأسر، وحوادث الزنى، وثمرات الزنى، ومن هوان الجرائم في أعين الناس وقلوبهم، ومن الخيانات الزوجية، وجرائم السرقة، وشرب الخمر، والاعتداء على الأعراض، وحوادث القتل.. إلخ.

لو قامت تلك الهيئات بإحصاء واحد لربما كانت نتيجة ذلك الإحصاء مدعاة لنعود إلى صورة المجتمع المسلم، حيث لا اختلاط، ولا عمل مشترك بين الرجل والمرأة، فلا فساد إلى حد كبير، حبذا لو يتم هذا قبل أن نتمادى أكثر مما نفعل، فيصبح العود أصعب - معاذ الله - وعسى أن يكون ذلك قريباً، انتهى من كتاب «**المرأة المسلمة**».

ثالثاً - كيفية تعليم المرأة:

قال فضيلة الشيخ وهبى غلوجى أثابه الله: من حاجة خروج الأنثى من البيت: خروجُها إلى تعلم العلم[1].

من خلال ما عرضنا من طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة، نستطيع أن نقرر بسهولة وإيجاز: أن العلم الذي يجب أن توجه إليه جهود الآباء ووزارة التربية والإعلام في حق الأنثى هو العلم الذي يتفق مع طبيعة الأنثى ووظيفتها في الحياة.

١ - فتكثر لها دروس الدين المختلفة من قرآن وسنة وتوحيد وفقه، والأنثى سريعة التأثر، ولكنها سريعة التحول كذلك لقوة عاطفتها، فالإكثار عليها من دروس الدين والوعظ كفيل - بإذن الله تعالى - بتنشئتها لتصبح أُمًّا تقوم بواجباتها الدينية والدنيوية في الأسرة خير قيام، والإخلال بالتذكير في هذا الجانب يورث قسوة القلب، ولا خير في قلب قاس.

٢ - تكثر لها دروس التربية والأخلاق، وتردد لها بما يتناسب مع دراستها، كى تجد في نفسها حصيلة كريمة في الأخلاق علماً وعملاً، فتربى على ذلك أولادها في المستقبل.

٣ - تكثر لها دروس العناية بالأسرة: قيامها، وظيفتها، وظائف أعضائها واجباتها نحو زوجها، وبيتها، وأولادها.

٤ - تكثر لها دروس العناية بتربية الأطفال تربية سليمة من جهة الخلق والجسم والعقل.

٥ - تكثر لها دروس التاريخ المتمثلة في المجاهدين والمصلحين وأثرهم الحسن في أقوامهم، كى تربى أولادها في المستقبل على أخلاق العظمة، والخير والصلاح.

٦ - تكثر لها دروسا تتعلم بها أعمالاً تتفق مع وظيفتها من خياطة وتطريز وحرف أخرى.

(١) كتاب «المرأة المسلمة» لفضيلة الشيخ وهبى غلوجى ص٢٤٠.

٧ - توجه بعضهن إلى متابعة الدراسة العالية كي يخرجن قابلات، ممرضات للنساء - دون الرجال - طبيبات - للنساء - كذلك - معلمات ومدرسات يعملن في المدارس التي تنشأ لهن، ويكون التعليم فيها مؤنثاً قدر الإمكان.

بهذا - وأمثاله - توجه الأنثى في التعليم الوجهة التي تتفق وفطرتها واختصاصها وما أحوج الإنسانية إلى الاختصاصات المختلفة، وما أشد ما تعمل اليوم لتوفيرها لكنها للأسف تغفل عن هذا الاختصاص العظيم الهام، لما سبق ذكره من الأسباب، وينبغي ألا تعلم الأنثى كما يعلم الذكر حذو القذة بالقذة كما يفعل الآخرون، ويجب أن يحذر من الاختلاط في التعليم لأضراره البالغة الدرجة القصوى من الخطورة، انتهى من كتاب «**المرأة المسلمة**».

فائدة:

جاء في كتاب «**فقه السنة**» للشيخ الجليل سيد سابق تحت عنوان «**خروج المرأة لطلب العلم**» ما يلي: إذا كان العلم الذي تطلبه المرأة مفروضاً(١) عليها وجب على الزوج أن يعلمها إياه - إن كان قادراً على التعليم - فإذا لم يفعل وجب عليها أن تخرج حيث العلماء ومجالس العلم، لتتعلم أحكام دينها ولو كان من غير إذنه.. أما إذا كانت الزوجة عالمة بما فرضه الله عليها من أحكام، أو كان الزوج متفقهاً في دين الله، وقام بتعليمها، فلا حق لها في الخروج لطلب العلم إلا بإذنه. انتهى من فقه السنة(٢).

شروط خروج المراة من البيت:

جاء في كتاب «**المرأة المسلمة**» للشيخ غلوجى ما مختصره: الأصل في المرأة أن تقر في بيتها حيث مملكتها ووظيفتها قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[الأحزاب: ٣٣] وهذه الآية وإن كان نزولها في نساء الرسول ﷺ فهي خطاب لبناتهن كذلك من نساء المؤمنين جميعاً لأن الأنوثة واحدة... وقال ﷺ: أذن لكن في الخروج لحاجتكن. رواه البخارى، وقال في الإذن للنساء إلى المساجد: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله. رواه البخارى.

وخروج المرأة إلى المسجد للصلاة خروج إباحة لا وجوب كالرجال (وقد تقدم حديث زوجة أبي حميد الساعدى:... صلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك... وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة) وذلك لما في ذلك من قلة الخروج، ثم قرب المسافة عند الخروج من البيت.

ومن هنا قال الفقهاء: لا تخرج الشواب إلى مساجد الجماعة، وتخرج العجائز إن شئن، حذراً من الفتنة، وقد حدد الإسلام خروج المرأة من البيت لحاجة وبشروط أخرى تجمل فيما يلى:

(١) العلم الفرض: هو العلم بالعمل الذى فرضه الله لأن كل ما فرض الله عمله فرض العلم به.
(٢) السنة جـ ٧ ص ١٧٤.

١ - الخروج للحاجة، لا للهو وإضاعة الأوقات قال ﷺ: «أذن لكن...».

٢ - الخروج بإذن الزوج أو الولى من الأب أو الأم أو الأخ والعم.

٣ - اتخاذ الستر الحق عند الخروج، وذلك أن تستر جميع بدنها (كما تقدم في الباب السابق عند بيان شروط الحجاب الشرعى) وأن تغض نظرها في سيرها، فلا تنظر هنا وهناك لغير حاجة.

٤ - ترك التعطر أو استعمال أدوات الزينة المعطرة (كما تقدم في آيات سورة النور).

٥ - ترك التعطر ولو في الخروج إلى الصلاة في مثل يوم الجمعة (كما تقدم أيضاً في آيات سورة النور).

٦ - لا تمشى وسط الطريق وفى زحمة الرجال (كما تقدم أيضاً في سورة النور).

٧ - تمشى متواضعة على أدب وحياء فلا تتخذ خلاخل ولا حذاء يضرب على الأرض بقوة، فيسمع الناس قرع حذائها، فيلتفتون، وربما وقعت الفتنة (كما تقدم أيضاً في آيات سورة النور).

٨ - وإذا حادثت أجنبيًّا - غير محرم لها - تحادثه بصوت عادى، وتسعى جهدها أن يكون خالياً من الرقة والتكسر والإغراء، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ...﴾.

٩ - ولا ترفع النقاب عن وجهها في الطريق والأسواق ومجامع الرجال، إلا أن تضطرها إلى ذلك حاجة وعلى قدر تلك الحاجة.

جاءت أم خلاد إلى النبى ﷺ - وهى منتقبة - تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبى ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: أن أرزأ ابنى فلن أرزأ حيائى، فقال رسول الله ﷺ: ابنك له أجر شهيدين: قالت: ولمَ ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنه قتله أهل الكتاب[(١)].

١٠ - وإذا ذهبت إلى دكان أو دائرة فلا تنفرد هناك برجل وقد أغلق الباب عليهما؛ لأن ذلك خلوة، قال ﷺ: لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما[(٢)]، ولا تصافح غير ذى محرم منها من الرجال، «**ما مس رسول الله** ﷺ يد امرأة - أجنبية - قط إلا أن يأخذ عليها فإذا أخذ عليها - أى العهد والبيعة - قال: اذهبى فقد بايعتك»[(٣)].

١١ - وإذا دخلت على صديقة لها تزورها فلا تضع ثمة ثيابها، فقد يكون في البيت رجل يتلصص، أو تكون في المجلس امرأة سوء تصفها لمن يرغب فيها، قال رسول الله ﷺ: أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل[(٤)].

ولا ريب أنه يحرم على المرأة أن تصف امرأة أجنبية لزوجها، فقد يدعو ذلك إلى الإثم، قال ﷺ: لا تباشر المرأةَ المرأةَ فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها. رواه البخارى وأحمد وغيرهما.. أى لا

(١) رواه أبو داود. (٢) رواه الترمذى والنسائى.

(٣) رواه أبو داود. هذا ولا يفهم من تتمة الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصافح النساء فقد كان يبايعهن دون مصافحة.

(٤) رواه أحمد وابن حبان.

تصف لزوجها ما رأت من حسن المرأة.

١٢ - لا تخرج من بلدها إلى مكان آخر يبعد أكثر من ثلاثين كيلو مترا إلا ومعها زوج أو محرم، قال رسول الله ﷺ: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسير مسافة يوم وليلة إلا مع ذى محرم. متفق عليه.

(سؤال : هل يجوز للمرأة أن تسافر دون محرم إلى المدن حيث الجامعة وتعيش هناك من أجل العلم. . . .؟).

١٣ - ولا تخرج حتى لأداء نسك الحج دون زوج أو محرم[١]، قال ﷺ: لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم، فقال رجل يا رسول الله : إن امرأتى خرجت حاجة وإنى اكتتبت في غزوة كذا وكذا؟ فقال : انطلق وحج مع امرأتك. متفق عليه.

١٤، ١٥ - لا تتشبه بالرجل في اللباس ولا غيره مما هو خاص به (كما تقدم في شروط الحجاب). ولا تلبس لبس الفاسقات المستهترات، فتغرى الرجال من حيث تريد أو لا تريد[٢]. انتهى (كما تقدم أيضاً).

استدراك :

تعليقاً على الشرط الحادى عشر والحديث الخاص بوضع ثياب المرأة في غير بيت زوجها فقد جاء ذكر هذا الحديث في كتاب جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد في باب الحمام عن عائشة رضي الله عنها (دخل نسوة من أهل الشام فقالت : لعلكن من الكورة التي تدخل نساءها الحمامات؟ قلن : نعم، فقالت : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب. قال المحقق : رجاله رجال الصحيح وقال الترمذى حسن. انتهى. (وهى حمامات عامة خاصة بالنساء، ومن باب أولى ينطبق هذا الحديث على حمامات السباحة والمصايف، أعاذ الله نساء المسلمين منها).

وعلى هذا، فيحل للمرأة المسلمة أن تضع ثيابها عند المرأة المسلمة طالما أنها تحافظ على ستر العورة، وطالما أنها أيضاً في أمن من اطلاع الرجال عليها.

ومن المعلوم أن عورة المرأة مع المرأة من السرة إلى الركبة، ويجوز النظر إلى ماعدا ذلك عدا المرأة المشركة فهى كالرجل الأجنبى لا ينبغى أن تتكشف المرأة المسلمة أمامها إلا لحاجة. وعلى ذلك فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تظهر عورتها أمام امرأة أخرى ولو كانت أمها أو أختها أو ابنتها إلا لضرورة كالولادة أو المعالجة من مرض ونحوه. ولا يدخل الاستحداد (حلق العانة) الخاص بالنساء تحت هذه الضرورة والله أعلم. (ذكرنى - بأن هذا الحديث خاص بدخول الحمام - أحد العلماء جزاه الله خيراً).

---

(١) راجع أقوال العلماء فى اشتراط الزوج أو المحرم بالنسبة لحج المرأة وهل أجازه بعضهم؟.
(٢) فقه السنة المجلد الأول: ٥٣٤ - ٥٣٥.

الباب الثانى عشر علاج الصرع وعلاج السحر وفك الربط

أولا : هديه ﷺ في علاج الصرع :

جاء في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله تعالى ما مختصره :

أخرجا في الصحيحين من حديث عطاء بن أبى رباح، قال : قال ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت : بلى : قال : هذه المرأة السوداء، أتت النبىﷺ فقالت : إنى أُصرع، وإنى أتكشف، فادع الله لى، فقال : «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك»، فقالت : أصبر، فقالت : فإنى أتكشف، فادعُ الله ألا أتكشف فدعا لها.

قلت : الصرع صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية[1] وصرع من الأخلاط الرديئة، والثانى : هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه . . . . إلى أن قال رحمه الله تعالى : وعلاج هذا النوع - أى الأول - يكون بأمرين : أمر من جهة المصروع و أمر من جهة المعالج فالذى من جهة المصروع يكون بقوه نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين : أن يكون السلاح صحيحا في نفسه جيداً وأن يكون الساعد قويًّا فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل فكيف إذا عُدم الأمران جميعا : يكون القلب خرابا من التوحيد، والتوكُّل، والتوقى، والتوجه، ولا سلاح له.

والثانى : من جهة المعالج، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضا حتى إن من المعالجين من يكتفى بقوله : اخرج منه، أو يقول : باسم الله، أو يقول : لا حول ولا قوه إلا بالله، والنبىﷺ كان يقول : اخرج عدوَّ الله أنا رسول الله[2]

وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح[3] التي فيه، ويقول : قال لكِ الشيخ : اخرجى، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا[4] . انتهى.

* * *

---

(١) وقال رحمه الله : وبالجملة : فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا يكرهه إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قله دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصينات النبوية والإيمانية فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عريانا فيؤثر فيه هذا.

(٢) رواه أحمد وقال الأرنؤوط رجاله ثقات.

(٣) لاحظ أن هذه الروح تتكلم على لسان نفس الشخص المصروع ولكن بصوت مختلف.

(٤) المعاد بتحقيق الأرنؤوط جـ ٤ ص ٧١- ٦٦.

ثانيا : علاج الصرع :

جاء في تحفةِ الذاكرين للشوكانى تحت عنوان : (ما يقال للمصاب بلمة من الجن) ما يلى : الحديث أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك كما قال المصنف رحمه الله، وهو من حديث أبى بن كعب رضي الله عنه قال : كنت عند النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال : يا نبى الله إن لى أخا به وجع، قال : «وما وجعه؟» قال : به لمم، قال : «فأتنى به»، فأتاه به فوضعه بين يديه فعوذه بفاتحة الكتاب . . . الحديث الخ وقال في آخره : فقام الرجل كأن لم يشك شيئا قط، قال الحاكم في المستدرك : صحيح ورواه ابن ماجه من طريق أخرى، وعزاه الهيثمى في مجمع الزوائد من حديثه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وقال : فيه أبو جناب وهو ضعيف لكثرة تدليسه، وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أبو يعلى بنحوه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن رجل عن أبيه، وفى إسناده أبو جناب المذكور [١] انتهى .

الآيات الواردة في الحديث السالف ذكره :

(الفاتحة)، (البقرة : الآيات : ١- ٥، ١٦٣، ١٦٤، ٢٥٥، ٢٨٤ ٢٨٦)، (آل عمران : ١٨، ١٩) (الأعراف : ٥٤ - ٥٦)، (المؤمنون : ١١٦ - ١١٨]، (الصافات : ١- ١٠)، (الحشر : ٢٢- ٢٤) (الجن : ٣) (قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس) .

ثالثا : السحر :

ذكر الله تعالى السحر في أكثر من موضع في القرآن وخاصة قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢] ، وهو من الموبقات - المهلكات - السبع التي صح عنه ﷺ الأمر باجتنابها لما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا : وما هن يا رسول الله؟ قال : الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات .

فمن أراد معرفة مدى حرمة هذه الموبقة ومعرفة أنواع السحر، وأقوال العلماء في قتل الساحر، وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته أم لا؟ فليرجع إلى تفسير ابن كثير رحمه الله [٢] لهذه الآية وأيضا

(١) تحفة الذاكرين للشوكانى ص ٢١١، ٢١٢.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى جـ ١ ص ٩٥-١٠٢ جـ ٣ ص ٦٤٢ - ٦٩٦.

تفسير (قل أعوذ برب الفلق) .

رابعا - علاج السحر :

والمقصود ذكر هديه ﷺ في علاج هذا المرض وقد روى عنه فيه نوعان :

احدهما : وهو أبلغهما : استخراجه وإبطاله كما ثبت ذلك في الصحيح .

والنوع الثانى : الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر (وذكر رحمه الله الحجامة كمثل لذلك) ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية فالقلب إذا كان ممتلئا من الله، مغمورا بذكره، وله من التوجيهات والدعوات والأذكار والتعوذات، وورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه : كان من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه وعند السحرة : أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية التي هى معلقة بالسفليات ولهذا فإن غالب ما يؤثر فيه النساء والصبيان، والجهال، وأهل البوادى، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية [1] . انتهى من زاد المعاد .

تنبيه : علاج فك الربط

جاء في تفسير الآية لابن كثير ما يلى : وهل يسأل الساحر حلاً لسحره؟ فأجازه سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخارى، وقال الشعبى : لا بأس بالنشرة، وكره ذلك الحسن البصرى، وفى الصحيح عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله هلا تنشرتَ؟ فقال : «أما الله فقد شفانى وخشيت أن أفتح على الناس شرّاً»، وحكى القرطبى عن وهب أنه قال : يؤخذ سبع ورقات من سدر، فتدق بين حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسى ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات، ثم يغتسل بباقيه فإنه يذهب ما به وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته، (قلت) أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر، ما أنزل الله على رسوله ﷺ في إذهاب ذلك وهما (المعوذتان)، وفى الحديث : «**لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما**» . وكذلك قراءة آية الكرسى فإنها مطردة للشيطان . انتهى من ابن كثير .

خامسا - بعض ما ورد في حل السحر

جاء في تفسير ابن كثير [2] لسورة يونس عند قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ [يونس :٨١] ما يلى :

وقال ابن أبى حاتم، عن ليث وهو ابن أبى سليم قال : بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور .

* * *

(١) المعاد لابن القيم جـ ٤ (الطب النبوى) ص ١٢٤ - ١٢٧.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٢٧.

الآية التي من سورة يونس.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٨١-٨٢] قال ابن كثير : الآية وذكر اليتين ٨١، ٨٢ .

والآية الأخرى : ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١١٨] إلى آخر أربع آيات . . . . أي كالآتي : ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨-١٢٢] .

وقوله : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] انتهى من تفسير ابن كثير .

تنبيه :

وروى - والله أعلم - أن تلك الآيات السابقة تكتب بمداد طاهر كالزعفران ثم تذاب في كوب به ماء، ثم يشرب منها المسحور، يفعل ذلك ثلاث مرات : الكتابة والإذابة والشرب .

سادسا : تنبيهات خاصة بفك الربط :

(أ) توضيحا لما أورده ابن كثير رحمه الله تعالى عن الربط والذى سبق الكلام عنه يراعى ما يلى :

(أ) ورق السدر، هو الورق المعروف بورق النبق .

(ب) يراعى أن يكون هذا الورق أخضر وقد ورد ذلك في كتاب (آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان) .

(ج) يراعى ترتيب الخطوات بالأرقام فتقول مثلا :

١ - سبع ورقات من سدر .

٢ - تدق بين حجرين .

٣ - تنضج بالماء . . . . . ثم تكتب باقى الخطوات .

(د) يراعى أن تكون كمية المياه كافية للشرب والاغتسال بحيث إنه بعد قراءة آية الكرسى لا يزاد الماء .

(هـ) إذا كان المسحور لا يصلى، فعليه أن يصلى، وأن يعتقد بأن النافع والضار والشافى هو الله سبحانه وتعالى .

سابعا - تنبيهات لا غنى عنها :

(أ) على من أراد القيام بالرقية التي سبق الكلام عنها من تحفة الذاكرين أن يراعى ما يلى :

١ - عليه أن يداوم على الأذكار الواردة في الصباح والمساء خصوصا «**قل هو الله أحد**» والمعوذتين .

٢ - أن يرقى أولاده الصغار بالمعوذتين، وهذا عام لكل من له أولاد صغار .

٣ - أن يحافظ على أذكار النوم خصوصًا آية الكرسى .

٤ - أن يجتنب الأشياء غير الشرعية عند الرقية ولا يرقى إلا بالوارد ويراعى ما يقال على لسان الروح، مثل ما ذكره ابن تيمية رحمه الله عندما قالت له الروح : أنا أدعه كرامة لك فقال لها رحمه لله : لا، ولكن طاعة لله ورسوله .

٥ - أن يقرأ الكتاب السالف ذكره وهو [آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان]، تأليف الشيخ العلامة المحدث القاضى بدر الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي الحنفى [تصحيح عبد الله محمد صديق] .

(ب) ما يدلك على خطورة عدم التسمية ما جاء في كتاب [آكام المرجان] السالف ذكره في الباب الثانى بعد المائة عن يحيى بن يعلى الأسلمى عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال : إذا جامع الرجل أهله ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله تعالى : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن :٥٦][1]. انتهى .

(ج) وجاء في الباب الثامن بعد المائة من نفس الكتاب السالف ذكره تحت عنوان (في بيان نوم الشيطان على الفراش الذي ينام عليه أحد) قال المؤلف رحمه الله : ليس هذا على إطلاقه بل إذا فرش ولم يسم عليه وليس مخصوصا بالفراش بل كل ما لم يسم عليه من طعام أو شراب أو لباس أو غير ذلك مما ينتفع به فللشيطان فيه تصرف واستعمال إما بإتلاف عينه كالطعام والشراب وإما مع بقاء العين [2]. انتهى .

فينبغى للمسلم أن يبدأ عمله : باسم الله، ويكون ذلك حتى في أقل الأشياء فإذا دخل غرفة يقول : باسم الله، وإذا ضغط على مفتاح الكهرباء يقول باسم الله وإذا حمل شيئا يقول : باسم الله وإذا أوقد النار يقول : باسم الله، وإذا أتى بالقلم من مكانه يقول : باسم الله .

فائدة :

جاء في باب الغضب في مختصر منهاج القاصدين : وروينا أن إبليس لعنه الله بدا لموسى عليه السلام فقال يا موسى : إياك والحدة، فإنى ألعب بالرجل الحديد كما يلعب الصبيان بالكرة .

خاتمة : حتى تعتصم بالله من الجن فعليك بهذه الأحراز :

١ - الاستعاذة : قال تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت :٣٦] .

٢ - قراءة المعوذتين : فعن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما و ترك ما سواهما . أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح . وقد تقدم فضل قراءة [قل هو الله أحد والمعوذتين] ثلاث مرات في الصباح والمساء في الحديث رقم ٤ من أذكار الصباح والمساء .

(١) آكام المرجان : ١٧٧، ١٧٨ .
(٢) آكام المرجان ص ١٨٠، ١٨١ .

٣ - قراءة آية الكرسى عند النوم : وقد تقدم في فضلها الحديث رقم ٣ من أذكار النوم .

٤ - قراءة سورة البقرة : لقوله ﷺ: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان . رواه مسلم وأحمد وغيرهما .

٥ - قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة عند النوم : وقد تقدم الحديث رقم ٤ من أذكار النوم .

٦ - قوله : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) في اليوم مائة مرة : وقد تقدم في الحديث ٢٤ من الأذكار أن من قرأها بهذا العدد كانت له حرزاً من الشيطان .

٧ - كثرة ذكر الله عز وجل : لقوله ﷺفي حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام (. . . . كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى . . . الحديث) رواه أحمد والترمذى . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . وقد تقدم فضل الذكر وأنه يطرد الشيطان .

٨ - الوضوء : وقد روى في الحديث : إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار و إنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ .

٩ - الصلاة : فإن الشيطان يبكى لرؤيته سجودَ ابن آدم ويقول كما في الحديث : يا ويله أمر بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فلم أسجد فلى النار .

١٠ - العلم : لقوله ﷺ: لفقيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد . رواه الترمذى .

١١ - إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس : وعموما سد مداخل الشيطان ، والتى من أهمها الحسد والحرص والغضب ، والشهوة والشبع والطمع فيما في أيدى الناس ، والعجلة والكبر . . . وفى النهاية يمكن القول بفضل الله تعالى : كل ما يُبْعِدُك عن الرحمن ، يُقَرِّبُك من الشيطان .

* * *

الباب الثالث عشر الدين النصيحة

قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**». رواه مسلم. لذا أذكر نفسى وإياك بهذه النصائح والفوائد:

الأولى- قال الله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

الصلاة الوسطى: قال ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد الخلاف فيها: وقد ثبتت السنة بأنها صلاة العصر [(١)]. انتهى. وعلى هذا يمكن القول والله أعلم: انتظارك صلاة العصر قبل الأذان لا يقل عن استيقاظك قبل الفجر للقيام.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها: قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد في سبيل الله. متفق عليه. وعلى هذا يمكن القول والله أعلم: إذا أردت الرضوان فحافظ على الصلاة حفاظ المؤذن على الأذان. ولا يفوتك أن تقرأ فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في (مسألة الجماعة للصلاة) هل واجبة أم سنة؟ وإذا قلنا: واجبة هل تصح الصلاة بدونها مع القدرة عليها؟ [(٢)].

الثانية- الإبعاد عن اللهو والأغانى لقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦] فالقلب المشغول بالأغانى لا يكون عامرا بالقرآن وقد سبق الكلام عن حكم الإسلام في الغناء.

الثالثة: ترتيل القرآن وحفظه والعمل به:

(أ) قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]قال رسول الله ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لصاحبه**. رواه مسلم. وقال ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران**. متفق عليه. جاء في رياض الصالحين بتحقيق عبد العزيز رباح والدقاق والأرنؤوط ما يلي: «**ماهر به**» أي يجيد لفظه على ما ينبغي بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته. «**مع السفرة**» الملائكة الرسل إلى الرسل صلوات الله عليهم. «**البررة**» المطيعين أى معهم في منازلهم في الآخرة «**يتتعتع فيه**» أى يتردد في قراءته.

فائدة:

قال ابن تيمية: من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبره فقد هجره ومن قرأ القرآن وتدبره ولم يعمل به فقد هجره.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف، وميم حرف. رواه الترمذى

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢١٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٣.

وقال حديث حسن صحيح. وروى أنه جاء في التوراة: إن الله تعالى يقول: (أما تستحيى منى يأتيك كتاب (يعنى خطاب) من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شئ منه، وهذا كتابى أنزلته إليك انظر كيف فصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه فكنت أهون عليك من بعض إخوانك، يا عبدى يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك و تصغى إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا مقبل عليك ومحدث وأنت معرض بقلبك عنى، أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك؟!

(ب) أهل القرآن: قال رسول الله ﷺ: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»(١). قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ينبغى لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون وبخشوعه إذ الناس يختالون وبحزنه إذ الناس يفرحون. وقال محمد بن كعب كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه، يشير إلى سهره وطول تهجده، وقال دهيب بن الورد: قيل لرجل: ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومى.

فائدة: جاء في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله:

قال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم (٢) انتهى.

(ج) واحرص دائماً على أن تجمع بين علوم القرآن والسنة (على الأقل معرفة ترتيل القرآن وفهم مفرداته وما يعلم من الدين بالضرورة) وبين علوم الدنيا وإلا كما يقول تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾. قال ابن كثير: أى أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشئونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة. قال الحسن البصرى: والله ليبلغ من أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلى، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية يعنى الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال. (٣) انتهى.

ويمكنك إذا كنت لا تجيد قراءة القرآن أن تذهب إلى أقرب مسجد لتتعلم فيه كيفية التلاوة، وهناك طريقة سهلة، وهى أنك تأتى بشرائط القرآن المرتل، ثم تتابع مع الشريط في المصحف، وإذا لم يكن في إمكانك الحصول على تلك الشرائط فيمكنك أن تستمع إلى محطة القرآن الكريم وتتابع مع القارئ

(١) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم بإسناد حسن.
(٢) زاد المعاد جـ١ ص ٣٣٧. (٣) مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٨، ٤٩.

في المصحف أيضا، ويمكنك أن تختم القرآن الكريم ولو مرة على الأقل في الشهر بأن تقرأ جزءا في كل يوم حتى لا تكون من الذين قد هجروا تلاوة القرآن.

الرابعة: عليك بصيام التطوع، قال رسول الله ﷺ: ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا. أى مدة سير سبعين عاما كما قال العلماء. متفق عليه

وصيام التطوع ما يلى:

١ - يوم عرفة لغير الحاج وهو تاسع ذى الحجة.

٢ - يوم عاشوراء ويوم تاسوعاء وهما العاشر والتاسع من شهر المحرم إذا أردت إتمام الفائدة فصم أيضا الحادى عشر.

٣ - صيام ستة أيام من شوال.

٤ - الإكثار من الصيام في شهر شعبان، وخاصة النصف الأول منه وذلك لفعله ﷺ ذلك فقد صح عنه ﷺ أنه كان يصوم شعبان إلا قليلا.

٥ - العشر الأول من شهر ذى الحجة وفيه خلاف [(١)] قالت عائشة: ما رأيته (أى النبى ﷺ) صائما في العشر قط. ذكره مسلم.

٦ - شهر المحرم لقوله ﷺ عندما سئل عن الصيام أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: شهر الله المحرم الذي تدعونه المحرم. رواه مسلم.

٧ - الأيام البيض من كل شهر وهى: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

٨ - صيام يوم الإثنين.

٩ - صيام يوم الخميس.

١٠ - صيام يوم وإفطار يوم (صيام داود عيه السلام).

١١ - الصيام للعزب الذي لم يستطع الباءة.

١٢ - كان رسول الله ﷺ يصوم السبت والأحد كثيراً يقصد بذلك مخالفة اليهود والنصارى وكان ﷺ يقول: إنهما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم [(٢)].

١٣ - وفى زاد المعاد: كان رسول الله ﷺ يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام. ذكره أبو داود والنسائى وحسنه الأرنؤوط، وقالت عائشة: لم يكن يبالى من أى شهر صامها. ذكره مسلم ولا تناقض بين هذه الآثار.

١٤ - وفى صحيح الجامع أنه ﷺ كان يصوم السبت والأحد والإثنين من أول الشهر، ثم يصوم الثلاثاء والأربعاء والخميس من أول الشهر الذي يليه.

١٥ - وكان ﷺ يدخل على أهله فيقول: هل عندكم شيء؟ فإن قالوا: لا، قال: إنى صائم.

---

(١) زاد المعاد ج٢ ص.٦٥

(٢) زاد المعاد ج٢ ص٧٨ خصوصا الهامش، والحديث أخرجه أحمد، وقال الأرنؤوط: سنده حسن.

فينشئ النية للتطوع من النهار (١).

تنبيه :

وكان ﷺإذا كان صائماً ونزل على قوم أتم صيامه ولم يفطر أما الحديث الذي رواه ابن ماجه : من نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بإذنهم . (٢)قال فيه الترمذى : هذا الحديث منكر ، ووافقه الأرنؤوط أثابه الله .

الخامسة : عليك بهذه المكتبة الإسلامية مع العلم بأن الكتاب المذكور أولاً هو الأيسر :

١ - التفسير : تفسير الجلالين (تفسير مبسط) - مختصر تفسير ابن كثير للصابونى - تفسير ابن كثير (الأصل) ولا غنى للمسلم عن أحدهما (٣)- صفوة التفاسير - الجامع لأحكام القرآن للقرطبى - تفسير البغوى - تفسير ابن جرير .

تنبيه :

هناك كتاب لتفسير كلمات القرآن على هيئة القاموس وهو (كلمات القرآن تفسير وبيان) للشيخ الجليل : حسنين مخلوف .

٢ - الأحاديث : رياض الصالحين للنووى - الأذكار النووية - مشكاة المصابيح - الترغيب والترهيب - صحيح الجامع الصغير وزياداته للألبانى .

أحاديث مشروحة : دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين - شرح مسلم للنووى - فتح البارى في شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (موسوعة العلماء) .

٣ - الفقه : فقه السنة للسيد سابق - نيل الأوطار للشوكانى سبل السلام للصنعانى- المغنى لابن قدامة- (وقد سبقت الإشارة إلى فتح البارى) .

٤ - العقيدة : عقائد إسلامية للسيد سابق - عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى - شرح العقيدة الطحاوية .

٥ - السيرة : السيرة لابن كثير - السيرة لابن هشام - البداية والنهاية لابن كثير .

٦ - القصص : قصص الأنبياء لابن كثير .

٧ - القلوب : مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة - جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى (لابد من قراءتهما) - مدارج السالكين لابن القيم .

٨ - الفتاوى : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٣٧جزءاً) ويمكن القول بفضل الله تعالى : من أراد العلم على ما يرام فعليه بفتاوى شيخ الإسلام .

٩ - علم الحديث : تيسير مصطلح الحديث للطحان - الباعث الحثيث لابن كثير - نزهة النظر

---

(١) زاد المعاد ج٢ ص٨٣-٨٥ . (٢) زاد المعاد ج٢ ص٨٥٣-٨٥ .

(٣) مختصر ابن كثير هو الأسهل لكنه الأعلى منا حتى الآن ويمكن أن يقال (بيت فقير من ليس فيه مختصر تفسير ابن كثير) .

لابن حجر - وهناك كتاب في أصول التخريج وهو : أصول التخريج ودراسة الأسانيد للطحان .

١٠ - اللغة : النحو الواضح لعلى الجارم - قطر الندى وبل الصدى لابن هشام - التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية - القواعد الأساسية في النحو والصرف للمدارس الثانوية - شرح شذور الذهب لابن هشام ومعه متن شذور الذهب .

١١ - البلاغة : البلاغة الواضحة ودليلها لعلى الجارم .

١٢ - علوم القرآن : مناهل العرفان للزرقانى .

١٣ - أحكام القرآن : روائع البيان في أحكام القرآن للصابونى - أحكام القرآن للجصاص - (وقد سبقت الإشارة إلى تفسير القرطبى) .

١٤ - أصول الفقه : أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف .

١٥ - الشيطان : تلبيس إبليس لابن الجوزي - إغاثة اللهفان لابن القيم - آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان للشبلى (وقد سبقت الإشارة إليه) .

١٦ - هدى النبى ﷺ: بيان ما يجوز وما لا يجوز : زاد المعاد لابن القيم بتحقيق الأرنؤوط .

١٧ - كتاب شامل لمعظم الإسلام باختصار : منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى .

١٨ - الأحاديث الضعيفة والموضوعة : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكانى - سلسله الأحاديث الضعيفة للألبانى - ضعيف الجامع الصغير وزياداته للألبانى .

١٩ - البدع : الإبداع في مضار الابتداع للعالم الجليل : الشيخ على محفوظ .

٢٠ - تربية الأولاد : تربية الأطفال في الإسلام لعبد الله علوان .

٢١ - المولود : تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم .

٢٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وهو كتاب قيم لمعرفة موضع الآية في أى سورة هى؟ .

٢٣ - النار : يقظة أولى الاعتبار فيما ورد في النار وأصحاب النار : لصديق حسن خان .

٢٤ - الجنة : حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم .

٢٥ - الأحاديث القدسية : شرح الأحاديث القدسية .

٢٦ - الدعاء والذكر : تحفه الذاكرين للشوكانى (مع التحفظ في نقطة التوسل) -الوابل الصيب لابن القيم - الأذكار النووية .

٢٧ - القرآن الكريم : ولك أن تلتزم بالقراءة في مصحف واحد (أى طبعة واحدة لا تقرأ في غيرها من الطبعات) فإن ذلك يسهل عليك الحفظ وتثبيت القرآن بإذن الله تعالى .

* * *

ترتيب القراءة

يمكنك والله أعلم قراءة الكتاب الأول من كل مجموعة حسب الترتيب الرقمى الآتى : فتبدأ برقم ٧ (أى مختصر منهاج القاصدين) و ١٧ (أى منهاج المسلم) معاً ثم ١ - ٤ - ٢ - ٣ - ١٥ - ١٦ - ١٣ - ٨ - ٥ - ١٨ - ١٩ - ١٠ - ٤ - ١٢ - ٩ - ١١ - ٦ .

السادسة : اجتمع أنت وأهل بيتك كل يوم على مائدة الكتاب والسنة، ومن أيسر الكتب في ذلك : منهاج المسلم، مختصر منهاج القاصدين، مختصر تفسير بن كثير للصابونى، الوابل الصيب لابن القيم، رياض الصالحين.

تنبيه :

هذا أقل ما يوجد في بيتك، فإن لم تستطع فعليك بكتاب منهاج المسلم، فهو للبيوت كالملح للقوت.

السابعة : قال رسول الله ﷺ : لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى [١].

الثامنة : إياك والغيبة، قال تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢] . وعن أبى هريرة قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة؟ قال ﷺ : ذكرك أخاك بما يكره. قيل : أفرأيت إن كان في أخى ما أقول؟ قال ﷺ : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته. رواه أبو داود. وفى كفارة الغيبة قال العلماء : (. . . . . . فإن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه واستحله، وأظهر له الندم على فعله، وإن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل جعل مكان استحلاله الاستغفار له) وقد ذكرت الكلام عن الغيبة بعد الكلام عن الصحبة فانتبه.

التاسعة : عدم الغرور بالطاعة فإن الذي يبكى على معصيته خير من المغرور بطاعته كما قيل : رُبَّ معصية أورثت صاحبها ذلاً وانكساراً، ورب طاعة أورثت صاحبها عجباً وافتخاراً.

العاشرة : الدعاء بظهر الغيب حتى لمن أساء إليك، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الدعاء بظهر الغيب قد سبق الكلام عن بعضها في باب الدعاء، ومن الفائدة - والله أعلم - أنك إذا كنت في الطريق ورأيت أخاك المسلم آتياً من بعيد فادع له قبل أن يأتى إليك، وكذلك إذا مررت على بيته، وكذلك إذا زرته فقبل أن تطرق الباب تدعو له.

الحادية عشرة : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة. وهذا قول النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص[٢]، وقد سبق في باب الدعاء أن من بين آداب الدعاء : تجنب الحرام مأكلاً ومشرباً وملبساً.

الثانية عشرة : معاملة الزوجة بلطف والصبر على أذاها، لقوله ﷺ : لا يفرك (أى لا يبغض) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر. رواه مسلم. وجاء في مختصر منهاج القاصدين :

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم عن أبى سعيد.

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير.

واعلم أنه ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها .

وتذكر قول النبى ﷺ في الصحيح : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منزله أعظمهم فتنة ، يجىء أحدهم فيقول : قد فعلت كذا وكذا ، فيقول : ماصنعت شيئاً قال فيجىء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . قال فيدنيه منه أو قال : فيلتزمه ويقول : نعم أنت أنت . رواه مسلم .

ويقول رسول الله ﷺ: لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح . دخيل : يعنى ضيف .

الثالثة عشرة : إذا وقع أى خلاف في البيت فافزع إلى الصلاة ، وأطل السجود ، وأكثر الاستغفار .

الرابعة عشرة : ليست هناك عزة بين المؤمن والمؤمن ؛ لأن الله تعالى يقول في وصف أحبائه : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة :٥٤] ومن باب أولى أن تكون هذه الذلة بين الرجل وزوجته . فعلى كل منهما المسارعة في مصالحة الآخر ولو كان الحق معه ، وذلك إرغاماً للشيطان ، والأولى أن يكون ذلك من جانب الزوجة حتى تخفف عن زوجها ما يلاقيه من عناء العمل ، وعليها أن تتذكر قول النبى ﷺ : «ألا أدلكم على نسائكم في الجنة؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : ودود ولود إذا غضبت أو أسىء إليها أو غضب زوجها قالت : هذه يدى في يدك ولا أكتحل بغمض حتى ترضى . يعنى ترضيه ، رواه الطبرانى .

الخامسة عشر : روى عن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ثلاث لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو . رواه الطبرانى في الأوسط وابن حبان وابن خزيمة .

السادسة عشرة : قال رسول الله ﷺ : السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب . رواه أحمد والنسائى والترمذى .

السابعة عشرة : عن بشر الحافى جاء في الأثر : من بدأ بالحمد قبل الشكوى لم تكتب عليه الشكوى ؛ لذا كان بشر الحافى يقول لمن سأله عن مرضه أحمد الله إليكم ، بى كذا وكذا .

الثامنة عشرة : ألق السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، وعليك أن تعلم أن النبى ﷺ يقول : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم . رواه مسلم . وعليك أن تعلم أنك إذا قلت : السلام عليكم تأخذ عشر حسنات ، وإذا أضفت : ورحمة الله تأخذ عشرين حسنة ، وإذا أضفت : وبركاته تأخذ ثلاثين حسنة ، كما أفاد بذلك حديث أبى داود والترمذى عن النبى ﷺ .

التاسعة عشرة : عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه

فإذا حالت بينهم شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه . رواه أبو داود وسنده جيد، وعليه يمكنك أنت وزوجتك أن يلقى كل منكما على الآخر السلام عندما يأتى أحدكما بجزء من الطعام ثم يذهب لإحضار باقيه .

العشرون : إذا كنت في أى مكان فألق السلام على أخيك المسلم، وإذا كنت تقود مركبتك في الطريق وتوقفت قليلا فسلم على صاحب المركبة الأخرى .

فائدة : أخرج ابن السنى : قال رسول الله ﷺ : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه . وحسنه الأرنؤوط في زاد المعاد .

الحادية والعشرون : قال رسول الله ﷺ : أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة (يعنى خلق) وعفة طعمة [1]. رواه أحمد في مسنده .

الثانية والعشرون : قال الفضيل : علامة الشقاوة خمسة : قلة الحياء، وقسوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل . وقال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء . فقال : دعه فإن الحياء من الإيمان . متفق عليه .

الثالثة والعشرون : بر والديك وإن جفوك لقوله تعالى : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقوله ﷺ: من أصبح مطيعاً لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وإن كان واحد فواحد، ومن أمسى عاصياً لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار وإن كان واحد فواحد قال رجل : وإن ظلماه؟ قال : وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه . رواه البيهقى في شعب الإيمان : وقيل لعلى بن الحسين : إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة؟ قال : أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق إليه عيناها فأكون قد عققتها .

ورأى أبو هريرة رجلا يمشى خلف رجل فقال : من هذا؟ قال : أبى قال : لا تدعه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمش أمامه .

الرابعة والعشرون : ابتعد عن القيل والقال لقوله ﷺ : إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعًا وهات، وكره لكم : قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . أخرجه البخارى .

الخامسة والعشرون : صل رحمك وإن كان عدوك لقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ولقوله ﷺ : أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح . يعني : أفضل الصدقة على ذى الرحم المضمر العداوة . رواه الطبرانى .

السادسة والعشرون : لا تنفق وقتك إلا في طاعة، وقد كان أحد السلف إذا طرق الباب طارق يقول : اللهم إنى أعوذ بك ممن يشغلنى عن ذكرك .

---

(١) قال العلماء : أى الجهة التى يرزق منها .

السابعة والعشرون : عليك بزيارة الأيتام والعطف عليهم، وتذكر أنه سيأتي اليوم الذي تقفل فيه زوجتك بابها على نفسها وتبكي على فراقك إن قدر الله لك الموت قبلها وانظر إلى قول النبي ﷺ : خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه . رواه ابن ماجه .

الثامنة والعشرون : الجار قبل الدار، وعليك أن تتأسى بقول النبي ﷺلأبي ذر : يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك . رواه الطبراني .

ولا تكن من هذا الجار الذي قال في شأنه رسول الله ﷺ : ثلاثة من الفواقر : إمام إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خير دفنه، وإن رأى شرّاً أذاعه وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك . رواه الطبراني .

وإياك إياك أن تؤذي جارك خاصة برفع صوت المذياع . وقد يبيع الرجل داره وبأقل من ثمنه هرباً من جار السوء كما قال أحدهم عند بيع داره :

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

وروى المدائني : أنه باع جار لفيروز داره بأربعة آلاف درهم فجيء بها فقال البائع : هذا ثمن داري فأين ثمن جاري؟ قال : ولجارك ثمن؟! قال : لا أنقصه والله عن أربعة آلاف درهم، فبلغ ذلك فيروز فأرسل إليه بثمانية آلاف درهم وقال : هذا ثمن دارك وجارك والزم دارك ولا تبعها .

التاسعة والعشرون : قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعلت لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم به .

الثلاثون : أكرم ضيفك، لقوله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . رواه مسلم . وقال تعالى في وصف كرم إبراهيم عليه السلام : ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٦-٢٧] قال ابن كثير رحمه الله : وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال : ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات :٩١] ؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل : إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل . انتهى

قال العباس : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته تممته . وقد نهى رسول الله ﷺ أن يتكلف الرجل في إكرام الضيف فقال ﷺ : لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه . وسيأتي هذا الحديث إن شاء الله تعالى في باب المناهي .

فائدة :

دخل ضيف على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقدم له نصف رغيف ونصف خيارة وقال له : كل فإن الحلال في هذا الزمان لا يحتمل السرف .

الحادية والثلاثون : إذا كنت تعمل عند إنسان بأجر أو سائقاً على سيارة بالأجرة ثم أتاك ما يسمونه بالوهبة ، فإنها من حق صاحب المال إلا أن يأذن لك في أخذها ، لما ورد أن النبى ﷺ استعمل رجلا على الصدقة ، فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدى لى ، فقال ﷺ : أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا . رواه أحمد . فإذا كانت الأجرة المستحقة لك نصف جنيه إلا خمسة قروش ، فترك لك الراكب هذه القروش الخمسة ، فإنها كما قلنا من حق صاحب المركبة (أى السيارة) إلا أن يأذن لك . وتذكر قول ميمون بن مهران : ثلاث يؤدين إلى البر والفاجر : الأمانة والعهد وصلة الرحم .

الثانية والثلاثون : حاول ألا تنام بعد الفجر ، وإليك بعض هديه ﷺ في النوم كما جاء في كتاب «**الطب النبوى**» المأخوذ من زاد المعاد لابن القيم : وقيل : نوم النهار خُلق وخُرق وحُمق ، فالخُلق نومة الهاجرة (يعنى الظهر) وهو خلق رسول الله ﷺ . والخرق : نومة الفجر يشغل عن أمر الدنيا والآخرة ، والحمق : نومة العصر قال بعض السلف : من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه . وقال الشاعر :

ألا إن نومات الضحى تورث خبالا ونومات العُصَير جنونا

ونومة الصبح تمنع الرزق ، لأن ذلك وقت تطلب فيه الخليقة أرزاقها وهو وقت قسمة الأرزاق . فنومه حرمان إلا لعارض أو ضرورة ، وهو مضر جداً ، ورأى عبد الله بن عباس ابنا له نائماً نوم الصبحة فقال له : قم أتنام الساعة التي تقسم فيها الأرزاق؟ [(١)] . انتهى من زاد المعاد .

وروى أيضا : تنسموا الصباح قبل أن تدنسه أنفاس العاصين .

الثالثة والثلاثون : حتى تكون دعوتك إلى الله ذات ثمرة ، فابدأ بنفسك أولاً ، لأن الله تعالى يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٩] فأمر تعالى نبيه ﷺ أن يبدأ بنسائه وبناته قبل نساء المؤمنين .

الرابعة والثلاثون : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتهيئوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة :١٨] . وكان يقال : النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه خانك ، وروى أن حسان بن سنان مَرَّ بغرفة فقال : متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال : تسألين عما لا يعنيك ! لأعاقبنك بصوم سنة ، فصامها ، وقد روى أن من حاسب نفسه في الدنيا ، خف في القيامة حسابه ، وحسن منقلبه . ومن أهمل المحاسبة

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ج٤ ص. ٢٤٢

دامت حسراته. جاء في مختصر منهاج القاصدين: فلينظر الإنسان في أربعة أنواع: الطاعات، والمعاصي، والصفات المهلكات، والصفات المنجيات، فلا تغفل عن نفسك ولا عن صفاتك المباعدة عن الله تعالى والمقربة إليه، وينبغى على كل مسلم أن تكون له جريدة (ورقة) يثبت فيها جملة الصفات المهلكات والصفات المنجيات، وجملة المعاصى والطاعات، ويعرض ذلك على نفسه كل يوم، ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة، فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهى: البخل، والكبر، والعجب، والرياء، والحسد، وشدة الغضب، وشره الوقاع، وحب المال، وحب الجاه.

ومن المنجيات عشرة: الندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، واعتدال الخوف والرجاء، والزهد في الدنيا، والإخلاص في الأعمال وحسن الخلق مع الخلق، وحب الله تعالى، والخشوع. فهذه عشرون خصلة: عشرة مذمومة، وعشرة محمودة، فمتى كفى من المذمومات واحدة خط عليها في جريدته وترك الفكر فيها، وشكر الله تعالى على كفايته إياها، وليعلم أن ذلك لا يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه، ثم يقبل على التسع الباقية، وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع، وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالصفات المنجيات، فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقى، فأما أكثر الناس من المعدودين في الصالحين، فينبغى أن يثبتوا في جرائدهم المعاصى الظاهرة، كأكل الشبهات، وإطلاق اللسان بالغيبة والنميمة، والمراء، والثناء على النفس، والإفراط في موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء، والمداهنة في ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن أكثر من يعد نفسه من الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصى في جوارحه، وما لم تطهر الجوارح من الآثام لايمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره [١]. انتهى.

* * *

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٣٧٩. وانظر جدول المحاسبة فى آخر هذا الكتاب.

جدول محاسبة النفس

من المهلكات	من المنجيات	من الذنوب الحفية
١ - البخل	الندم على الذنوب	المعاصي الظاهرة كأكل الشبهات
٢ - الكبر	الصبر على الذنوب	إطلاق اللسان بالغيبة والنميمة
٣ - العجب	الرضا بالقضاء	المراء
٤ - الرياء	الشكر على النعماء	الإفراط في موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء
٥ - الحسد	اعتدال الخوف والرجاء	
٦ - شدة الغضب	الزهد في الدنيا	المداهنة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٧ - شرة الطعام	الإخلاص في الأعمال	
٨ - شرة الوقاع	حسن الخُلق مع الخلق	
٩ - حب المال	حب الله تعالى	
١٠ - حب الجاه	الخشوع	

الخامسة والثلاثون: أد زكاة مالك إذا كنت ممن وجبت عليهم الزكاة بشروطها، وذلك لقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:١٠٣] ولقولهﷺ: من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع(١) له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا كنزك أنا مالك. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[آل عمران:١٨٠]. رواه الشيخان، الشجاع الأقرع: الثعبان الكبير. ويقولﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله.

ويقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[التوبة: ٣٤-٣٥]. جاء في مختصر تفسير ابن كثير ما مختصره: وأما الكنز فقال ابن عمر هو المال الذي لا تؤدى زكاته. وعنه قال: ما أدى زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهراً لا تؤدى زكاته فهو كنز، وقال الإمام أحمد عن ثوبان: لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا: فأي المال نتخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٣٩: ١٤٠.

فأوضع على بعير فأدركه وأنا في أثره فقالوا : يارسول الله أى المال نتخذ؟ قال : قلبا شاكراً ولسانا ذاكراً وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة. وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة :٣٥] الآية : أى يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً وتهكماً، كما في قوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٩] أى هذا بذلك وهذا الذي كنتم تكنزون لأنفسكم، ولذلك يقال : من أحب شيئاً وقدمه على طاعة الله عذب به، وهؤلاء لما كان جمع الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها، وكانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة فيحمى عليها في نار جهنم، وناهيك بحرَّها، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. قال عبدالله بن مسعود : والذى لا إله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار ديناراً ولا درهم درهماً، ولكن يوسع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدة. انتهى.

تنبيه :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصدقة والهدية أيهما أفضل؟ فأجاب : الحمد لله، الصدقة مايعطى لوجه الله تعالى عبادة محضة من غير قصد شخص معين ولا طلب غرض من جهته، لكن يوضع في مواضع الصدقة كأهل الحاجات، وأما الهدية فيقصد بها إكرام شخص معين، إما لمحبة، وإما لصداقة، وإما لطلب حاجة، ولهذا كان النبى ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها، فلا يكون لأحد عليه منة، ولا يأكل أوساخ الناس يتطهرون بها من ذنوبهم، وهى الصدقات، ولم يأكل الصدقة لذلك وغيره، وإذا تبين ذلك فالصدقة أفضل، إلا أن يكون في الهدية معنى تكون به أفضل من الصدقة، مثل الإهداء لرسول الله ﷺ في حياته محبة له، ومثل الإهداء لقريب يصل به رحمه، وأخ له في الله، فهذا يكون أفضل من الصدقة[1]. انتهى.

السادسة والثلاثون : بادر بالحج عند الميسرة، قال رسول الله ﷺ : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، وقال ﷺ : «. . . . . فإن عمرة في رمضان تعدل حجة»، وفى رواية : «تعدل حجة معى»، رواه مسلم، ولمسلم أيضا قال ﷺ : «. . . . الحج يهدم ماكان قبله»[2].

السابعة والثلاثون : علينا أن نتكلم باللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن.

الثامنة والثلاثون : لا تنبذ التمر والزبيب جميعاً، ولكن انبذ التمر على حدة والزبيب على حدة، ثم اخلطهما بعد إتمام النبذ، وذلك لما روى عن جابر عن رسول الله ﷺ : أنه نهى أن ينبذ التمر والزبيب جميعاً، ونهى أن ينبذ الرطب والبسر جميعاً. رواه الجماعة إلا الترمذى. ويقول رسول الله ﷺ : من شرب النبيذ منكم فليشربه زبيباً فرداً أو بسراً فرداً. أخرجه مسلم.

التاسعة والثلاثون : اجتنب المسكرات، واعلم أن التداوى بها داء وليس شفاء، وذلك لقول النبى

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ ٣١ ص ٢٦٩.
(٢) من أقيم الكتب فى «الحج»: مناسك الحج والعمرة للألبانى مع التحفظ فى مسألة إباحته لكشف الوجه.

ﷺ : إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام . رواه أبو داود . وقال ابن مسعود في المسكر : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرمه عليكم . ذكره البخاري .

الأربعون : ابتعد عن شرب الدخان وما شابهه فإنه حرام ، لقول الله تعالى : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف: ١٥٧] والدخان من الخبائث .

واعلم أن لهذا الداء رائحة كريهة تؤذى الملائكة والمؤمنين لقول النبى ﷺ في صحيح مسلم ، بعد أن تكلم عن رائحة البصل : . . . . وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم . بالإضافة إلى أن هذا المال ليس مالك أنت ، وإنما هو مال الله تعالى ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد :٧] فلو أن هذا المال مالك أنت ما حاسبك الله عليه ، فاستعن بالله ، وصل ركعتين ، واسأل الله أن يرفع عنك هذا البلاء ، إن كنت ممن وقعوا فيه خصوصاً أنك حينما تستأثر بجانب المال لنفسك ، تكون قد جرت على أولادك ، وأخذت منهم رزقهم ، والله سائلك عن ذلك .

الحادية والأربعون : ابتعد عن القمار واللعب بالنرد وما في معنى ذلك ، وذلك لما يلى : قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة :٩٠-٩١] .

قال ابن كثير رحمه الله : يقول الله تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطى الخمر والميسر وهو القمار . وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال : الشطرنج من الميسر . رواه ابن أبى حاتم . قال مجاهد وعطاء : كل شيء من القمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز . وروى عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب مثله ، وقالا : حتى الكعاب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان . وقال ابن عمر وابن عباس : الميسر هو القمار ، كانوا يتقامرون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام ، فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة . وقال مالك : كان ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين . وقال الزهرى : الميسر : الضرب بالقداح على الأموال والثمار . وقال القاسم بن محمد : كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر ، وكأن المراد بهذا هو النرد الذي ورد به الحديث في صحيح مسلم (الطاولة وما شابهها) قال رسول الله ﷺ : من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه . وفى موطأ مالك عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله . وأما الشطرنج فقد قال عبد الله بن عمر : إنه شر من النرد ، وتقدم عن على أنه قال : هو من الميسر ، ونص على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد ، وكرهه الشافعى ، رحمهم الله تعالى .

فائدة:

ذكر ابن كثير رحمه الله: قال ابن أبي حاتم: مر علي رضي الله عنه على قوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسها.

الثانية والأربعون: إذا وجدت أن حسنات الإنسان أكثر من سيئاته، فلا تذكر سيئاته، وإذا وجدت أن سيئاته أكثر من حسناته، فلا تذكر حسناته، (معنى قول لابن المبارك).

الثالثة والأربعون: لا تدع يوما يمر عليك إلا وتأمر فيه بمعروف، وتنهى فيه عن منكر، ولو أن تقول: يا فلان حي على الصلاة......

الرابعة والأربعون: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الرجل إذا كان يتلو الكتاب العزيز بين جماعة، فقرأ سجدة، فقام على قدميه وسجد، فهل قيامه أفضل من سجوده وهو قاعد؟ أم لا؟ وهل فعل ذلك رياء ونفاق؟

فأجاب رحمه الله: بل سجود التلاوة قائماً أفضل منه قاعداً، كما ذكر ذلك من ذكره من العلماء من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما، وكما نقل عن عائشة، بل وكذلك سجود الشكر كما روى أبو داود في سننه عن النبيﷺ من سجوده للشكر قائماً وهذا ظاهر في الاعتبار، فإن صلاة القائم أفضل من صلاة القاعد. وقد ثبت عن النبيﷺ أنه كان أحياناً يصلى قاعداً فإذا قرب من الركوع فإنه يركع ويسجد وهو قائم، وأحياناً يركع ويسجد وهو قاعد. فهذا قد يكون للعذر أو للجواز.

الخامسة والأربعون: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٨-٨٩].

قال ابن القيم رحمه الله: ولا يتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد، والإخلاص يعم. انتهى من كتاب «**الجواب الكافي**».

السادسة والأربعون: قال ابن القيم رحمه الله في كتيب «**زاد المهاجر إلى ربه**»: مراتب الدعوة أربعة:

١- العلم بماجاء به الرسولﷺ.
٢- العمل بما جاء به الرسولﷺ.
٣- الدعوة إلى ماجاء به الرسولﷺ.
٤- الصبر على ماجاء به الرسولﷺ.

السابعة والأربعون: اثنان، أنصح نفسي وإياهما بالإعراض عن اللغو: الحلاق، والسائق. (خاصة سائق السيارة الأجرة)، فللأول أن يضع في دكانه: تفسير القرآن، ومنهاج المسلم،

ومختصر منهاج القاصدين. وللثاني أن يستمع إلى تسجيلات العلماء وشرائط القرآن.

الثامنة والأربعون: ابتعد عن الجدال وإن كنت محقاً، لقوله ﷺ: أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق. رواه الطبراني. فإن الجدال مدخل من مداخل الشيطان، وامتثل للحق ولو أمام الناس، ولا تظن أن ذلك يقلل من شأنك، بل يرفعه، وذلك حتى لا تكون متكبراً عن الامتثال للحق، ولقد ذم الله تعالى المعرضين عن سبيل الرشد فقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

التاسعة والأربعون: إذا أردت أن تنصح إنساناً فلا تنصحه أمام الناس، ولتكن النصيحة بينك وبينه، قال الإمام الشافعي: **من وعظ أخاه سرّاً، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.**

الخمسون: جاء في باب سد الذرائع **في إغاثة اللهفان لابن القيم**: منع المقرض من قبول هدية المقترض، ما لم يكن بينهما عادة جارية بذلك قبل القرض، ففى سنن ابن ماجه عن يحيى بن أبى إسحاق الهنائى قال: سألت أنس بن مالك: الرجل منا يقرض أخاه المال، فيهدى إليه؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: إذا أقرض أحدكم قرضاً فأهدى إليه أو حمله على الدابة فلا يركبنها، ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك. انتهى.

ثم قال رحمه الله: وكل ذلك سداً لذريعة أخذ الزيادة في القرض الذي موجبه رد المثل.

الحادية والخمسون: الصمت حِكَم وقليل فاعله: (قول للقمان الحكيم) واعلم أن من أعظم العبادة وأيسرها على البدن الصمت وحسن الخلق، لذا كان من صفات عباد الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[الفرقان: ٧٢].

ومن صفاتهم أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾[القصص: ٥٥] أى لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم. ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ . . .﴾[القصص: ٥٥] أى إذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق أعرضوا عنه، ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلم طيب: ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ أى لا نريد طريق الجاهلية ولا نحبها(١). انتهى.

وفى مختصر منهاج القاصدين: دخل عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين المسجد في ليلة مظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه وقال أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، فهمَّ به الحرس، فقال عمر: مه، إنما سألنى أمجنون؟ فقلت: لا.

الثانية والخمسون: ما هى آخر مرة زرت فيها المقابر للعظة.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٨.

الثالثة والخمسون : اكتب وصيتك الشرعية إذا كان عندك ما توصى به وإن التأخير دليل على طول أملك في الدنيا، قال رسول الله ﷺ : من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له . رواه ابن ماجه .

الرابعة والخمسون : لا تتحرج في كتابة الدين، وإن كان المدين قريبا لك خصوصا إذا كنت تعلم أنه قد يماطل في الحق، لأن الله تعالى يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة :٢٨٢] قال ابن كثير رحمه الله : هذه الآية أطول آية في القرآن العظيم، وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير عن سعيد بن المسيب أنه بلغه : أن أحدث القرآن بالعرض آية الدين فقوله : ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة :٢٨٢] هذا إرشاد من الله تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها . . إلى أن قال رحمه الله : فأمروا أمر إرشاد لا أمر إيجاب، كما ذهب إليه بعضهم . وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة :٢٨٣] وروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : هذه نسخت ما قبلها وقال الشعبى : إذا ائتمن بعضكم بعضا فلا بأس ألا تكتبوا أو لا تشهدوا [1] . انتهى . أى أن الآية الثانية - والله أعلم - نسخت ما في الآية الأولى من الكتابة والإشهاد على سبيل الإيجاب، لكنها لم تنسخ العمل بها على سبيل الاستحباب .

الخامسة والخمسون : أكثر دائما من قول : اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى . فإن النبى ﷺ - كما في صحيح مسلم - قال لحصين : ياحصين ! أسلم حتى أعلمك كلمات . فأسلم، فلما أسلم قال له : «قل : اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى» .

السادسة والخمسون : أكثر من الاستغفار، خصوصا عند الشدائد، وأيضا عند تسميع القرآن، فقد ورد في الأولى آيات وأحاديث كثيرة، ويكفى قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود :٩٠] وروى عن ابن تيمية رحمه الله قوله : كان إذا حزبنى أمر استغفرت الله ألف مرة، فيفرج الله عنى هذا الأمر، وذكر العدد هنا كناية عن الكثرة، فلا ترتبط بعدد الشيخ رحمه الله .

وأما عند تسميع القرآن : فقد ذكر ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى في سورة الشورى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى :٣٠] عن الضحاك قال : مانعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى :٣٠] ، ثم قال الضحاك : وأى مصيبة أكبر من نسيان القرآن الكريم [2] انتهى .

لذا أرى والله أعلم : أنك إذا أردت أن تراجع حفظ سورة فاستغفر الله تعالى حتى يتساوى عدد مرات الاستغفار مع عدد الآيات، وإن زدت زادك الله ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة :٢٦١] و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة :٥٤] .

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٦ .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٧٩ آية ٣٠ .

السابعة والخمسون: تمسك بالسنة خاصة فيما يتصل بظاهرك، فإنها تذكر الناس بالله، وكان شاه ابن شجاع الكرماني يقول : من عمّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة أبدا.

ولا تظن أن هذه الأشياء من القشور، فإنه بالقشر يحفظ اللب، ومن أمثلة ذلك : العمامة، والقميص، والشرب جالسا ثلاث مرات وعلى الأرض، فإنك قد تجد من يقول لك : هل حرم الشرب جلوسا على الكرسي؟ وهنا أوضح عدة أمور :

(أ) قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[النحل :١١٦] فمسألة الحرام والحلال مرجعها إلى الله لا إلى الأهواء.

(ب) وقد كان بعض السلف يتحرجون في الإفتاء فكانوا يقولون عند الإفتاء : (كانوا يقولون كذا)، قال ابن كثير رحمه الله : ويدخل في هذا - أي الافتراء - كل من ابتدع بدعة ليس فيها مستند شرعي، أو حلل شيئًا مما حرم الله أو حرم شيئًا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه[١] . انتهى.

بل يمكنك أن تقول له : إن النبيﷺ نهى عن الشرب واقفا إلا في حدود ما استثنى، فحينما تشرب وأنت جالس[٢] على الكرسي تكون قد امتثلت لنهي النبيﷺ ولكن إذا شربت جالسًا، وعلى الأرض، فلك ثوابان : ثواب الجلوس، وثواب المتابعة للنبيﷺ .

(ج) بعض الناس في هذه الأيام ليس عندهم إلا كلمتا حلال وحرام، ولم يعلموا أن الأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح.

(د) تفهم فحوى النص، فمثلاً ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : لم يأكل النبيﷺ على خوان حتى مات، والخوان كما جاء في شرح هذا الحديث : المائدة ما لم يكن عليها طعام، فالحديث هنا يدل على الاستحباب لا على الوجوب. انتهى.

(ه) قال ابن القيم رحمه الله (. . . . والمقصود أن رسول اللهﷺ كان أكمل الخلق في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وقرة العين، وحياة الروح، فهو أكمل الخلق في هذا الشرح والحياة، وقرة العين مع ما خصَّ به من الشرح الحسي، وأكمل الخلق متابعة له، أكملهم انشراحًا ولذة وقرة عين، وعلى حسب متابعتهﷺ ينال العبد من انشراح صدره، وقرة عينه، ولذة روحه ما ينال . . . وهكذا لأتباعه نصيب من حفظ الله لهم، وعصمته إياهم، ودفاعه عنهم وإعزازه لهم، ونصره لهم، بحسب نصيبهم من المتابعة، فمستقل، ومستكثر، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه[٣] . انتهى.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٣٥٠ .
(٢) سيأتي إن شاء الله تعالى حكم الشرب واقفا.
(٣) زاد المعاد لابن القيم جـ٢ ص ٢٧.

فالمتابعة لهﷺ مكيال ومن أوفى استوفى.

الثامنة والخمسون: لا تَحْرِمْ وارثًا من إرثه، قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾[الفجر:١٩] وروى أن من حرم وارثا من إرثه حرمه الله من ميراث الجنة، وهناك بعض الناس لا يعطون المرأة حقها في الميراث وهى أيضا تتحرج أن تطالب بذلك خشية أن تتقطع صلتها بأقاربها.

التاسعة والخمسون: اهتم بقصص الأنبياء عليهم السلام، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[يوسف:١١١]، وإذا أردت أن تقص على الناس فعليك بالسيرة، فإنها تشتمل على قصص الذين شهد لهم النبىﷺ في الصحيح بالخيرية فقال: «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، قال راوى الحديث: لا أدرى قالها مرتين أو ثلاثا.

الستون: لا تفت بغير علم، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين»: وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتوى والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣] فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهى الفواحش، وثنى بما هو أشد تحريما منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أشد تحريما منها وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه وتعالى بلا علم في أسمائه وصفاته، وأفعاله في دينه وشرعه.

الحادية والستون: جاء في تفسير ابن كثير، قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية الرسولﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥١-١٥٣].

الثانية والستون: أحسن الظن بأخيك المسلم، خاصة عندما يدعوك إلى الله فقد تدعو مسلما إلى الله فيقول لك: يا أخى - هو - أنا كافر؟ وقد يقول هذه الكلمة دون داع!، يا أخى اتق الله، من قال إنك كافر.. ليس حبيبك الذي يقدم لك المشروب، ولكن حبيبك الذي يقربك من المعبود، روى أن بعض الأئمة كان ماشياً، فألقى عليه رماد، فسجد لله شكراً، فقالوا له: يا إمام! أتسجد لله شكرا وقد ألقى عليك الرماد؟! فرد عليه الإمام قائلا: الحمد لله الذي جعله رماداً ولم يجعله ناراً، وقال عمر بن الخطاب: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملا، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت النبيﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما

أطيبك وأطيب ريحك ! ما أعظمك وأعظم حرمتك ! والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك، ماله ودمه وألا يظن به إلا خيراً» أخرجه ابن ماجه في سننه.

الثالثة والستون : لا تظهر الشماتة بأخيك المسلم، لقول النبى ﷺ : «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك» رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح.

وقال المحققون : رجاله ثقات، ومعنى الشماتة : الفرح ببلية الغير.

الرابعة والستون : جاء في رياض الصالحين (باب النهى عن تناجى اثنين دون ثالث بغير إذنه إلا لحاجة، وهو أن يتحدثا سرًّا بغير أن يسمعهما وفى معناه إذا تحدث اثنان بلسان لا يفهمه) : قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المجادلة:١٠] وقال ﷺ : «إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث». متفق عليه، ورواه أبو داود، قال أبو صالح : قلت لابن عمر : فأربعة؟ قال : لا يضرك.

الخامسة والستون : إذا أهديت إنسانًا هدية فلا ترجع فيها لقول النبى ﷺ : «الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه». متفق عليه. وفى رواية **«العائد في هبته كالعائد في قيئه»** (١).

السادسة والستون : إذا أردت في أى وقت أن تقوم من النوم ووجدت الشيطان يريد أن يصدك عن القيام فأذن حيث إنه صح عن النبى ﷺ أنه يقول : «إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين».

السابعة والستون : استجب لأمر النبى ﷺ بإعفاء اللحية، روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما : أمر رسول الله ﷺ بإعفاء اللحية، وقال بعض العلماء : ورد هذا الأمر بألفاظ مختلفة عدها النووى رحمه الله فبلغت خمساً هى قوله ﷺ: «اعفوا، أوفوا، أرخوا، أرجوا، وفروا». والأمر بهذا يفيد وجوب المأمور به، بحيث يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، وليست هناك قرينة تصرفه إلى الندب، ومنه يعلم أن حلق اللحية مخالفة صريحة لأمر رسول الله ﷺ. انتهى. وقال ﷺ : «خالفوا المشركين ووفروا اللحى وأحفوا الشوارب». رواه البخارى ومسلم، وجاء في فقه السنة تعليقاً على هذا الحديث : (حمل الفقهاء هذا الأمر على الوجوب وقالوا بحرمة حلق اللحية بناء على هذا الأمر). انتهى.

القرآن واللحية :

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى عند تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، ما نصه فهذه الآية بضميمة آية الأنعام إليها، تدل على لزوم إعفاء اللحية، وعدم حلقها، وآية الأنعام المذكورة هى قوله تعالى : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأنعام:٨٤] ثم إن الله تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠] فدل ذلك على أن هارون من

(١) حسن: كما قال الألبانى.

الأنبياء الذين أمر نبيناﷺ بالاقتداء بهم، وأمرهﷺ بذلك أمر لنا لأن أمر القدوة أمر لأتباعه كما بينا إيضاحه بالأدلة القرآنية من هذا الكتاب المبارك في سورة المائدة[١]، وقد قلنا هناك، أنه ثبت في صحيح البخارى، أن مجاهدا سأل ابن عباس رضي الله عنهما: من أين أخذت السجدة في (ص)؟ قال: أو ما تقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ فسجدها داود، فسجدها رسول اللهﷺ فإذا علمت بذلك أن هارون كان موفرًا شعر لحيته، بدليل قوله لأخيه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾[طه:٩٤] أنه لو كان حالقا لما أراد الأخذ بلحيته، تبين من ذلك بإيضاح أن إعفاء اللحية سمت من السمت الذي أُمرنا به في القرآن العظيم وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم. انتهى.

وكما يقال: اللحية تربيها تربيك، وحينما يعفى الإنسان لحيته، يجدها تلزمه بأشياء لا عليه ألا يقوم بها لو كان حالقا لها، فلو مشى إنسان ملتح مع امرأة متبرجة - حتى ولو كانت أخته - فإن الناس سوف ينظرون إليه نظرة فيها احتقار.

ومن الصعب على المسلم الملتحى أن يتردد على أماكن المعصية، لأن اللحية تقول بالمعنى الصامت: أنا اتبع النبىﷺ.

فوائد وتنبيهات:

١ - قال البغوى رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء:٧٠] قيل: الرجال باللحى، والنساء بالذوائب.

٢ - حلق اللحية: استجابة لأمر الوالدين بحجة أن طاعة الوالدين فرض وإعفاء اللحية سنة: من تلبيس إبليس، وقد تقدم قول النبىﷺ: «لا طاعة لأحد في معصية الله».

٣ - حلق اللحية رضوخا لطلب الزوجة بيان عظيم لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾.

خاتمة:

جاء في موارد الظمآن: وفى اللحية خصال نافعة:

١ - مخالفة المشركين.

٢ - تمييز الرجل عن المرأة.

٣ - تمييز الرجل عن الصبى وتغطية ما في منبتها من تشويه أو تثن لا سيما في الكبر.

٤ - تعظيم الرجل الذي يعفيها وتوقيره.

٥ - إن إعفاءها من سنن المرسلين.

٦ - تقديم من يعفيها على الجماعة وتفضيله.

---

(١) أضواء البيان للشنقيطى جـ٤ ص ٥٠٦ .

٧ - السلامة من تضييع قطعة من العمر في حلقها أو قصها . انتهى من موارد الظمآن .

وفوق ذلك كله فهى امتثال لأمر الله ، ويا سعادة من امتثل لأمر مولاه فإن العز كل العز في طاعة الله ، وإن الذل كل الذل في معصية الله .

الثامنة والستون : إذا كنت من الدعاة إلى الله ، واحتجت إلى بيت تسكن فيه فيمكنك - والله أعلم - أن تدعو بهذا الدعاء : اللهم ارزقنى بيتاً يساعدنى على طاعتك في المكان الذي تحب أن أدعو فيه إليك .

التاسعة والستون: الشرفة كالشارع خاصة بالنسبة للمرأة ويمكنك أن تقوم بعمل ستارة تغطى أحبال الغسيل من الخارج .

السبعون : أخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن عبد الأعلى التيمى أنه قال : من أوتى من العلم ما لا يبكيه ، لخليق أن قد أوتى من العلم ما لا ينفعه ، لأن الله نعت أهل العلم فقال : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء :١٠٩] انتهى . وذلك في نهاية قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء :١٠٧-١٠٩] .

الحادية والسبعون : من رسوخ العلم أن يكون من الكتاب ، فقد ورد أن رجلاً سأل الإمام أحمد سؤالاً ، فصعد الإمام إلى بيته كى يحضر الكتاب فقال الرجل : حدثنى من الذاكرة ، فقال الإمام رحمه الله : لا ، بل من الكتاب ، وقد يلبس عليك إبليس قائلا : إنك إذا قرأت من الكتاب ، قال : الناس : إن حظك من العلم قليل ، فإذا كنت عالما حقًّا فلا يهمك أن تكون عالما عند الناس ، وعمومًا يقول ابن القيم رحمه الله : فالبصير صادق ، لا يستوحش من قلة الرفيق ، ولا من فقده ، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

الثانية والسبعون : إذا كنت تقوم بإعطاء درس أو خطبة جمعة ، فيمكنك أن تصلى صلاة الاستخارة ، لا على إلقاء الدرس أو الخطبة وإنما على الموضوع والله أعلم .

وأيضا يا حبذا ، لو صليت صلاة الحاجة قبل تحضير الخطبة تسأل الله فيها الصواب والإخلاص .

الثالثة والسبعون : إذا كنت قد تعودت على السفر كثيرا فاحذر طول الغياب ، وأذكرك بقول الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة :٢٣٤] فإلى هذا الحد تصبر المرأة عن زوجها ، حيث سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها عن ذلك ، فأجابته بهذه الآية ، وجاء في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله : وينبغى (أى للرجل) ألا يدع الجماع ، فإن البئر إذا لم تنزح ذهب ماؤها(١) .

---

(١) راجع هدى النبى فى الجماع فى زاد المعاد جـ٤ ص ٢٤٩ .

الرابعة والسبعون: ضع في نيتك أن كل ما تنفقه على أهلك يعتبر نفقة في سبيل الله تعالى، حتى رغيف الخبز، ففى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أفضلها الذي أنفقته على أهلك».

الخامسة والسبعون: إذا ذهبت إلى أخيك المسلم لمصلحة معينة كصلح بين اثنين متخاصمين . . . . . فلا تبدأ في الموضوع إلا بعد أن تجعله يؤدى الصلاة، خصوصا إذا كان من المواظبين على الصلاة، ولو كان الوقت ضيقًا، ويمكنك أن تسأله بهذه الكيفية: بأى سورة قرأ بكم الإمام اليوم في الصلاة؟.

السادسة والسبعون: إذا كنت وسيطا بين طرفين في أمر من أمور الخير كالصلح . . . فيمكنك أن تصلى ركعتين لله (صلاة الحاجة) تسأل الله تعالى فيهما التيسير والإخلاص وسرعة الإنجاز.

السابعة والسبعون: جاء في كتاب الزهد للإمام أحمد قال سليمان بن داود لابنه عليهما السلام: (يا بنى إن أحببت أن تغيظ عدوك فلا ترفع العصا عن ابنك). أى داوم على تأديبه ولو بالعصا.

الثامنة والسبعون: لو جهزت المرأة قلبها لله عز وجل من صغرها، بالتقوى، وحفظ القرآن - خصوصا سورة النور - والابتعاد عن الأغانى وعدم اختلاطها بالرجال وبقرارها في بيتها، وتوكلها على فاطرها بأنه هو النافع الباسط القابض، وبالدعاء في السجود بأن الله تعالى يرزقها بزوج صالح. يعفها، ويحفظ عليها دينها، وينفق عليها - لو جهزت بذلك قلبها لربها - لتزوجت بإذن الله تعالى قبل مَنْ تجهز لنفسها أثاث بيتها من صغرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] يا مسكينة: توضئى، واقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . . . تململى بين يديه، وقولى: يارب إن الحلال يسير على من يسرته عليه فلا تردنى.

التاسعة والسبعون: إذا رقيت إنساناً بالفاتحة أو بغيرها فلا تنس أن تكون الرقية بالترتيل.

الثمانون: التزم بالترتيل في الصلاة السرية، فربُّ العَلَن هو رب السر.

الحادية والثمانون: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة». رواه البخارى. وفى الأثر (إن العبد إذا بلغ المشيب استحى الله منه فعليه أن يستحيي هو من الله).

الثانية والثمانون: عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟، فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا». رواه البخارى ومسلم والترمذى.

الثالثة والثمانون: عن أوس بن أوس الثقفى: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غَسَّل [1]

---

(١) غسل: جامع أهله.

واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة : صيامها وقيامها». قال ابن كثير : هذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي.

الرابعة والثمانون: إذا استصعب عليك حمل شيء ما أو خفت مكروها، أو خفت فقرًا، فقل : (لا حول ولا قوة إلا بالله)، عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال : حدثنا مشيختنا أنه بلغهم : أن أول ما خلق الله عز وجل - حين كان عرشه على الماء - حملة العرش، قالوا: ربنا لم خلقتنا؟ قال : خلقتكم لحمل عرشي، فأعادوا عليه ذلك مرارا، فقال قولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله، فحملوه. رواه ابن أبي الدنيا، وروى أيضا عن أسد بن وداعة قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبدًا».

الخامسة والثمانون: عن ابن عباس : إذا قلت : لا إله إلا الله فقل: الحمد لله، فإن الله تعالى يقول : ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر:٦٥] انتهى وتمام الآية : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر:٦٥].

السادسة والثمانون: قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[النساء:٥] قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما، أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها، ومن ههنا يؤخذ (الحجر على السفهاء) وهم أقسام : فتارة يكون الحجر للصغر، فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه، وقال ابن عباس في قوله : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[النساء:٥] قال : هم بنوك والنساء، وقال الضحاك : هم النساء والصبيان، وقال سعيد بن جبير : هم اليتامى، وقال مجاهد وعكرمة : هم النساء، وقال ابن أبي حاتم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن النساء سفهاء إلا التي أطاعت قيّمها». وقوله : ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[النساء:٥] قال ابن عباس : لا تعمد إلى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة، فتعطيه امرأتك أو ابنتك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم.

وقال ابن جرير عن أبي موسى قال : ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم، رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيها، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[النساء:٥]، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه، وقال مجاهد : ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[النساء:٥] يعني في البر والصلة، وهذه الآية الكريمة تضمنت الإحسان إلى العائلة في الكساوى والأرزاق،

بالكلام الطيب وتحسين الأخلاق [١]. انتهى.

تنبيه :

من إكرام الرجل لزوجته ألا يجعلها تذهب إلى السوق فإن شر الأماكن في الأرض الأسواق.

السابعة والثمانون :جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره : قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفيء مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخَمِّر إناءك واذكر اسم الله ولو أن تعرض عليه شيئا». الحديث أخرجه الجماعة : البخارى ومسلم وأهل السنن الأربع. جنح الليل : أى طائفة منه وأراد به هنا الطائفة الأولى عند امتداد فحمة العشاء، فكفوا صبيانكم : أى امنعوهم من الخروج، فخلوهم : أى حلوهم عن ذلك الكف الذي كففتموهم، ولو أن تعرض عليه شيئا : يعنى أى شيء كان من عود أو غيره، فإن ذلك يكفى، وإن لم يستر جميع الإناء [٢].

الثامنة والثمانون :جاء في إغاثة اللهفان ما مختصره :

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺمر بسعد وهو يتوضأ فقال : «لا تسرف»، فقال : يا رسول الله ! أو في الماء إسراف؟ قال : «نعم وإن كنت على نهر جار». رواه أحمد وقال محمد بن عجلان : الفقه في دين الله إسباغ الوضوء وقلة إهراق الماء.

وقال الإمام أحمد : كان يقال : من قلة فقه الرجل ولعه بالماء. وفى جامع الترمذى من حديث أبى بن كعب : أن النبى ﷺقال : «إن للوضوء شيطانا يقال له : الولهان فاتقوا وسواس الماء». وكما قال أبو حامد الغزالى وغيره : الوسوسة سببها إما جهل بالشرع، وإما خبل في العقل، وكلاهما من أعظم النقائص والعيوب [٣]. انتهى.

التاسعة والثمانون :لا تسأل أخاك المسلم إذا لقيته إلى أين تذهب؟ فربما لا يريد إعلامك بذلك، (ورد معنى ذلك في مختصر منهاج القاصدين) وإنما من الممكن - والله أعلم - لو أن معك دابة أن تقول له : أنا طريقى في اتجاه كذا فإن أحببت أن تركب معى فافعل.

التسعون :إذا زرت عالما فلا تطل الزيارة عنده، فإن وقته للكتاب.

الحادية والتسعون :عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺلعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة. متفق عليه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»، قال العلماء : الوشم أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نياج فيزرق أثره أو يخضر، وفاعلته الواشمة والتى يفعل بها المستوشمة، وقال

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى جـ١ ص ٣٥٧، ٣٥٨.
(٢) تحفة الذاكرين للشوكانى ص ٨٠ .
(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم ص ١٤٦: ١٦٢ .

النووى رحمه الله : الواصلة : التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر، الموصولة : التي يوصل شعرها، والمستوصلة : التي تسأل من يفعل ذلك لها، والمتفلجة : هى التي تبرد من أسنانها لتباعد بعضها من بعض قليلا وتحسنها وهو الوشر، والنامصة : هى التي تأخذ من شعر حاجب غيرها وترفعه ليصير حسنا، والمتنمصة : التي تأمر من يفعل بها ذلك.

الثانية والتسعون : قال الله تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم :٣٤] وروى أن بعض الفقراء شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة، وأظهر شدة اغتمامه بذلك، فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ قال : لا، قال أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ قال : لا، قال أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا؟ قال : لا، قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف؟ قال : لا، قال : أما تستحى أن تشكو مولاك ولك عنده عروض بخمسين ألفًا.

الثالثة والتسعون : جاء في الأثر : من أتلف شيئا فعليه إصلاحه. فإن البعض قد يتحرج من ذلك ويقول : إنه لا يقبل العوض، وهذا خطأ، بل لو كسرت كوباً، ولو بحسن نية فعليك ثمنه، إلا أن يعفو صاحب الكوب، وتظهر هذه المسألة في حوادث التصادم بالسيارات، فإنك قد تجد البعض يتحرج من أخذ حقه ظنًا منه (عن غير علم) أن ما يسمونه بالعوض حرام.

الخامسة والتسعون : إذا بشرت بنعمة تسر، أو باندفاع نقمة، فاسجد شكرا لله، ولو كنت على غير وضوء، أو في غير اتجاه القبلة، فعن أبى بكر أن النبى ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به خرَّ ساجدًا شكرًا لله تعالى، رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه، وقال الأرنؤوط : إسناده حسن.

وهنا نكتة لطيفة : وهو أنه كلما سجدت شكرا لله، ولو في الأمور التي قد تعد صغيرة عند البعض، كلما زادك الله رفعة وعطاء، وبالمناسبة ! لا تمنعك هيبة الناس أن تسجد لله في الطريق، أو المركبة، أو عند أرباب المناصب، فلسجود الشكر، وسجود التلاوة أيضا، في هذه أماكن لذة في القلب لا تقل عن لذة السجود بين يدى الله تعالى في الليل، وللمرأة أيضا أن تسجد شكراً لله تعالى بعد كل عمل من أعمال بيتها كالطبخ.

الخامسة والتسعون : ابتعد عن لحوم العلماء، وخذ خير ما عندهم، واترك ما سوى ذلك وكما قال ابن عساكر : لحوم العلماء مسمومة، ومن أقواله أيضًا : من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب.

طلبٌ من العلماء :

١ - قراءة باب تلبيس إبليس على العلماء من كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزى.

٢ - قراءة كتاب مختصر منهاج القاصدين بين الحين والحين، وتغذية خطبة الجمعة به.

٣ - ختم القرآن مرتين على الأقل في الشهر، واعلم أن الله تعالى أودع قلبك كتابه لتذكره وتخشاه، لا لتهجره وتنساه، فالعلم هو الخشية.

٤ - قراءة تفسير القرآن كل عام، خاصة قبل رمضان (على الأقل تفسير الجلالين).

٥ - كما قال ابن تيمية: ليكن أمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر. وضع نصب عينيك هذه الحكمة «**أكثروا الكلام عن الخير فينتشر، ولا تكثروا الكلام عن الشر فيندثر**».

٦ - كن في بيتك ومسجدك ومكان دعوتك كالنخلة، كما جاء في الحديث: يرمونها بالأحجار فترميهم بالثمار.

٧ - إذا ابتليت فاستتر، فإن الصغيرة في حقك كبيرة.

٨ - لا تعرقل دعوتك إلى الله بالانتصار لنفسك. قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣] قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٤] فرد فرعون: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:٢٥] فرد موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:٢٦] فرد فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء:٢٧] فاستمر موسى عليه السلام في دعوته: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٨].

٩- اعلم أن الله تعالى لم يكرم الإنسان العالم فقط، بل كرم الكلب المعلم أيضا، فكن أهلاً لثقة الله فيك، قال ابن القيم رحمه الله في فضل العلم والعلماء: (إن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها، وأباح صيد الكلب المعلم، وهذا أيضا من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم، وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدل على شرف العلم وفضله) يقصد ابن القيم رحمه الله: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة:٤] قال ابن كثير في تفسير ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة:٤] الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم للصيد، وقال رحمه الله في تعريف الكلب المعلم: إذا أرسله استرسل، وإذا أشلاه استشلى، وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه ولا يمسكه لنفسه.

فائدة:

قال سفيان الثوري: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

السادسة والتسعون: إن خفت ظالمًا فعليك بهذه الأدعية:

١ - حسبنا الله ونعم الوكيل، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

٢ - حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا. أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال

رسول الله ﷺ : «وكيف أنعم وصاحب القرن قد الْتقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ» ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم : «قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» .

٣ - قال رسول الله ﷺ : «من كان دعاؤه : اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة مات قبل أن يصيبه البلاء» . أخرجه ابن حبان وصححه وأخرجه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وصححه الطبراني في الكبير واللفظ للطبراني .

٤ - الاستغفار : وفى الحديث : «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا» . ومن المعلوم أن سيد الاستغفار : «**اللهم أنت ربى** . . . » ويجدر بك أن تصلى صلاة التوبة بين الحين والحين .

وقد جاء في تحفة الذاكرين في تفسير الهم :

والفرق بينه وبين الحزن ما يلى : (قيل : والفرق بين الهم والحزن : أن الهم إنما يكون لأمر متوقع ، وأن الحزن يكون من أمر قد وقع ، وقيل : الحزن للماضى والهم للمستقبل ، وقيل : الفرق بينهما بالشدة والضعف ، فالهم أشد في النفس من الحزن لما يحصل فيها من الغم بسببه (جاء ذلك في تفسير الحديث رقم ١٧ من الأذكار) .

٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف أن يسطو عليك فقل : الله أكبر الله أكبر ، الله أعز من خلقه جميعا ، الله أعز مما أخاف وأحذر ، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك للسماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس ، اللهم كن لى جارا من شرهم ، جل ثناؤك ، وعز جارك ، ولا إله غيرك . ثلاث مرات -اللهم إنا نعوذ بك أن يفرط علينا أحد منهم أو أن يطغى ، أخرجه الطبرانى في الكبير وابن أبى شيبة في مصنفه ، وقال الشوكانى في تحفة الذاكرين : والحاصل أن الحديث موقوف على ابن عباس .

٦ - تقدم الحديث الذي ذكرناه في الأذكار في سنن أبى داود والنسائى عن أبى موسى أن النبى ﷺ كان إذا خاف ظالما قال : «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» .

٧ - اللهم إنى أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال : قلت : يارسول الله علمنى شيئا أسأله الله ، قال : «سل الله العافية» . فمكثت أياما ثم جئت فقلت : يارسول الله علمنى شيئا أسأله الله . قال : «يا عباس يا عم رسول الله ، سل الله العافية في الدنيا والآخرة» . رواه الترمذى وقال : هذا حديث صحيح . وفى مستدرك الحاكم عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : «ما سئل الله عز وجل شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية»[1] .

٨ - «اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى

---

(١) يمكنك أن تدعو بالدعاء الوارد فى أذكار الصباح والمساء : «اللهم إنى أسألك العافية . . . » أى الحديث رقم (٧) .

وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب من يقربني إلى حبك». أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك. قال الشوكاني في تحفة الذاكرين: وقد ذكر له الترمذي قصة وفيها: أن الله عز وجل قال للنبي ﷺ: سل يا محمد، قال: «قلت: اللهم إني أسألك... » الحديث إلخ..، وبعد هذه الكلمات قال رسول الله ﷺ: «إنها كلمة حق، فادرسوها ثم تعلموها» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٩ - كثرة ذكر الله تعالى: لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فائدة:

بعد أن علمت هذه الأدعية، استحب لنفسي ولك - والله أعلم - أن تصلي ركعتين لله تعالى (صلاة الحاجة) ثم تدعو بتلك الأدعية السابقة، مطبقًا عليها آداب الدعاء خاصة الدعاء باسم الله الأعظم، وكلما ألححت على الله تعالى بالدعاء بأن تجعلها من أورادك اليومية كان ذلك خيرًا، فإن الله تعالى يحب الملحين في الدعاء، والدعاء إذا كان أقوى من البلاء فإنه يرده كما تقدم في باب الدعاء.

اسابعة والتسعون: روى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه»، وقيل - والله أعلم -: إنه قول للقمان الحكيم.

وعلى ذلك إذا تركت دابتك فقل: اللهم إني أستودعك إياها، وقس على ذلك باقي أمورك بأن تستودع الله أولادك، وبيتك، ومالك، ونفسك، حتى قلمك.

الثامنة والتسعون: إياك وسيف الحياء، كأن تأكل من البضاعة قبل وزنها، وحتى إذا أذن لك البائع فغالبا يكون ذلك بسيف الحياء.

التاسعة والتسعون: يقول علي رضي الله عنه: (لا يَرْجُوَنَّ عبد إلا ربَّه) فلا تقل لفلان أرجوك، ولكن قل له: أرجو الله أن تفعل لي كذا.

المائة: قال ابن القيم رحمه الله: علامة سعادة العبد: إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، من كتاب «الوابل الصيب».

الحادية بعد المائة: وجبات البدن: الإفطار، والغداء، والعشاء، ووجبات القلب: صلاة التوبة، وصلاة الاستخارة، وصلاة الحاجة، فداوم على صلاة التوبة، (و استخر ربك حتى في شسع نعلك)[1]. وإذا استطعت أن تداوم على صلاة الحاجة كمداومتك على كلمة يارب فافعل، وإن تعسر عليك أمر ودعوت الله تعالى وأحسست بعدم الإجابة فصل صلاة التوبة، ثم ارجع إلى صلاة الحاجة كرة أخرى، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

(١)كما جاء في الحديث وقد تقدم.

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى :٣٠] .

الثانية بعد المائة : اهتم بتربية أولادك ودينهم خمس اهتمامك ببطونهم .

الثالثة بعد المائة : بعض الناس يتخذ من يوم مولده عيدا، ويسميه عيد الميلاد، إن الاحتفال بمولد النبى ﷺ بدعة، فما بالك بغيره ﷺ؟! . . . ليس في الإسلام أعياد سوى عيد الفطر وعيد الأضحى، ولكن لك أن تفعل في اليوم السابع من الميلاد ما يسمى بالنسيكة (أى العقيقة) لقوله ﷺ: «كل غلام مرهون بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى ويحلق رأسه». رواه أبو داود والنسائي وصححه غير واحد .

الرابعة بعد المائة : عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبى ﷺ : أوصنى، قال : «لا تغضب». فردد مرارا، قال : «لا تغضب». رواه البخارى .

الخامسة بعد المائة : جاء في صحيح مسلم (باب النهى عن الشرب قائما) عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يشربن أحد منكم قائما فمن نسى فليستقئ»، وجاء فيه أيضا (باب الرخصة في الشرب قائما من زمزم) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب قائما واستسقى وهو عند البيت، وإليك فقه هذين الحديثين :

بوب الإمام النووى في كتاب رياض الصالحين قائلا : (باب جواز الشرب قائما وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب جالسا) وجاء في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله (وكان أكثر شربه - أى النبى ﷺ - قاعدا، بل زجر عن الشرب قائما، وشرب مرة قائما، فقيل : هذا نسخ لنهيه، وقيل : بل فعله لبيان جواز الأمرين، والذى يظهر فيه - والله أعلم - أنها واقعة عين شرب فيها قائما، وسياق القصة يدل عليه، فإنه أتى زمزم وهم يسقون منها، فأخذ الدلو وشرب قائما، والصحيح في هذه المسألة : النهى عن الشرب قائما، وجوازه لعذر يمنع من الشرب قاعدا، وبهذا تجمع أحاديث الباب، والله أعلم. انتهى من زاد المعاد [١]. وجاء فيه أيضا عن أبى قتادة رضي الله عنه أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء [٢].

وجاء فيه أيضا عن أنس رضي الله قال : كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثًا ويقول : «إنه أروى وأبرأ وأمرأ». قال أنس : فأنا أتنفس في الشراب ثلاثا. انتهى.

ومعنى هدى النبى ﷺ في ذلك أنه كان يبعد الإناء عن فيه أثناء الشرب مرتين ويضعه في الثالثة .

السادسة بعد المائة : قال رسول الله ﷺ : «لا آكل متكئا». رواه البخارى. قال النووى في رياض الصالحين : قال الخطابى : المتكئ هنا هو : الجالس معتمداً على وطاء تحته، قال : وأراد أنه لا يعتمد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام، بل يقعد مستوفزاً لا مستوطئاً

---

(١) زاد المعاد جـ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) وفي الصحيح الجامع : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنفس فى الإناء، أو ينفخ فيه، حم، دت عن ابن عباس. صحيح.

ويأكل بُلْغَة [١]، هذا كلام الخطابى، وأشار غيره : إلى أن المتكئ هو المائل على جنبه والله أعلم). انتهى كلام النووى رحمه الله، وجاء في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله : والاتكاء على ثلاثة أنواع :

احدها : الاتكاء على الجنب.

والثانى : التربع.

والثالث : الاتكاء على إحدى يديه والأكل بالأخرى، والثلاثة مذمومة. انتهى.

السابعة بعد المائة : أنقل إليك هنا بعض المنهيات الواردة في صحيح الجامع للألبانى [٢]، وقد راعيت بعون الله تعالى أن تكون هذه المنهيات بقدر الاستطاعة من التي لا تثير خلافا بين العلماء :

١، ٢ - قال رسول الله ﷺ : «لا أمس يد النساء». ط س عن قيلة بنت عبيد - صحيح - وجاء فيه أيضا : قال رسول الله ﷺ : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له». الطبرانى عن معقل بن يسار. صحيح.

٣ - قال رسول الله ﷺ : «لا يبيتن رجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحا أو ذا محرم». (م عن جابر) - صحيح.

٤ - قال رسول الله ﷺ : «**لا تسأل الناس شيئاً ولا سوطك وإن سقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه**». حم عن أبى ذر. صحيح.

٥- ...... «**لا تقبل صلاة حائض إلا بخمار**» حم، ت، عن عائشة - صحيح (الحائض هنا أى التي بلغت سن المحيض).

٦- «**لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه لاعبًا ولا جادًا، وإن أخذ عصا صاحبه فليردها إليه**» (م - عن أبى هريرة) صحيح.

٧- «**لا عقر في الإسلام**» (هـ - عن أنس) صحيح [٣]، (العقر : الذبح عند القبر).

٨- «**لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه**» هب - عن سلمان، صحيح.

٩- «**لا يحل لمسلم أن يروع أخاه**» حم، هـ ج د عن رجال. صحيح

١٠- «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله ورسوله**» م، هـ عن أبى هريرة. صحيح.

١١- «**لا يُشِر أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**» حم، ت عن أبى هريرة. صحيح. (وفى معنى ذلك السكين). انتهى.

---

(١) ويأكل ببلغة أى يكتفى ويجتزئ به.
(٢) صحيح الجامع للألبانى جـ٦ ص ٤٠ باب المناهى، ص ١١٩ باب اللام ألف.
(٣) لا عقر : أى لا ذبح عند القبر، وفى معناه التصدق عنده بخبز أو نحوه. كذا فى فيض القدير.

تنبيه :

هذه المنهيات تزيد عن المائتين بكثير، ولكنى اكتفيت بهذا العدد حتى أُلْفِتَ نظرك إلى قراءتها.

التاسعة بعد المائة : حكم رواية الحديث الضعيف وحكم العمل به :

جاء في كتاب «**تيسير مصطلح الحديث**» للشيخ الطحان (١) أثابه الله تعالى ما يلى :

١ - متى يروى الحديث الضعيف؟

يجوز عند أهل الحديث وغيرهم رواية الأحاديث الضعيفة، والتسهيل في أسانيدها من غير بيان ضعفها - بخلاف الأحاديث الموضوعة فإنه لا يجوز روايتها إلا مع بيان ضعفها - بشرطين :

(أ) ألا تتعلق بالعقائد، كصفات الله تعالى.

(ب) ألا تكون في الأحكام الشرعية مما يتعلق بالحلال والحرام.

يعنى يجوز روايتها في مثل المواعظ والترهيب والقصص وما أشبه ذلك، وممن روى عنه التساهل في روايتها، سفيان الثورى وعبد الرحمن بن مهدى وأحمد بن حنبل، وينبغى التنبيه إلى أنك إذا رويتها من غير إسناد فلا تقل فيها : قال رسول الله ﷺ وإنما تقول : روى عن رسول الله ﷺ كذا أو بلغنا عنه كذا، وما أشبه ذلك لئلا تجزم بنسبة ذلك الحديث للرسول وأنت تعرف ضعفه.

٢ - متى يعمل بالحديث الضعيف؟

اختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف، والذى عليه جمهور العلماء على أنه يستحب العمل به في فضائل الأعمال، بشروط ثلاثة أوضحها الحافظ ابن حجر وهى :

(أ) أن يكون الضعف غير شديد.

(ب) أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به

(ج) ألا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط..

التاسعة بعد المائة : مختصر أسباب شرح الصدر، وحصولها على الكمال له ﷺ كما ذكرها ابن القيم رحمه الله :

١ - التوحيد : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر :٢٢].

٢ - النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان.

٣ - العلم : وليس هذا لكل علم بل للعلم الموروث عن رسول الله ﷺ وهو العلم النافع.

٤ - الإنابة إلى الله تعالى ومحبته بكل القلب والإقبال عليه والتنعم بعبادته.

٥ - دوام ذكر الله تعالى على كل حال وفى كل موطن.

٦ - الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه، والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان.

(١) تيسير مصطلح الحديث للطحان ص ٦٢.

٧ - إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء.

٨ - ترك فضول النظر، والكلام، والاستماع، والمخالطة، والأكل، والنوم، ومن أقواله رحمه الله : حال العبد في القبر كحال القلب في الصدر[1] .

العاشرة بعد المائة : قال تعالى : ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

* * *

(١) راجع شرح هذه النقاط فى زاد المعاد جـ٢ ص ٢٣ - ٢٨.

مواضيع كان ينبغي إدراجها ضمن هذا الكتاب

أولاً - الصلاة :

١ - **مقدار صلاة رسول الله ﷺ**: جاء في كتاب «**الصلاة**» لابن القيم رحمه الله تحت عنوان «**المسألة العاشرة**» ما مختصره : وأما المسألة العاشرة، وهى مقدار صلاة رسول الله ﷺ **فهى من** أَجَلِّ المسائل وأهمها، وحاجة الناس إلى معرفتها أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وقد ضيعها الناس من عهد أنس بن مالك رضي الله عنه، **ففى صحيح البخارى من حديث الزهرى قال :** دخلت على أنس بن مالك **بدمشق وهو يبكى، فقلت : ما يبكيك؟** قال : لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه **الصلاة قد ضيعت . . . فإذا أردت معرفة** مقدار صلاته ﷺ فارجع إلى الكتاب السالف ذكره «**كتاب الصلاة» من ص ٨١ - ١١١ . ولقد قام ابن القيم** رحمه الله في هذه الصفحات بالكلام عن مقدار صلاته ﷺ، **وتعرض رحمه الله لحجج المخففين** للصلاة والرد عليها من جانب المكملين للصلاة . .

ومما قاله رحمه الله في تعليقه : (وفى الصحيحين عنه أى أنس رضي الله عنه : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم صلاة من صلاة رسول الله ﷺ) زاد البخارى : وإن كان ليسمع بكاء الصبى فيخفف مخافة أن تفتن أمه، فوصف صلاته ﷺ بالإيجاز والإتمام، والإيجاز هو الذي كان يفعله، لا الإيجاز الذي كان يظنه من لم يقف على مقدار صلاته ﷺ، فإن الإيجاز أمر نسبى إضافى راجع إلى السنة لا إلى شهوة الإمام ومن خلفه، فلما كان يقرأ في الفجر بالستين إلى المائة (في الركعتين أو إحداهما كما في البخارى) كان هذا الإيجاز بالنسبة إلى ستمائة إلى ألف، ولما قرأ في المغرب بالأعراف، كان هذا الإيجاز بالنسبة إلى البقرة .

وفى سنن أبى داود (عن أنس أيضا) : وكان رسول الله ﷺ إذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى تقول : قد أوهم (أى نسى) ثم يكبر ويسجد، وكان يقعد بين السجدتين حتى تقول قد أوهم وقال رحمه الله عن سنة رسول الله ﷺ : ولا نأخذ منها ما سهل علينا، ونترك منها ما شق علينا لكسل، وضعف عزيمة، واشتغال بدنيا قد ملأت القلوب وملكت الجوارح وقرت بها العيون بدل قرتها بالصلاة، فقامت على خدمة المخلوقين كأنها على الفرش الوثيرة والمراكب الهنية، وقامت في حق خدمة ربها وفاطرها كأنها على الجمر المحرق، تعطيه الفضل من قواها وزمانها، وتستوفى لأنفسها كمال الحظ، ولم تحفظ من السنة إلا «**أفتان أنت يا معاذ؟ ويا أيها الناس إن منكم منفرين**» ووضع الحديث على غير موضعه وقد قال رحمه الله[1] في زاد المعاد : وأما العشاء الآخرة فقرأ فيها بـ (التين والزيتون) ووقعت لمعاذ فيها بـ (والشمس وضحاها) و (سبح اسم ربك الأعلى) و (والليل

---

(١) زاد المعاد جـ١ ص ٢١١ : ٢١٣، ومن المعلوم إن هديه صلى الله عليه وسلم فى العشاء التخفيف .

إذا يغشى) ونحوها، وأنكر عليه قراءته بـ (البقرة) بعدما صلى معه، ثم ذهب إلى بني عمرو بن عوف، فأعادها لهم (أي العشاء) بعد ما مضى من الليل ما شاء، وقرأ بهم بـ (البقرة) ولهذا قال له : «أفتان أنت يا معاذ» فتعلق النقارون بهذه الكلمة ولم يلتفتوا إلى ما قبلها ولا إلى ما بعدها، وعاد رحمه الله مرة أخرى إلى التخفيف والتطويل فقال : بل المرجح في ذلك والتحاكم إلى ما كان يفعله من شرع الصلاة للأمة وجاءهم بها من عند الله، وعلمهم حقوقها وحدودها وهيئاتها وأركانها، وكان يصلى وراءه الضعيف والصغير والكبير وذو الحاجة، ولم يكن بالمدينة إمام غيره صلوات الله وسلامه عليه، فالذى كان يفعله صلوات الله وسلامه عليه، (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقد سئل بعض أصحاب رسول الله ﷺفقال : مالك في ذلك من خير، فأعادها عليه، فقال : كانت صلاة الظهر تقام، فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضى حاجته، ثم يأتى أهله فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد، ورسول الله ﷺفي الركعة الأولى مما يطولها، رواه مسلم في الصحيح.

وقال عبد الله بن عمر : إن كان رسول الله ﷺليأمرنا بالتخفيف، وإن كان ليؤمنا بـ (الصافات) رواه الإمام أحمد والنسائى (ومن المعلوم أن سورة الصافات ١٨٢ آية.

وقال رحمه الله : وأما قراءته ﷺفي الفجر بالمعوذتين، فهذا إنما كان في السفر كما هو مصرح به في الحديث، والمسافر قد أبيح له أو أوجب عليه قصر الصلاة لمشقة السفر، فأبيح له تخفيف أركانها، فهلا عملتم بقراءته في الحضر بمائة آية في الفجر؟ وأما قراءته ﷺبسورة التكوير في الفجر، فإنه كان في السفر.

وأما حديث تسبيحه في الركوع والسجود ثلاثا فلا يثبت، والأحاديث الصحيحة بخلافه، قد قال أنس: إن عمر بن عبد العزيز كان أشبه الناس صلاة برسول الله ﷺ، وكان مقدار ركوعه وسجوده عشر تسبيحات، وقال رحمه الله : فإن جاءهم حديث صحيح خالف ما ألفوه واعتادوه قالوا : هذا منسوخ أو خلاف الإجماع، ولو كانت أحاديث التطويل منسوخة، لكان أصحاب رسول الله ﷺأعلم بذلك، ولما احتجوا بها على من لم يعمل بها، ولا عمل بها أعلم الأمة بها وهم الخلفاء الراشدون، فهذا صدّيق الأمة وشيخ الإسلام صلى الصبح فقرأ بالبقرة من أولها إلى آخرها، وخلفه الكبير والصغير وذو الحاجة، فقالوا : يا خليفة رسول الله، كادت الشمس تطلع علينا، قال : لو طلعت الشمس لم تجدنا غافلين، ومضى على منهاجه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وكان يقرأ في الفجر بالنحل ويوسف وهود وبنى إسرائيل ونحوها من السور). انتهى.

* * *

٢ - **ما هي الصلاة:** كل ما تقدم كان مقدمة لما أقوله الآن : فقد بحث ابن القيم رحمه الله هذه النقطة من ص٩٤ إلى ص١٠٦ من كتابه السالف ذكره «الصلاة» بحثاً قيما يفوق الوصف ويمكنني أن أقول بفضل الله تعالى : لو لم يؤلف ابن القيم رحمه الله سوى هذا الجزء فقط لكفاه . . .

٣ - **سياق صلاته ﷺ:** أما إذا أردت معرفة سياق صلاته ﷺ من حين استقباله القبلة وقوله الله أكبر ، إلى حين سلامه كأنك تشاهده عياناً فعليك بقراءة كتاب «**زاد لمعاد**» لابن القيم رحمه الله بتحقيق الأرنؤوط أثابه الله .

تنبيه: قد تقدمت الإشارة إلى أهمية قراءة مسألة الجماعة للصلاة من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج٢٣ ص ٢٣٩- **٢٤٣ فلا بد من قراءتها، وأيضاً لا بد** من قراءة أعذار التخلف عن صلاة الجماعة من «**فقه السنة**» .

ثانياً - الحلال والحرام :

١ - قوله ﷺ : «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**» جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي من ص٥٨ - ٦٦ .

٢ - آداب الكسب والمعاش وفضله وصحة المعاملة وما يتعلق بذلك، خصوصاً (بيان الحلال والحرام) من ص ٨٢ - ٩٦ .

٣ - قوله ﷺ : «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١] . . . . . » الآية . . . جامع العلوم والحكم من ص٨٥- ٩٣ .

ثالثاً - الربا :

١- قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥] مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج ١ من ص ٢٤٥ : ٢٥٢ .

٢ - منهاج المسلم للشيخ الجليل أبي بكر الجزائري ص ٣٧٠ : ٣٧٧ .

رابعاً - آفات اللسان : مختصر منهاج القاصدين ص ١٦٥ - ١٧٨ .

خامساً - حد العورة بالنسبة للرجل والمرأة :

١- عورة الرجل مع الرجل .

٢ - عورة المرأة مع المرأة .

٣ - عورة الرجل مع المرأة وبالعكس .

روائع البيان للصابوني ج٢ ص ١٥٢ : ١٥٨ .

سادساً - المحرمات من النساء :

(أ) المحرمات تحريماً مؤبداً .

(ب) المحرمات تحريماً مؤقتاً .

(ج) منهاج المسلم ص ٤٤٤ : ٤٤٧

سابعاً - في تكملة الكلام عن التوبة :

١ - قوله تعالى في سورة النساء : ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧] مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج١ ص٣٦٧ وتفسير ابن كثير (الأصل) ج١ ص٢٦٤ لعدم كفاية المختصر في تفسير الآية .

٢ - قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠] (مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج٢ص٦٤٠- ٦٤١، ويا حبذا قراءة وصف عباد الرحمن من تفسير السورة (مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج٢ ص٦٣٨ - ٦٤٢) .

ثامناً - سور وآيات :

١ - تفسير ورة الفاتحة [مختصر تفسير ابن كثير (١/ ١٥ : ٢٥] .

٢ - تفسير آية الكرسي (مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص٢٢٧ - ٢٣١ سورة البقرة ٢٢٥) .

٣ - خواتيم سورة البقرة (مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٥٦ - ٢٦١) .

٤ - تفسير سورة النور (مختصر ابن كثير ج٢ ص ٥٨٠ - ٦٢٢) .

٥ - تفسير قل هو الله أحد والمعوذتين (مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص٦٩١ - ٦٩٧) .

تاسعاً : النية والإخلاص والصدق :

١ - قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] (مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٤٠- ٤٤١) .

٢ - جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (في شرح حديث «**إنما الأعمال بالنيات**» (٥- ١٩) .

٣ - مختصر منهاج القاصدين ص٣٥٩- ٣٦٩ ومعه باب الرياء أعاذنا الله منه ص٢١٤- ٢١٦ من نفس الكتاب .

عاشراً : هدى النبى ﷺ في الجمعة وذكر خصائص يومها :

زاد المعاد لابن القيم ج١ص٣٦٤- ٤٤٠ .

حادي عشر : القرآن :

هدى النبى ﷺ في قراءة القرآن واستماعه . . آداب التلاوة :

١ - زاد المعاد لابن القيم ج١ص٤٨٢- ٤٩٣ وأيضا من نفس الكتاب ص٣٣٧- ٣٤٠ .

٢ - مختصر منهاج القاصدين ص٥٠- ٥٤ .

٣ - الأذكار النووية ص٥- ٩٤ .

ثانى عشر : الزواج وأحكامه :

فقه السنة للشيخ الجليل سيد سابق كل من الجزء السادس والسابع (حجم صغير) أو المجلد الثانى (حجم كبير).

ثالث عشر : ألفاظ كان النبى ﷺ يكره أن تقال :

زاد المعاد لابن القيم : فصل في هديه ﷺ في حفظ المنطق واختيار الألفاظ ج٢ ص٣٥٢-٣٦٤، فصل آخر في ألفاظ كان ﷺ يكره أن تقال ج٢ ص٤٦٨- ٤٧٥ .

رابع عشر : العلم وفضله وما يتعلق به :

١ - مختصر منهاج القاصدين ص١٣- ٢٦ .

٢ - كتيب ابن رجب الحنبلى عن العلم .

٣ - كتاب «**العلم**» فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلانى الجزء الأول ص١٤٠-٢٣٢ .

خامس عشر : التوكل :

١ - مختصر منهاج القاصدين ص٣٣٠- ٣٣٧ .

٢ - جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى : الحديث التاسع عشر ص١٦٠- ١٧٤، الحديث التاسع والأربعون ص٣٧٩- ٣٨٥ .

٣ - مختصر ابن كثير ج٣ ص٥١٤- ٥١٥ .

ما تزول به عقوبة الذنوب :

جاء في كتاب «**الإيمان الأوسط**» لابن تيمية رحمه الله ما مختصره : أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أشياء :

١ - التوبة : وهذا متفق عليه بين المسلمين، قال تعالى : ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر :٥٣] .

٢ - الاستغفار : في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم».

٣ - الحسنات الماحية : كما قال تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود :١١٤] .

٤ - دعاء المؤمنين للمؤمن : مثل صلاتهم على جنازته، فعن عائشة رضي الله عنها، وأنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال : «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه». رواه مسلم.

٥ - ما يعمل للميت من أعمال البر : كالصدقة ونحوها.

٦ - شفاعة النبى ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة : كما تواترت عنه أحاديث الشفاعة، مثل

قوله ﷺ في الصحيح : «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»، وكما روى عنه ﷺ : «خيرت بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكثر، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين».

٧ - المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا : كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله بها من خطاياه».

٨ - ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة : فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

٩ - أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

١٠ - رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد. انتهى[1].

* * *

(١) راجع شرح هذه النقاط فى الكتاب السالف ذكره لابن تيمية ص٢٩-٤٣ .

خاتمـــة

أستغفر الله من هذا الكتاب : إن الاستغفار بعد الطاعة لا يقل عن الاستغفار بعد المعصية .

قال ابن القيم رحمه الله : فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماقتها، وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفاراً عقيب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده .

وقد أمر الله تعالى وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات، وهو أجل المواقف وأفضلها، فقال : ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[البقرة:١٩٨-١٩٩] وقال تعالى : ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[آل عمران:١٧] .

قال الحسن : مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل، وفي الصحيح : أن النبي ﷺ كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً ثم قال : «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» وأمره الله تعالى بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها وقضاء فرض الحج واقتراب أجله فقال في آخر سورة أنزلت عليه : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[النصر:١-٣] .

ومن هاهنا فهم عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - أن هذا أجل رسول الله ﷺ أعلمه به فأمره أن يستغفره عقيب أداء ما كان عليه، فكأنه إعلام بأنك قد أديت ما عليك، ولم يبق عليك شيء فاجعل خاتمته الاستغفار كما كان خاتمة الصلاة والحج وقيام الليل، وخاتمة الوضوء أيضا أن يقول بعد فراغه : «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» . انتهى .

يارب : تم نورك فهديتَ، فلك الحمد، عظم حلمك فغفرت فلك الحمد، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه وجاهك أعظم الجاه وعطيتك أفضل العطية وأهنؤها، تطاع ربنا فتشكر وتعصى فتغفر، وتجيب المضطر وتكشف الضر وتشفي السقيم وتغفر الذنب وتقبل التوبة ولا يجزي بآلائك أحد، ولا يبلغ مدحك قول القائل، يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، ويعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطرا الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا توارى منه سماء سماءً ولا أرض أرضا ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير أعمارنا آخرها وخير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك فيه . يارب لو سئلت ما هو ألذ شيء عندي في هذه

الدنيا لقلت يامولاي لذة السجود بين يديك بعد طول القيام لك: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو ذر القلموني

عبد المنعم بن حسين بن حنفى بن حسن بن الشاهد -مصر - الواحات الداخلة - القلمون.

تم - بعون الله تعالى وفضله - الانتهاء من كتابة هذا الكتاب في يوم الاثنين السابع عشر من شعبان ١٤٠٤هـ. بمصر - الجيزة - ميت عقبة

وتمَّ الكتاب بفضل الله تعالى

* * *

الفهرس

المقدمة ٣
تنبيهات ٥
الهدف من وراء هذا الكتاب ٥
موضوعات الكتاب ٦
ففروا إلى الله ... ففروا إلى الله ... ففروا إلى الله ٦
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٦

الباب الأول

التوبة ٧
ذكر أحاديث فيها نفي القنوط ٩

الباب الثاني

الدنيا ٣٧

الباب الثالث

الموت ٤٠
فصل: في تفاوت الناس في طول الأمل ٤١

الباب الرابع

الصلاة ٤٤
فصل في الأسباب الميسرة لقيام الليل ٥١

الباب الخامس

الدعاء ٥٣
الفصل الأول: فضل الدعاء ٥٣
الفصل الثاني ٥٦
آداب الدعاء ٥٦
الفصل الثالث ٦٠
ما هي أوقات الإجابة؟ ٦٠
الفصل الرابع ٦٢
الذين يستجيب الله تعالى دعاءهم وبم يستجاب؟ ٦٢
الفصل الخامس ٦٢
بم يستجاب الدعاء؟ ٦٢
الفصل السادس ٦٣
علامة استجابة الدعاء ٦٣
الفصل السابع ٦٤
التوسل بالأنبياء والصالحين ٦٤
الفصل الثامن ٦٥
فوائد ٦٥
الفصل التاسع ٦٨
صلاة الاستخارة ٦٨

الباب السادس

الذكر ٧١
فصل في أحوال تعرض للذاكر يستحب له قطع الذكر بسببها ثم يعود إليه بعد زوالها ٧٥
فصل ٧٥

أذكار الصباح والمساء ٧٥
فصل فى أذكار النوم واليقظة ٨٠
فصل في أذكار الانتباه من النوم ٨٢

الباب السابع

حكم الإسلام فى الغناء ٨٦
فصل ٨٨
فصل ٨٩
فصل : فالاسم الأول : اللهو ٨٩
فصل : الاسم الثاني والثالث : الزور ، اللغو ٩٠
فصل : الاسم الرابع ـ الباطل ٩١
فصل : الخامس : وأما اسم المكاء والتصدية ٩١
فصل : السادس - وأما تسميته رقية الزنا ٩٢
فصل : السابع : وأما تسميته منبت النفاق ٩٢
فصل : الثامن : وأما تسميته قرآن الشيطان : ٩٣
فصل : التاسع والعاشر : وأما تسميته بالصوت الأحمق والصوت الفاجر ٩٤
فصل : الحادى عشر : وأما تسميته صوت الشيطان ٩٤
فصل : الثاني عشر : وأما تسميته مزمار الشيطان ٩٥
فصل : الثالث عشر : وأما تسميته بالسمود ٩٦
في بيان تحريم رسول الله ﷺ لآلات اللهو والمعازف (الموسيقى) وسياق الأحاديث في ذلك ٩٦

الباب الثامن

داء العشق ودواؤه ٩٨
فصل ٩٨
فصل : في علاج العشق ٩٩

الباب التاسع

آداب من سورة النور ١٠٩
أولا ـ آداب دخول البيوت وغض البصر وحفظ الفروج : ١٠٥

الباب العاشر

حكم تغطية وجه المرأة ١١٢
مقدمة ١١١

الباب الحادى عشر

حكم عمل المرأة خارج البيت ١٢٦

الباب الثاني عشر

علاج الصرع وعلاج السحر وفك الربط ١٣٦

الباب الثالث عشر

الدين النصيحة ١٤٢
جدول محاسبة النفس ١٥٣
مواضيع كان ينبغي إدراجها ضمن هذا الكتاب ١٧٥
خاتمة ١٨١
وتمَّ الكتاب بفضل الله تعالى ١٨٢
الفهرس ١٨٥

* * *